مكتبة الشروق

د. المهدي المنجرة



الحرب الحضارية الأولى

الحرب الحضارية الأولى

الطبعـة المصرية الأولـى
اغسطس ١٩٩٥

الطبعـة العربيـة السابعـة

مكـتبة الشروق : ٢ ش البورصة الجديـدة ـ قصر النيـل

د. المهدى المنجرة

الحرب الحضارية الأولى

مكتبة الشروق

مقدمة

* من أقوال نابوليون الشهيرة : مصر أهم بلد فى العالم - أخبرنى من يحكم مصر أخبرك بمن يحكم العالم .

* قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ورفعت شعار : حرية إخاء مساواة ، ثم خرجت على إثره جيوش نابوليون - الإيطالى الأصل - تغزو أوروبا . وجاء نابوليون بحملته الشهيرة على مصر ١٧٩٨ . يقول بعض المؤرخين المصريين أنها كانت حملة ثقافية حضارية ، وقد جاءت الأساطيل الإنجليزية إلى مصر خلف نابوليون - ربما لتتنافس معه حتى الموت على تثقيف وتحضير مصر - وحطمت أساطيله فى أبى قير حاول نابوليون التقرب للشعب المصرى وأنه إنما جاء لمصلحته ولخيره ، وكثيرا ما كان يبدأ منشوراته بالبسملة والشهادة ، ولما وجد رفض وثورة من الشعب ، فكر أن يرسل نفراً من وجهاء المصريين إلى باريس ، يتشربوا الحياة الفرنسية ليعودوا سفراء لها ، وأن يستحضر لمصر فرق الفنون الفرنسية لتثنى ذلك الشعب عن جهله وتأخره المتمثلين فى عناده لحملة الثقافة والحضارة . ثم هرب نابوليون وبعده عادت حملته بسبب الثورات والمعارك التى لم تنقطع من المصريين .

* جاءت حملة فريزر الإنجليزية ١٨٠٧ ، ولقت عدة هزائم فى رشيد والحماد فاضطرت للعودة بعد شهور قليلة .

* وفى النصف الأول من القرن الماضى ، نمت القوة العسكرية المصرية على يد محمد على - الذى أصبح مصرياً قلباً وقالباً دماً ولحماً [1] - وأحرز إبراهيم بن محمد على نجاحات عسكرية مبهرة فى كل معاركه ، حتى جاءت إنتصاراته فى المورة باليونان فأفزعت إنجلترا وفرنسا وروسيا ، فتحالفوا عليه لتحطيم الأسطول المصرى فى نفارين ١٨٢٧ .

* ثم إحتل الإنجليز مصر ١٨٨٢ ، وقالوا فى ذلك لحماية الأقليات المالطية ، وقالوا لنشر المسيحية ، وقالوا لإصلاح مصر . كذلك قال الإنجليز إنه إحتلال مؤقت وأنهم

---

١ - يعيش أحفاده فى مصر ، ولو نظرت تاريخ أوروبا - ناهيك عن أمريكا - لوجدت عائلات قليلة حكمت أوروبا قرون طويلة ، وما أكثر ما كان ملوك بلد من بلد آخر ، حتى أن إنجلترا ملكها من لايعرف كلمة واحدة بالإنجليزية

لاينوون البقاء فى مصر . فبقوا ثمانين عاماً . كافح الشعب وسياسيوه لإخراج الإنجليز ، وبلغ الكفاح المسلح والدبلوماسى والسياسى ذروته فى الأربعينات وبداية الخمسينات ، حتى جاءت الثورة وأجلت الإنجليز عام ١٩٥٤ .

* بعد سنتين فقط من معاهدة الجلاء ، عادت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل بجيوشهم فهاجموا مصر ، كل له أسبابه ومخططاته وأهدافه فى تآمر لا يجهله أحد . ولكن لم تكن أمريكا والاتحاد السوفيتى ـ القوتان العظميان فيما بعد الحرب العالمية الثانية ـ لتتركان مصر لأحد ، فأنذرتا الدول الثلاث ، ولكل منهما أسبابه وأهدافه .

* ثم وقع عبد الناصر ـ الذى استعصى على القوى العالمية ـ فى شرك ١٩٦٧ الذى نصبته بإحكام إسرائيل وأمريكا ، ودفعته إليه المعلومات التى أتى بها كل من السادات وشمس بدران من موسكو ، كذلك مناخ الحرب الباردة الذى ساد البلاد العربية ، حتى تراشقت الإتهامات بالخيانة مع اتباع الأساليب الديماجوجية فى تأليب وإثارة الشعوب العربية .

* شنت مصر حرب الاستنزاف فى ظروف بالغة القسوة والصعوبة ، إلى أن قامت بحرب ١٩٧٣ التى زلزلت قلب إسرائيل ، حتى استنجدت جولدا مائير باستغاثتها المشهورة : **أنقذوا إسرائيل** ... فهرعت أمريكا وإنهمر الدعم الأمريكى ـ بالسلاح وبالمستشارين وبالخطط ، وبالتجسس والتصوير بالأقمار ـ حتى قال السادات : لا أستطيع أن أحارب أمريكا . ووافق على وقف إطلاق النار ثم بدأ مشوار كامب دافيد .

* واليوم ، ومنذ عقد أو أثنين تمثل السفارة الأمريكية فى مصر واحدة من أكبر السفارات الأمريكية فى العالم .

* وإذا إتجهنا شرقاً للهند ، وجدنا إنجلترا تنتصر فى تنافسها مع بقية أوروبا لتنفرد باستنزاف الهند من منتصف القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين .

* وإذا إتجهنا أكثر للشرق ـ فللشرق سحره وبريقه ـ نجد فى منتصف القرن الماضى ، أمريكا وإنجلترا وفرنسا يفرضون على الصين الأفيون فى الحرب المشهورة بحرب الأفيون ، وتؤخذ التعويضات المناسبة من الحكومة الصينية التى حرمت شعبها من الأفيون حين صادرته وأتلفته ، مع أخذ العهد من تلك الحكومة بالتوبة عن ذلك وعدم

العودة لمثله ، بالإضافة لحزمة من التنازلات تناسب المقام .

* أما اليابان ، فقد فرضت عليها الأساطيل الأمريكية ـ بقيادة القرصان ، عفواً الكابتن بيرى ـ فى منتصف القرن الماضى بأن تفتح أبوابها وأسواقها لتجارة الغرب العادلة .

* قبل أن نترك الشرق ... صدر منذ بضعة أسابيع كتاب لـ . « روبرت ماكنمارا » وزير الدفاع السابق أيام حرب ڤيتنام ، يقول فيه : قتلنا ٣ مليون ڤيتنامى بطريق الخطأ ! وقد خرج ماكنمارا من ذلك الخطأ بمنصب رئيس البنك الدولى ! .

* وفى الجزائر ، إستحق شعبها العقاب عندما طالب حسين باشا والى الجزائر القنصل الفرنسى بسداد ديون فرنسا من شحنات القمح الجزائرى ، فخرج الأخير يقول أن مروحة يد الأول مست وجهه الكريم ، فهذا هو العار الذى لايغسله إلا دخول الجيوش الفرنسية الجزائر عام ١٨٣٠ وحتى ستينات القرن الحالى ، مع كرم فى الحساب ، فبدلا من ثلاثة مليون ڤيتنامى ، يكفى مليون من الصنف الجزائرى .

* ولكن بما أننا نرى ونقرأ ونسمع عن إنحدار الماديات وتألق الروحانيات ، وإزدياد التمسك بالقيم الدينية والأخلاقية مع تسامى البشرية فى الغرب ، فقد بدأنا نسمع منذ حصول معظم بلدان العالم على استقلالها ـ منذ عقدين إلى أربعة ـ عن مصطلحات وشعارات جديدة ، مثل التعاون الدولى ، المساعدات والمعونات للعالم النامى ، برامج التنمية ، والمشاريع المشتركة وما إلى ذلك .

* أمم مُصدِّق حقول النفط الإيرانية فى منتصف القرن الحالى ، وقامت ثورة شعبية أطاحت بملك الملوك الذى فر هارباً . وكانت تلك هى الفرصة لتحل أمريكا محل بريطانيا العجوز ، فشمرت السى . آى . إيه ، ودبرت أحد انقلاباتها على مُصدِّق ، وأجلست الشاه على عرشه ، وتعهدته بحسن الرعاية والتربية ، ليتعلم الأدب وطاعة الكبير واحترامه ، ويشب ملكاً خدوماً يعرف مكارم الأخلاق وحسن الاستماع ، ولا مفر من بعض الخسف والذل والهوان لبضعة ملايين من الصنف الإيرانى .

* قامت الثورة الإيرانية ، فإنزعجت منها العروش ، ورق قلب الغرب على حقوق الإنسان فى إيران ـ كأنه تذكرها فجأة ، وفى هذا المكان فقط وليس فيما حوله ـ ثم

انفطر قلبه على تغطية الإيرانيات بالذات لشعورهن بالحجاب . فكان لابد من القضاء على الخوميني عدو الإنسانية وعدو المرأة ، فمن يستطيع أن يقوم بهذا العمل ؟

* هيأ الغرب للعراق مدداً متنوع المشارب من السلاح والمال والرجال ، فدخل في حرب شيطانية مع إيران لما يقرب من عشر سنوات ، تحطم الجيش الإيراني . ولكن في نفس الوقت زادت قوة الجيش العراقي ! إذا لابد من تحطيمه ، فالمنطقة لا تحتمل سوى قوة واحدة وحيدة ، والوظيفة مشغولة حتى الآن ، ولم يحن ميعاد تغيير شاغرها ، وهو آتٍ لا محالة .

* يطرح الدكتور المنجرة في هذا الكتاب تحليله للماضي والحاضر ، ورؤيته للمستقبل ، ويركز ويؤكد على ضرورة معرفة الماضي وتذكره فردياً وجماعياً للاعتبار للمستقبل . كذلك يؤكد على ضرورة الإهتمام بالبحث العلمي والرؤى المستقبلية . ويتناول فيه مايرى من تغييرات أساسية مطلوبة في بلادنا العربية - الإسلامية ، وتغييرات في تعاملاتها وتفاعلاتها مع بعضها البعض ومع بلاد الشمال أو الغرب .

* طُبع الكتاب ست طبعات من قبل في المغرب ، وقد إتفقت مع الدكتور المنجرة على طبعة خاصة بمصر ، فمنحها بدون عائد شخصي له ، في زهد العلماء ، بعد أن أراني تواضعهم في صومعته بالرباط .

ويلزم توضيح أن استخدام المؤلف لمصطلح الحضارة المسيحية إنما يقصد ما يعتبره الغرب حضارة مسيحية ... فأين قول المسيح عليه السلام « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » من تجييش الجيوش والتفنن في صناعة أسلحة الفتك والدمار الشامل ، واشعال الفتن والحروب ، الأمر الذي لازم تاريخ الغرب ، وأين أمر المسيح عليه السلام بقلع العين التي تشتهي النساء من إباحة الغرب للجنس والشذوذ حتى بين بعض القساوسة ، وأين زهد المسيح وقوله « مملكتي ليست في هذا العالم » من مادية الغرب المفرطة ، وترويجه لفكرة وجوب الحرب التي يُقتل فيها الملايين - من غير المسيحيين وغير اليهود - حتى يعود المسيح ويحكم !

فلو بُعث المسيح ورأى الغرب المسيحي لقال : أنا لست مسيحياً !

عادل المعلم

فهـرست

الموضـوع | **الصفحـة**

الموضـــوع	الصفحــة

حرب الخليج
وسقوط أقنعة الديمقراطية الغربية *

أصبح للدراسات المستقبلية أهمية قصوى فى جميع الميادين والمجالات ، نظرا لما أصبح يعرفه التاريخ من تسارع ، وللتغيرات المتتابعة فى مختلف مجتمعات دول العالم الثالث ، خاصة بعد فترة الخمسينات والستينات . ولعل سرعة حركة التاريخ من شأنها أن تهدد النشاط الاقتصادى والفكرى على حد سواء بوقوع تطورات غير متوقعة ، لا تجعلهما قادرين على مسايرتها والتكيف معها قبل حدوث الأزمات ، وإلى اليوم نجد العالم الثالث لا يزال يعيش على تسيير أزماته دون أن تكون له القدرة والوسائل على استبصار الأزمات قبل حدوثها لمواجهتها ، وإذا كان للدراسات المستقبلية فضل فى رفع هذه الحواجز وتسهيل النظر العلمى إلى المستقبل ، فإن لها أيضا فضل وعلاقة بمسألة الديموقراطية ، ليس بمعناها السطحى الذى يعنى الذهاب للانتخابات قصد التصويت أو الترشيح ، وإنما التعبير الحقيقى والحر عن الرأى يجعل رؤية الشعب لوضع حالى أو مستقبلى فى اتفاق شامل مع النموذج الاجتماعى الذى يطمح إليه هذا الشعب .

إن العالم العربى والإسلامى بصفة عامة يعيش أزمة كبرى تكمن فى عدم وجود رؤيا للمستقبل ، مما يجعل مجتمعاته تسير وتنمو على الصدفة وعلى العفوية وبدون نموذج اجتماعى أو تنموى قادر على تغطية ١٥ أو ٢٠ سنة مقبلة ، وهو ما يؤدى عكسيا إلى الاستسلام إلى نماذج التنمية الأجنبية والغربية ، وبالتالى إلى تقييد حرية الشعوب فى تسيير ذاتها والحد من حقوقها الديموقراطية .

الديموقراطية منهاج تربوى ومسيرة طويلة يلزم لاكتمالها شروطا ذاتية وأخرى موضوعية . إذ لا يمكننا أن ننسى تجربة الاستعمار وعلى امتداد مائة سنة منذ

---

* ٢٣ و٢٧ يناير ١٩٩١ .

القرن ١٩ . إن الغرب الذى يريد أن ينصب اليوم نفسه معلما فى الديموقراطية وحقوق الانسان وفى شروط المجتمع المدنى لم يكن قبل بضع سنين يؤمن بصلاحية تطبيقها داخل مجتمعاتنا . وداخل العلاقة التى كانت تربطنا به حين كنا نحن المستعمرين وهو المستعمر، هذا بالإضافة إلى بعض القيم اليهودية المسيحية التى يحاول الغرب فرضها على دول الجنوب دون احترام منه لمبدأ الاختلاف والتعدد ، سواء تعلق الأمر بحضارات مثل الحضارة العربية الإسلامية ، أو بالحضارات الإفريقية والأسيوية اليابانية والصينية وغيرهما ، أو بحضارات أمريكية لاتينية ..

دول الغرب التى تمثل اليوم ٢٠ ٪ من سكان العالم تستغل أكثر من ٨٠ ٪ من ثروات العالم ، و ٢٠ ٪ من سكان العالم يريدون فرض حضارتهم على حضارات ٨٠ ٪ من سكان العالم . الغرب لا يمكنه أن يكون ديموقراطيا لهذه الأسباب ، ولن يكون ديموقراطيا مالم يؤمن بالاختلاف والتعدد الحضارى والثقافى بدل أن يمارس هيمنته اللغوية والفكرية ويفرضها داخل نماذجه ومساعداته المحملة بقيم الفرنكوفونية مثلا أو غيرها ، ولا يمكنه أن يكون ديموقراطيا لهذه الأسباب ، ولا يمكنه أن يكون ديموقراطيا مالم يتم إعادة توزيع الثروات العالمية توزيعا عادلا وطبيعيا .

لكن الغرب صنع له حلفاء داخل بلداننا من أنظمة ومثقفين لهم مصالح خاصة مع الغرب ، ويدعمها هذا الغرب من جهته لتكون المنفذ لمخططاته والحامى لمصالحه وأطماعه ، كذلك تعمل هذه الأنظمة داخل دول العالم الثالث على تركيز سياسة الجمود وعدم التغيير وقمع كل أصوات الرفض لهيمنة الغرب .

إن الديموقراطية مثل الهواء بالنسبة للإنسان ، ولذلك ليس الإنسان المحروم من حريته وحقه فى التعبير عن الرأى والكرامة ، فى حاجة إلى أن تأتيه فكرة الديموقراطية عبر وسطاء من الخارج حتى يستطيع حينها النهوض للمطالبة بحقه فى الديموقراطية ، وأتساءل هنا هل كانت حركات التحرر الوطنى على اختلافها فى الوطن العربى وإفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية فى حاجة إلى وسيط لتنتفض ضد المستعمر ؟ هل كانت الحركة الوطنية بضاعة مستوردة هى الأخرى من الغرب أم أنها ولدت كرد فعل ضد حضارة غربية كانت تريد توسيع هيمنتها على حساب حضارات أخرى ودول أخرى ؟ . ولما كنا نطالب الغرب بتطبيق « ديموقراطيته » المزعومة كان يرد قائلا :

« هى غير صالحة لغير الغرب » ؟

إننى أقسم التاريخ المعاصر إلى ثلاث مراحل : المرحلة الاستعمارية والتى عشناها إلى حدود الخمسينات أو الستينات ، وهى مرحلة واضحة فى طبيعتها إذ يكفى أن تخرج للشارع لتعرف أعدائك .

المرحلة الثانية هى مرحلة شبه الاستعمار ، وتمتد من بدايات الستينات إلى ٢ أغسطس ١٩٩٠ لأنه برحيل الاستعمار ، ترك لنا قبل ذهابه هياكل غيرقادرة على مسايرة التطورات المتسارعة مما أثر على تعطيل نمو مجتمعاتنا ، وبالخصوص ترك لنا طبقة مثقفة بعيدة عن جذور المجتمع وقاعدته العريضة ، تسببت فى قطع الاتصال الطبيعى الذى كان ما بين الحركات التحريرية الشعبية وبين الشعب ، وفى مقابل ذلك نجد عددا كبيرا من هؤلاء المثقفين مشدودين إلى تقليد الغرب وترديد قيمه وترويجها بوعى أو بدونه ، كما نجد جزءا آخر منهم يجتذب نحو مؤسسة السلطة ليصبح تقنياً لها وعاملا فى إدارتها ومخططا لبرامجها ذات الاتجاهات المعاكسة لرغبة أغلبية السكان فى التغيير . ولكن تجد رغم كل هذا تعاليا لا مثيل له عند هؤلاء المثقفين يعتبرون فيه أنفسهم النخبة العارفة والطريق المنير الذى بدونه لن تستطيع أغلبية السكان عمل أى شئ لتغيير أوضاعها السيئة ، وينسى عدد من هؤلاء المثقفين أنهم كانوا يتجولون داخل فنادق وصالونات الغرب حين كان الشعب إلى جانب وطنييه المخلصين يخاطرون بحياتهم داخل القرى والبوادى والمدن لمناهضة الاستعمار .

فى مرحلة الاستعمار الجديد ، صرنا نطبق برامج مفكرة ومعدة بالخارج ، خاصة تلك التى تسمى « المساعدة الفنية » التى تأتينا من « منظمات دولية » أو من البنك الدولى وغيره من المؤسسات الإمبريالية التى عمقت هوة الفوارق الحاصلة داخل المجتمع ، كما ركزت مصالح وتحالفات مشتركة بينها وبين فئات قليلة معادية لمصالح الشعوب ولطموحاتها .

أما المرحلة الثالثة فتبتدأ بـ ٢ أغسطس ١٩٩٠ ، وهى مرحلة ما بعد الاستعمار ، فلا يمكن بعد اليوم الحديث عن شبه استعمار . بعد ٢ أغسطس رُفع عنه كل الحجب ، ولابد هنا من أن أنبه إلى عدم الانزلاق فى أطروحات الإعلام الغربى الذى كلما حدثت مشكلة صنع لها اسما ليختزنها ويخفى أبعادها الحقيقية ، فمشكلة الخليج ليست مشكلة صدام

حسين وسواء كان صدام أو غيره كان سيحدث ما حدث ، والعراق كان مستهدفا لما حققه من « عصيان » ضد مبدأ الاستسلام للغرب ، فبنى أسس استقلاله عن التبعية للغرب ، ولذلك تحرك الغرب كله ضد العراق حتى لا يكون قدوة لدول العالم الثالث .

وأسمى هذه المرحلة ما بعد الاستعمار لأنها حرب انطلقت ولن تنتهى بغض النظر عن كل النتائج المادية ، فالحرب القادمة هى حرب ثقافات وحضارات بين الشمال والجنوب ، وهى حرب بين فكرة التسلط والاستبداد الحضارى وبين فكرة الاختلاف والتعدد .

إن الغرب يكرس الآن كل وسائله لينسينا ما حدث ، وليحدثنا عن « ما بعد الحرب » ويحاول أن يوهمنا أن ما حدث هو من صنع فلان ، فى حين أن التاريخ تصنعه أحداث متراكمة وتوجهه موجات وتيارات عميقة وكبيرة وشمولية . وخلال شهر أغسطس عشنا أول تجربة من هذا النوع فى تاريخ العلاقات الدولية ، لما صار فيها من فراغ على مستوى هذه العلاقة على صعيد عالمى واسع .

لقد كان العالم يسير على توازن قوة اشتراكية شيوعية يقودها الاتحاد السوفيتى وقوة ثانية هى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان بين القوتين اتفاق سرى للتحكم فى توازن العالم والسيطرة عليه ، بينما كان العالم الثالث يظن نفسه محظوظا على أساس الانزياح لهذه القوة أو تلك كلما اعترضته مشكلة ، لكن انتهى ذلك بمجرد حدوث تحولات كبرى فى أوروبا الشرقية نتيجة تحلل إيديولوجى واقتصادى أساسه إرادة فى تحقيق تغيرات ديموقراطية . أما الولايات المتحدة الأمريكية فكانت تعانى أزمة تاريخية قيمية ، اقتصادية مالية ، وحضارية ، وكانت تبحث عن مشاكل خارجية تغطى الفراغ الدولى وتسحب أنظار رأيها العام عن الأزمات الداخلية الحقيقية - خاصة وأنها على مشارف انتخابات مقبلة - إلى خارج أراضيها . ولم تكن الولايات المتحدة تستهدف بتدخلها الهيمنة على النفط وحده ، بل لدرء مخاطر الغليان الذى بدأت تحبل به دول الجنوب ، والذى أصبح يهدد مكانة الولايات المتحدة ومصالحها السياسية والاقتصادية والحضارية .
لقد كنا نقول منذ أكثر من ١٥ سنة فى دراسة للسيناريوهات المحتملة بالخليج أن هناك احتمال كبير لاحتلال الخليج الذى كان يظهر كمخطط معد قبل الإعلان عن مشروع النظام العالمى الجديد . وجاء النظام العالمى الجديد لحماية مصالح الولايات المتحدة وحلفائها بثلاثة خطط دقيقة هى : سياسة التجزئة ومحاربة الوحدة ، سياسة الاستقرار

ومحاربة التغيير ، وهو ما ظهر جليا خلال تدخل جيوش غربية إلى جانب حكام الجابون وساحل العاج والسينغال ضد تمرد السكان ومطالبتهم بتحقيق الديموقراطية ، أما الخطة الثالثة فهى سياسة التوسع الحضارى وتحقيق الهيمنة اللغوية والحضارية والفكرية للحضارة المسيحية اليهودية ضد كل الثقافات الأخرى . الغرب خائف ، ويعيش رعبا عميقا بسبب أخطار يترقبها من الجنوب خلال السنوات المقبلة : خطر الانفجار الديموجرافى الناتج عن تزايد وتيرة النمو السكانى الشبابى داخل دول الجنوب ، مقابل تراجع مهول فى الهرم السكانى لدول الشمال .

- خطر التغيير الديموقراطى والذى من شأنه تحديد كل مواقع الهيمنة والاستغلال الغربى لدول الجنوب .

- خطر حضارى من شأنه الحد من هيمنة الحضارة الغربية ، خاصة الاسلام بالنسبة للمجتمع الإسلامى العربى . فمنذ ٨٥ - ١٩٨٦ بدأت الحملة ضد الإسلام بعد أن كشف معهد بالفاتيكان متخصص فى دراسة الإسلام أن عدد الكاثوليك انخفض لأول مرة فى التاريخ عن عدد المسلمين (٨٥٠ مليون مسيحى مقابل ٨٦٥ مسلم) مع احتمال اتساع الهوة بانخفاض نسبة المسيحيين وارتفاع نسبة المسلمين .

* النص فى أصله مأخوذ من حديث مع إذاعة فرنسا الدولية (R.F.I.)
ومع إذاعة الجزائر خلال الأسبوع الأخير من شهر يناير ١٩٩١ (٢٢ - ٢٧ يناير ١٩٩١)

السلام يمر عبر احترام ميثاق الأمم المتحدة *

اجتياح الكويت من طرف العراق خرق لإحدى المبادئ المثبتة بميثاق الأمم المتحدة التي هي منظمة من أهم أهدافها حماية السلام . ولكن لا يمكن أن نجيب ونستجيب للميثاق بممارسة خرق آخر له ، لأن القرار ٦٧٨ الصادر عن مجلس الأمن والذى يستندعلى المادة ٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة ليس إشارة مرور لاندلاع النزاعات بعد ١٥ يناير عند منتصف الليل .

ولتطبيق هذا القرار يجب تطبيق المواد : ٤٣ ـ ٤٦ و٤٧ من الميثاق ، والتى تحدد أوجه وشكليات التدخل العسكرى للأمم المتحدة . وهى شروط لم تتحقق مما يجعل كل عملية عسكرية بعد ١٥ يناير تشكل خرقا سافرا للميثاق .

وقد عبر الأمين العام للأمم المتحدة عن ذلك بشكل ضمنى يوم ٣ يناير كما عبر عن ذلك أيضا رئيس الجمهورية الفرنسية بعد أيام ، فلم تتم أية مقارنة ما بين حالة كوريا (١٩٥٠) أو حالة الكونغو (الزايير ١٩٦٠) . والقوات التى توجد بالخليج لم تبعثها الأمم المتحدة وإنما بطلب أحادى من الدول التى توجد عليها هذه القوات .

ويبقى لمجلس الأمن أن يوضح نواياه فى إنقاذ السلام ، وكذا مصداقية المنظمة الوحيدة والعالمية التى خلقت لحماية السلام ، ولعل لأمينها العام سلطات كما هو مسطر فى المادة ٩٩ من ميثاق الأمم المتحدة تسمح له بالتدخل لأجل السلام ـ وهناك مجال لتحديد كيف أننا حين نتحدث عن التحالف الدولى ، لا نجد فى الواقع سوى ثلاثة دول تشكل أغلب القوات المتحالفة هى الولايات المتحدة الأمريكية ، إنجلترا وفرنسا ، والتى تمثل على التوالى : ٨٠٪ ، ٨,٥ ٪ ، ٢ ٪ ، أى ما يعادل أكثر من ٩٠ ٪ من قوات الدول

* ١٧ يناير ١٩٩١ .

« المتحالفة » ، وفيما يتعلق بالطائرات الحربية تصل مساهمة هذه الدول الثلاثة إلى ١٠٠ ٪ تقدر بـ ١٤١٠ طائرة ، وحوالى ٧٧ ٪ من مجموع المدافع وأكثر من ٧٥ ٪ من البحرية الحربية التى هى فى ملك هذه الدول الثلاثة .

وتستثنى غيابا شاملا تقريبا للقوات الأمريكية اللاتينية (دولتان فقط) بمساهمة تقدر بـ ٠,٠٥ ٪ من البحرية الحربية ، وآسيا (دولتان فقط) بـ ١,٧ ٪ من القوات .

مما يعنى أن التحالف ليس دوليا كما يحمل من غطاء ، وما يشجع على استنتاج ذلك هو استطلاع آراء الرأى العام بعدد من الدول التى تدخل ضمن هذا التحالف والتى أبرزت معارضتها لهذه الحرب ، لأن إقرار السلم هو الاتجاه العالمى الممكن لتضامن البشرية ولبقاء النوع البشرى .

إن الدعوة للسلام المبنية على احترام ميثاق الأمم المتحدة ضرورة أخلاقية وقانونية .

إن بناء نظام عالمى جديد يمر باحترام القواعد القانونية العالمية المثبتة فى ميثاق الأمم المتحدة . وقد أصبح من المستعجل العمل على احترامها إذا ما كنا نطمح لسلام دائم .

مجلة حقائق ، عدد ١٨٢

١٨ - ٢٤ يناير ١٩٩١

جريدة لوموند ، ١٧ يناير ١٩٩١ ، LE MONDE

مع « الخضراء » المغربية :
حديث شامل عن أسباب الحرب ونتائجها *

*** الخضراء** : أستاذ المهدى المنجرة .. أنت رجل مستقبلى .. تدرس معطيات الماضى والحاضر لاستقراء ما سيأتى .. ومن هذه الزاوية نعرف أنك من دعاة التغيير على المستوى العالمى .. فأنت تدعو أقطار الشمال الصناعية إلى تغيير عقليتها فى تعاملها مع العالم الثالث .. ونحن أيضا نعتقد أن التغيير ممكن .. إلا أن الدول الكبرى تمنع الدول الصغرى من التنمية والتطور ..

- المنجرة : معك الحق ، لكن اسمح لى أن أستعمل عبارة بالدارجة : « حتى يد ما تصفق وحدها » . **إن مع الدول العظمى دولا صغيرة تتعاون معها ، ونحن نعيش الآن ما أسميه بعصر الارتزاق ، هناك مرتزقة نجدهم فى حكوماتنا وفى جيوشنا وفى مثقفينا .. لقد صار الإنسان يُشترى والحكومات تُشترى بتعويضات مادية .. وما تراه اليوم فى الخليج نموذج لذلك ، فحتى التمويل يأتى من مصدر تابع لنا** .. فأمريكا ، ويجب أن نسمى الأشياء بمسمياتها ، لا تمثل سوى ٥ ٪ من عدد سكان العالم ، وتتصرف بشكل مباشر وغير مباشر فى أكثر من ٨٠ ٪ من الاحتياطيات النفطية العالمية ، وهذا شئ مرهب لدرجة أنها تتصرف فى الأمم المتحدة ، ولى بهذا الخصوص تجربة لأكثر من ٤٠ سنة ، وشاركت فى نيويورك فى المؤتمر السنوى للجمعية العامة للأمم المحدة .. وفى حياتى كلها ما رأيت كوميديا مثل التى عشتها فى الأسبوع الذى كان فيه مشروع القرار ٦٧٨ ، لما ترأس (بيكر) ، رئيس الدبلوماسية الأمريكية مجلس الأمن ، وكانت الأخبار تتحدث يوميا فى الصحافة عن الضغط الذى مورس على جميع الدول .. وقد تكلمت عن الارتزاق ، حتى أن دولة مثل الاتحاد السوفيتى ، وكى لا تستعمل حق الفيتو ، تسلمت خلال ٢٨ ساعة قبل التصويت من المملكة العربية السعودية قرضا بقيمة خمسة مليارات

* ٤ و١١ يناير ١٩٩١ .

دولار .. ولكى نفهم الأرقام : منذ نهاية الحرب الباردة ، والتعاون الموجود بين موسكو وواشنطن والغرب ، والمجاعة بالاتحاد السوفيتى ، والتعاون الأوروبى ، المبنى على نفس القيم اليهودية المسيحية ، وإلى حد الآن وحتى بالضغط على ألمانيا واليابان ، لم تجمع هذه الكتلة الجديدة لمصلحة الاتحاد السوفيتى ما يقرب من ٢ إلى ٣ مليارات دولار .. لكن فى دقيقة واحدة من الضغط الأمريكى على السعودية ، لشراء صوت فى مجلس الأمن الدولى ، أدى إلى قرض بقيمة ٥ مليارات دولار .. ولكى نعطى أمثلة أخرى ، فحتى المصاريف اليومية لـ ٥٠٠ أو ٦٠٠ ألف جندى ، وهى مصاريف الأكل والشراب والسكن والكهرباء والتسلى ، تأتى كلها من مدخول هذا النفط العربى .. هذا النفط الذى بدل أن يبقى للأجيال المقبلة يُستغل من طرف الولايات المتحدة والغرب ، ويُتصرفّ فيه كأنه ملك لأوروبا وأمريكا .

* الخضراء : هذا تلوث ...

ـ المنجرة (مقاطعا) : هذا تلوث فى الأدمغة ، ولكن بهذا التشاؤم أنا على يقين ، والله هو الوحيد الذى عنده اليقين التام ، أن هذه مرحلة انتقالية .

* الخضراء : هذا عام آخر قد مضى .. وعام جديد قد بدأ .. ونريد أن نسمع منك : ماذا تتمنى لهذا العالم المتحرك ؟ وما هو نوع النزاع الذى تتوقعه على المستوى الحضارى العالمى ؟

ـ المنجرة : أمامى الآن مجلة محترمة (The Economist) ، وبها مقال طويل عن الإسلام والغرب ، يقولون بكل صراحة : بما أن الحرب الباردة قد انتهت والحرب الباردة هى حرب أيديولوجية ، ففى المستقبل ليس هناك إلا نزاع يمكن أن يتوقعه الإنسان ، وقد بدأ فعلا ، وهو النزاع بين الإسلام وما يمكن أن نسميه بالعالم اليهودى المسيحى .. وأظن أن التاريخ الرسمى لهذا هو العهد الأخير والاتفاق الذى تم فى باريس بين رؤساء دول أوروبا كلها بحضور الرئيس الأمريكى .. وهذه الاتفاقية وضعت نهاية الحرب الباردة والحرب الإيديولوجية داخل واقع حضارة موحدة لأوروبا الشرقية والغربية ذات نفس القيم ، وهى قيم يهودية مسيحية .. عهد هذا النزاع له مؤشرات ، وشخصيا أشير لها منذ سنين .. ومنذ ١٩٧٦ وأنا أقول إن الحروب المقبلة ستكون قبل كل شئ حروبا حضارية ثقافية ، فيها المصالح الحضارية أكثر مماهى اقتصادية وسياسية .. وما قد

دخلنا فى هذا العهد ، ويجب على كل إنسان فى العالم الثالث مسلما كان أو غير مسلم ، أن يفهم أن الخطر الموجود الآن هو الهيمنة الحضارية ..

* **الخضراء :** مروع هذا الذى نسمع منك أستاذ المنجرة .. فبضع سنوات من الظلام ستكون ضريبة ثقيلة ، خاصة وأن العالم جاثم على بركان نووى .. فممكن أن تستخدم الأسلحة النووية ، ونريد أن نسمع رأيك .. فقل لنا بصراحة : هل أنت متفائل من أن الحرب فى الخليج لن تقع ؟ هل ستقع فى نظرك أم لا .

- المنجرة : يوم ٢٧ سبتمبر المنصرم ، وفى استجواب مع Radio France) (International ، وهو استجواب نشرته عدة صحف منها جريدة (العلم) ، قلت : إنه غير ممكن ألا تقع الحرب ، وألا تستعمل الأسلحة فى منطقة الخليج .. الآن أقول إن هناك فرقا بين اليوم و٢٧ سبتمبر ، فقد ظهرت عناصر جديدة لم تكن تخطر ببالى ، فلم أكن أتصور أن يصل التعامل إلى الحد الذى وصل إليه ، كما قرأنا فى الصحف بعد المؤتمر الخليجى الذى أنعقد فى دولة قطر ، والذى برهن عما أسميه بالخيانة للتاريخ ، والخيانة أمام العالم العربى ، وخيانة للإسلام ، وأكثر من هذا : الخيانة الكبرى للعالم الثالث ..

ما كنت أتصور أن يصل الحد إلى درجة القرارات التى اتخذت فى الدوحة ، عاصمة قطر .. وليس ضروريا أن أدخل فى التفاصيل ، هذا هو العنصر الأول .. العنصر الثانى : ما كنت أتصور ، حسب المؤشرات والدراسات التى كانت موجودة أنه سيجئ يوم بعد ثلاثة أشهر فنجد فى الخليج ٦٠٠ ألف جندى أجنبى .. لا أظن أننا إذا جمعنا السكان الحقيقيين لمنطقة الخليج ، وأقصد ما يسمى بالمواطن الحقيقى فى الكويت وقطر والبحرين والإمارات ، سنحصل فى المجموع على عدد الجيوش الأجنبية الموجودة فى المنطقة ..

وعندما أتكلم عن المواطنين ، أقصد الذين لهم الحق فى الإنتخابات فى الدول التى بها نوع من الانتخابات مثل الكويت .. فهذا الوجود العسكرى بهذه الدرجة لم يسبق له مثيل حتى خلال الحرب العالمية الثانية ، وهذا هو العنصر الثانى .. العنصر الثالث : ما كنت أتصور كل هذا الانسجام الغربى ، بقطع النظر عن بعض التصريحات التى

نسمعها من الرئيس الفرنسي من هنا أو هناك .. فهناك اتفاق شامل بين الدول الغربية ، وهناك أهداف معينة ، وهم متفقون على اللقاء فى المنطقة .. والآن المسألة ليست مسألة أن تكون حرب فقط ، بل مسألة الدوام ، مسألة أن تكون هناك اتفاقيات جديدة بحيث يبقى للغرب وجود فى المنطقة ، سواء تغيرت الأنظمة الموجودة هناك أو لم تتغير .. **فهؤلاء « الناس » راحوا إلى الخليج ليس كسياح لشهرين أو لحرب ، بل لنوع من البقاء ، وهذا هو الشئ الخطير** .. والسؤال (هل ستكون هناك حرب أم لا ؟) كان له أساس يوم ٢٧ سبتمبر ، واليوم أقول بكل صراحة إن ما نعيشه الآن هو أن وضعية الإنسان العربى ، ليس فقط فى الخليج بل فى بقية أنحاء العالم ، تمس كل إنسان فى العالم الثالث .. وهناك مقال فى جريدة (Le Monde) منشور يوم ٢٦ ديسمبر ، يتحدث عن ردود الفعل فى بقية أنحاء العالم الثالث ويعلن أن جل الناس ، سواء فى البلدان العربية أو الإسلامية أو غيرها ، يحسون أن هذا النوع يمسهم شخصيا ..

وأكرر إذن أننا فى عصر ما بعد الاستعمار .. وإذا كانت الحرب طبعا ستُذهِب ضحايا من الطرفين ، لكن أهداف الغرب بسيطة ، فقبل النفط هى أهداف حضارية وثقافية ، وهى بعد ذلك أهداف اقتصادية ، وللهيمنة العالمية يحتاجون طبعا للنفط .. **ثالثا : الغرب لا يسمح لأية دولة من العالم الثالث ، سواء كانت صغيرة أو متوسطة ، أن تكون بإمكانيات علمية تكنولوجية عسكرية باستثناء إسرائيل .. إسرائيل هى الوحيدة التى لها « الحق » فى أن تتطور علميا وتستعمل الأسلحة وتحصل على مساعدات ووسائل معاصرة من أحدث ما يوجد ، وكذا مليارات الدولارات سنويا ، لكن إذا كانت بلاد أخرى كيفما كانت فى العالم الثالث ، وخاصة إذا كانت عربية أو مسلمة . لن يسمح لها أن تصبح بإمكانيات لأن تتحاور على مستوى الدول الوسطى مثل ما نجد فى أوروبا** .. فالهدف الثانى فى الخليج هو أن تلك البلاد (العراق) التى ضحت وقامت بمجهود فى البحث العلمى ووصلت إلى نوع من المستوى يجب أن تكسر ، هذا هو الهدف الثانى .. والهدف الثالث هو استعمار جديد لمنطقة معينة . والآن على كل حال أتضحت الأمور بعد ٢ أغسطس ،

ولا يمكن لهذا الغرب أن يعطى دروسا لأى أحد ، لا فى الديموقراطية ولا فى حقوق الإنسان ولا فى أى شئ .. وفى هذا اليوم الذى أتكلم فيه مع (الخضراء) ، وهو ٢٧ ديسمبر ، نشرت لائحة بعدد الدول التى أعطت الحكومة الأمريكية تعليمات لرعاياها أن يتركوها ..

فى الوقت الذى تتكلم فيه الولايات المتحدة عن الدفاع عن منطقة عربية وعن هذا النظام العالمى الجديد ، نرى أن تعليمات قد أعطيت فيما يخص البلدان العربية فقط ، وهذا يخص البلدان العربية فقط ، وهذا يخص مواطنيها فى موريتانيا والأردن والصومال واليمن والسودان وقطر والإمارات والشط الشرقى من السعودية .. إذا كانت أخبار جريدة (Le Monde) حقيقية ، فإن الرعايا الأمريكيين فى المغرب لهم تعليمات لترك البلاد قبل ١٥ يناير ، وهذه علامات هذا الخوف ، وهذا برهان من الأمريكان والغرب ..

* **الخضراء** : وإذن ، هنا لابد أن نعود لكلامك .. فلا بد من نظام عالمى جديد .. ولا يتسنى تحقيق مسألة النظام الجديد إلا بإعادة النظر فى هياكل منظمة الأم المتحدة ..

– المنجرة : طبعا .. فى سنة ١٩٧٣ ، بالجزائر ، كان مؤتمر قمة عدم الانحياز ، وكان هناك قرار ، القرار نُقل إلى نيويورك وصادقت عليه الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ ، وهذا القرار اسمه (النظام الدولى الاقتصادى الجديد) ، وفيه مطالب بسيطة ، وهى مطالب إصلاحية لتغيير التوزيع غير المتكافئ فيما يخص العلاقات بين الشمال والجنوب .. أما الدول التى حاربت هذا النظام الجديد بمساندة البنك العالمى ، فهى الدول الغربية .. والآن ، ونحن نتكلم عن نفس النظام الجديد الذى يتكلم عنه الأمريكيون والغربيون ، وهو فى الحقيقة خرق للقانون .. وإنى قد أمضيت حياتى فى التعاون الدولى .. وأقول : مصداقية الأمم المتحدة ما وصلت يوما لأسفل مما وصلت إليه الآن ، بقطع النظر عن التصويت ، لأن التصويت مسألة شكلية ، وهى مسألة ارتزاق ونتيجة رشوة داخل مؤسسة عالمية مثل مؤسسة الأمم المتحدة .. ولنأخذ القرار ٦٧٨ الذى يحدد كأجل يوم ١٥ يناير ، فإذا رجعنا إلى ميثاق الأمم المتحدة نرى أن هذا القرار مبنى على البند ٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة ، لكن هذا البند لا يمكن تطبيق ما فيه إلا إذا رجع الإنسان للبندين ٤٦ ، ٤٧ .. ولكى نأخذ الوضعية الحالية ، فغير ممكن لأى دولة ، سواء أمريكا أو غيرها أن تقرر يوم ١٥ يناير بنفسها أن الشروط متوفرة للهجوم .. وضرورى

أن يجتمع من جديد مجلس الأمن وأن يقرر ويحل الوضعية .. فإذا وجد أن الشروط متوفرة للتدخل ، أى نوع من التدخل ، لأن القرار يتكلم عن وسيلة لكن بدون تحديد ما إذا كانت وسائل عسكرية أوغير ذلك .. ومع ذلك فهذا لا يكفى ، ضرورى أن تطرح المسألة ، كما هو منصوص فى البند ٤٧ أمام لجنة الأركان العامة ، وهذا لم يطبق أبدا منذ بداية الأمم المتحدة إلى اليوم .. إذن ، حتى الشروط الشرعية القانونية الأساسية لم يتكلم عنها أحد .. وهناك ما هو أكثر ، وهذا أقوله بكل مسئولية ، وهو أنه حتى الأمين العام للأمم المتحدة .. وأمامنا فى مشاكل الكونغو وغيرها مواقف (يوثانت) وحتى مواقف (فالدهايم) .. وعندما كانت المشاكل فى شكل جنوب / جنوب ، كنزاع العراق وإيران ، كان الأمين العام للأمم المتحدة يتحرك بسرعة ويُرسل مبعوثين ، لكن حتى هذا المجال منعدم .. فقد قررت الأمم المتحدة ألا تسمح له كأمين عام أن يتصرف فى مسئوليته .. إلى هذه الدرجة وصل الضغط .. ولننتقل من الأمم المتحدة إلى جامعة الدول العربية ، فللأسف كان هذا موضوع أطروحتى للدكتوراه .. هنا نرى التعامل والطريقة خلال مؤتمر القمة الأخير بالقاهرة ، وهذه الطريقة التى اتخذت بها القرارات تخرق جميع القوانين الموجودة فى الجامعة العربية .. ، ما هو هذا النظام الجديد ؟ وما هو احترام هذا القانون ، ونحن نرى مستوى منظمات مثل الأمم المتحدة ، وحتى جامعة الدول العربية التى هى أقدم منظمة دولية حكومية .. فتأسيسها سبق تأسيس الأمم المتحدة ، هذه إذن مسألة مصداقية ، ومسألة جدية ، فدعهم يتكلمون عن النظام العالمى الجديد .. طبعا ، هناك (نظام عالمى جديد) يتكون ، وهو مبنى على التعددية ومبنى على الديموقراطية ، وعلى العدل ، واحترام الحضارات ، وعلى القيم والحريات ، ومبنى على محاربة الضغط كيفما كان ومن أى مكان أتى .

* **الخضراء** : فى العدد الماضى حدثتنا عن قضايا تتمحور حول أزمة الخليج .. مازلنا متشوقين إلى المزيد من تحليلاتك الخليجية .. وأيضا نريد أن نعرف رأيك فى إشكاليات البيئة .. وبرأينا ليست البيئة فقط هى الطبيعة ، بل هى الإنسان ، فأينما يوجد الإنسان توجد البيئة .. وسؤالينا : هل للقضاء على التلوث مستقبل ؟ وهل للتنمية آفاق ؟

- المنجرة : توصلتُ حديثا بلائحة ٥٠ أهم كتب نشرت خلال ١٩٩٠ حول المستقبل .. وأحسب أن ١٢ منها ، أى تقريبا ٢٥ ٪ لها علاقة بمشاكل البيئة .. ومشاكل البيئة لا يمكن

أن تُحل أو توجد لها حلول سوى بنظرة مستقبلية ، أى على أمد طويل . هذا من جهة ..

من جهة أخرى ، فإن هذا الرقم هو برهان على الاهتمام بمشاكل البيئة ، بمفهومها الشامل فى العالم .. وبإيجاز فإن هذا الاهتمام يمكن أن يُفهم إذا قلنا إنها قد أصبحت ليس فقط قضية تكنولوچية أو مسألة سياسات ، بل هى قضية لها علاقة بالبقاء فوق هذه الكرة الأرضية . لهذا ، لما نتكلم عن البقاء نرى أن مشكلة البيئة من الأولويات المستقبلية .. وعندما نتكلم عن المستقبل نقصد المستقبل الذى يبدأ اليوم .

والتطورات التى حصلت فى العلم ومفاهيم الكون تبرهن شيئا لم نكن نعرفه من قبل . هو أن الكرة الأرضية نفسها هى فى الواقع حية .. فقد تبيّن علميا أن للكرة الأرضية ما يسمى Auto-régulation ، وهذا يعنى أن هناك وسائل طبيعية تجعل الكرة الأرضية تتعامل مع التطورات ، وأن حتى ما يخص الحرارة الموجودة فى الجو أو عدد الحوامض فى البحار أو كل التغييرات التى تحدث فى الطقس ... هنالك نوع من المراقبة الطبيعية ، وهى ردود فعل من طرف « جهاز » الكرة الأرضية نفسها ..

وإذن ، فهذا التطور الحاصل فى المعرفة يلزمنا أن نتعامل مع الكرة الأرضية ومع الكون نفسه من الناحية العلمية بأسلوب آخر ، وضرورى أن يكون الأسلوب ديناميكيا ، وأن نرى بالخصوص العلاقة الموجودة بين مشاكل البيئة وما يمكن أن نسميه بالقيم الحضارية أو الاجتماعية والثقافية ... وهناك علاقة متينة بين مشاكل البيئة الخاصة بالبحار والغابات وانجراف التربة ، والسكن والديمجرافية .. والمشكل الكبير أن أنواع من الحشرات والنباتات تموت يوميا وتضيع ولا تتجدد ، وهذا شئ خطير لأن البقاء نفسه مبنى على التعددية ...

والتعددية فى الطبيعة شئ أساسى ..

والتعددية ليست فى الطبيعة فقط ، لكن أيضا فى الميادين الثقافية والحضارية والسياسية ، حيث تعتبر أمرا مهما ...

ويجب أن نكون واعين بأن مشاكل البيئة ليست خاصة بالخبراء أو العلماء أو المهندسين أو المختصين فى التلوث ، بل تهم كل من يعيش فوق هذه الأرض .. ولهذا يمكن أن نقول أن المشكلة الأولى فى ميدان البيئة هى نفس المشكلة التى تواجهها الحضارة المعاصرة وهى أزمة الأخلاق ..

وهذه الأزمة الأخلاقية لها أيضا علاقة بالنموذج التنموى المبنى على الحضارة الغربية ، وهذه مبنية على أساس الصناعة ، ومفهوم الصناعة ، كأنه محاربة للطبيعة ..

والآن بدأ الناس يفهمون خطر هذا النموذج التنموى .. وأظن أن هذه نقطة تحوّل سيكون لها أثر مهم فيما يخص تطورات نهاية هذا القرن وبداية القرن المقبل ..

* **الخضراء** : عندما قلت إن المستقبل بدأ اليوم ، فهمت أن المستقبل بدأ أمس ، بمعنى أنه يجب علينا أن نستخلص التجارب ونستفيد منها لمواجهة الغد .. ومن خلال شرحك المستفيض ، فهمت أن البيئة مشكل كونى ، عالمى .. ولكن ، هل يمكنك أن تحدث قراء (الخضراء) عن زاوية أخرى من هذا المشكل البيئوى .. وهى الزاوية الإقليمية ، المحلية .. كيف نواجه نحن المغاربيين ، نحن المغاربة ، مشكل التلوث الآتى أساسا من الشمال ، أى من البلدان المصنعة ؟

ـ المنجرة : السنة الماضية ، برهنت عن إفلاسها .. وهذا أول درس يجب أن نستنتجه .. وغير ممكن أن نخطط فى قضايا البيئة والتلوث وغيرها إذا لم نبادر أولا إلى تغيير فلسفتنا التنموية ومقاصد هذه التنمية .. لماذا أعلن أن النموذج التنموى للعالم الثالث قد برهن عن فشله ، لأنه نموذج تقنوقراطى ، ليس مبنيا على الإنسان وعلى تحسين حياة الأشخاص ، بل هو مبنى على الانتاجية والتصنيع والمادة .. وهذاما أدى إلى أن الفرق بين الضعيف والقوى ، وبين الفقير والغنى يزداد اتساعا يوما بعد يوم ، أولا بين الشمال والجنوب ، وثانيا بسرعة أكبر وأخطر داخل الجنوب نفسه ، بحيث أن الفرق بين الفقير والغنى قد ازداد استفحالا خلال العشر سنوات إلى ١٥ سنة الماضية .. وهذا ما يبرر الانفجار الذى نعيشه منذ سنوات فى العالم الثالث ، من تونس إلى الجزائر عام ١٩٨٨ ، وإلى المغرب فى الأيام الأخيرة ، وإلى ما نعانيه من أزمات فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .. وهذا شئ طبيعى .. فعندما تقول تفسيرك فيما يخص المستقبل ، معك الحق .. أنا أقول إن المستقبل يبدأ اليوم فيما يخص خطة سياسية أو عمل .. أما ما نعيشه اليوم أو ما سنعيشه خلال السنتين أو الثلاث سنوات القادمة ، فهذا ناتج عما عملناه أمس .. فضرورى إذن أن نواجه نتائج سياسات فاشلة فى الماضى ونحاول تغييرها ، وأيضا نخطط سياسة جديدة تبدأ أولا بمفهوم جديد للتنمية ، بحيث يكون النموذج التنموى الجديد مبنيا على الإنسان وكرامة الإنسان ونوعية الحياة وحد أدنى من العدالة

الاجتماعية والتوزيع .. وهذه أشياء لها علاقة بالخطة السياسية والتنموية والصناعية .. فمثلا: تجد عدة دول من العالم الثالث نوعا من التخطيط على أساس استقدام صناعات ملوثة .. فالدول الصناعية أدركت خطورة بعض الصناعات التي ينتج عنها التلوث ..

هنالك محاولات واعية من طرف بعض الحكومات في دول العالم الثالث تعتبر أن هذه فرصة لنقل هذه الصناعات ـ التي كلها تلوث ـ إلى مناطقنا .. وهنا أتكلم بطريقة شمولية .. وعندنا في منطقة آسفي والجرف الأصفر بعض المشاريع أقول عنها من زمان يجب أن تكون لنا وسائل علمية لمتابعة ما يحدث عن هذه الصناعات .. ثانيا : التطور السريع في عدد سكان المدن ، هذا أدى إلى عدة مشاكل فيما يخص التلوث من الناحية الصحية داخل المدن وفي أعماق البحار .. فبخصوص البحر الأبيض المتوسط ومنطقة مهمة من المغرب هي بجانب هذا البحر .. هناك تأثر بما يحدث شمال المتوسط ، حيث المجهود الصناعي كبير مع الصناعة السياحية بجنوب إسبانيا وإيطاليا وتركيا والشرق الأوسط ، وأيضا الدور الاستراتيجي فيما يخص النقل البحري ، وكذا من الناحية العسكرية .. وكل هذا يجعل الناس تتكلم الآن عن موت البحر الأبيض المتوسط ..

وللأسف فإن الأحداث الراهنة مثل الوضع في الخليج ، هذا الذي كان يُسمى « الخليج العربي » ويمكن أن نسميه الآن « الخليج الأمريكي » لأن عدد العسكريين الموجودين هناك أكثر من سكان بعض الدول الخليجية نفسها .. هذا أدى إلى حركة غير عادية ... وأمامي الآن احد الأعداد الأخيرة للجريدة الأمريكية (International Herald Tribune) ، وعدد آخر من (New York Times) ، وفي مقال واحد عن « مختبر الأسلحة الأمريكية بالخليج » ، .. وكنت قد كتبت قبل ٣ أشهر مقالا توقعت فيه أنه سيحدث نزاع عسكري في الخليج .. ومن الأسباب الموضوعية التي كنت قد قدمت ، أن النزاع سيكون مناسبة لاختبار وتجربة أسلحة جديدة ما كان يمكن أن تجرب من قبل ، نظرا للحروب الباردة التي كانت سائدة .. وأعطي هذه كأمثلة في ظل الوضعية الجديدة التي نحن فيها وعلاقتها من جديد بالأزمة الأخلاقية .. وأعني أن هذا التصرف الذي نجده لدى بعض المسئولين في جميع أنحاء العالم ، سواء كانوا في الشمال أو الجنوب ، ليس فيه أي اعتبار للمستقبل والأجيال القادمة ولا لنوعية الحياة .. وها نحن نعيش في هذا الزمن ما أسميه بالهمجية المعاصرة ، والأمر يتعلق بعهد ما بعد الاستعمار ، والمسئولية ليست على

الشمال فقط ، المسئولية أيضا على الجنوب ، وعلى دول العالم الثالث التى لم نجد فيها أى نوع من الجدية فيما يخص ممارسة مشاكل مهمة مثل مشكل التنمية .. والتنمية ذات علاقة مباشرة بمشاكل البيئة ..

* **الخضراء** : يظهر إذن أن للتلوث مستقبلا كبيرا إذا استمر الوضع الجنوبى على حاله .. فالتنمية تجرنا إلى مبدأ أساسى هو تغيير النمط السياسى السائد .. فلا تغيير لفكر بدون مسار ديموقراطى بعقلية متطورة تواكب الواقع الجنوبى .. فكيف ترى مستقبل البيئة ؟

- المنجرة : إن الإنسان عندما يتجول فى أية منطقة من مناطق العالم الثالث ، ودعنا نتحدث عن منطقة المغرب الكبير ، يرى أنه خلال العشر سنوات الماضية فقط حدث تغيير واضح بالنسبة للطبيعة ، والفواكه والمذاق ، بالنسبة للغابات ، بالنسبة لشاطئ البحر ، وبالنسبة للهواء نفسه .. وقد ظهرت دراسات فى العالم كله ، ومعها برزت مقاييس ومعايير دولية جديدة تخص المحافظة على البيئة ومحاربة التلوث .. ودول المغرب الكبير لم تتبع أية توصية من هذه التوصيات لأن فكرة التنمية الموجودة عندنا لم تأخذ بعين الاعتبار أن الانتاجية الحقيقية ليست من المصانع فقط ، بل أيضا فى ربط هذا الأسلوب الصناعى مع نوعية الحياة والمحافظة على الطبيعة والبيئة .. ، وحتى ولو كان عندنا مسئولون أو شبه مسئولين عن مشاكل البيئة فى بلدان العالم الثالث .

لكن فى الواقع ليست لنا متابعة ، وليس لنا اهتمام كافى بهذا المشكل .. وأظن أن سؤالك حقيقى ، وأنه لن يكون لنا أى اهتمام بهذا الموضوع إلا إذا اهتممنا بالشخص نفسه ، بحيث أن الديموقراطية والحرية ، وخصوصا حرية الرأى والنقد والتحليل والعلم والاجتهاد والتعددية والاختلاف فى وجهات النظر ، يؤدى بالمواطن كيفما كان ليصير نفسه جنديا يتجند للدفاع عن البيئة ، عن بيئته الخاصة داخل نفسه وعن بيئته الأسروية ، وعن قريته وبلاده ، أو جوه وطقسه ، فيصير له دور ليس للتعبير عن الرأى فقط ، ولكن أيضا بالمتابعة والانتخابات والأسئلة فى البرلمان والمقالات فى الصحف وحتى محاكمات أمام المحاكم .. لكن الانطلاق لكل هذا يرجع لحد أدنى ضرورى من الديموقراطية باحترام التعددية وبناء ما يسمى بمجتمع مدنى ، وباحترام تام لحقوق الإنسان .

ومشاكل البيئة أصبحت الآن من جملة الاهتمامات بحقوق الإنسان كما هي في ميدان التشريع على المستوى المدنى والدولى ..

* **الخضراء** : المغرب يقع بين بحرين .. إن المغرب بلد البحرين ، والبحر الأبيض المتوسط ممر دولى ، وربما هو أكبر ممر دولى من حيث الملاحة البحرية .. وهذه الأيام تأتى الذكرى الأولى لانفجار الناقلة البترولية الإيرانية (خرج ٥) ، التى هددت الشواطئ المغربية .. نحن إذن فى ممر دولى لبواخر عسكرية وسفن تحمل رؤوسا نووية .. فهل تستبعد أن يقع حادث من نوع (خرج ٥) ، لكن بشكل إشعاعى ذرى ؟ هل هذا مستبعد ؟

- المنجرة : ليس مستبعدا ، وليس هناك أى شئ مستبعد فى مجال الكوارث الطبيعية ، وليس المقصود هنا المفهوم الطبيعى فقط ، بل أيضا ما سينتج عن سلبيات تسيير وتخطيط وسياسة واستراتيجية .. ليس لنا حتى السلطة الحقيقية فى بلدان العالم الثالث على بيئتنا حتى من الناحية الشرعية ، سواء تعلق الأمر بالجو أو الشاطئ أو البحار .. وهذه المشاكل لا يمكن حلها بين دولة ودولة .. إنها من ميادين الاندماج الاقتصادى والاجتماعى .. فعندما نتكلم عن المغرب الكبير يجوز أن تكون هذه أول نقطة يجب أن نبحثها .. فبدون خطة وبدون استراتيجية وسياسة متكاملة بين مجموعة من الدول أو مجموعة اقتصادية كبيرة فى العالم الثالث لا يمكن أن نواجه هذه المشاكل وخصوصا الجانب السياسى منها .. ففى العالم العربى ، وباستثناء بلدان قليلة ، لم نتصرف فقط فى مشاكلنا حتى اليومية .. وهنا أظن أن ما يجرى فى دول الخليج برهان كبير على هذا وهناك نوع من النفاق التام ، بحيث أن دولة مثل الولايات المتحدة ، وبمساندة فرنسا وبريطانيا ودول أخرى ، تتكلم عن أسلوب جديد ونظام عالمى جديد .. وفى الواقع هذا النظام الجديد ليس سوى هيمنة جديدة تامة كاملة أكبر مما عرفناه حتى فى وقت الاستعمار ، لأن مصيرنا نفسه أصبح فى أيدى هذه الدول التى تتحكم يوميا بطريقة لا علاقة لها بمصالحنا ..

* **الخضراء** : والنظام الجديد ، سواء كان اقتصاديا أو سياسيا يشترط إنسانا جديدا .. وبصراحة هل أنت راض على الإنسان المعاصر ؟ هل يشكل نموذجا للإنسان الذى كان يجب أن يكون ؟

- المنجرة : كمؤمن ، لى ثقة تامة فى كل ما خلق الله على هذه الأرض من نبات

وحيوان ، وثقة فى الكرة الأرضية نفسها ، وفى الكون والأشخاص .. ولا يمكن إلا أن أتفاءل وأن أؤمن أن فى وقت قريب سنرى تغييرات جذرية لكى يكون هذا الإيمان ، بقطع النظر عن لون الإنسان ودينه وجنسه ، بأن للإنسان مستقبلا .. ولكن ، ولكى يتحقق هذا الأمل ، هناك عراقيل فى الطريقة .. فكيف يمكن أن يكون لى أمل بخصوص العالم الثالث فى وقت نجد أن ٦٠ ٪ من سكان العالم الثالث أميون ، هذا أول مشكل ، وهو الجهل .. وليس الجهل فقط ، بل استغلال هذا الجهل وممارسة هذا الجهل لأغراض سياسية من طرف مسئولين حكوميين داخل بلدان العالم الثالث . لأن محو الأمية أصبح أمرا بسيطا يمكن تحقيقه خلال ٦ سنوات .. وأظن هذه أول مرحلة يجب أن نتغلب عليها إذا أردنا نوعا جديدا من التنمية ونوعا جديدا من الإنسانية ، وإذن : نوعا من الحد الأدنى للعدالة الاجتماعية ..

فهذه الفوارق الشاسعة فى العالم الثالث هى أكبر تلوث .. والتلوث الأخلاقى مبنى عليه عدة أشياء من ناحية القيم والمادة والمعاملة الإنسانية بين الناس ومدى احترام كرامة الأشخاص .. هذه كلها مشاكل مرتبطة ببعضها البعض ، ولا يمكن أن نواجهها من زاوية واحدة دون أن نفهم ما هى علاقتها بالمشاكل الأخرى .. لكن ، هذا الإيمان يجعلنى أقول ، إنى راض بما سيكون عليه الإنسان فى المستقبل .. فإذا لم يكن هناك مستقبل ، لماذا يهتم الإنسان بالمستقبل .. والدراسات المستقبلية جعلتنى أعى كل الوعى المشاكل الراهنة ، على الأمد القصير أى الأربع أو الخمس سنوات القادمة .. خلال هذه الفترة بالذات أنا متشائم ، وهو تشاؤم كبير لا حد له ، ولكن هذا التشاؤم فى الواقع هو أساس التفاؤل بالتغييرات الكبيرة التى ستأتى .

السؤال الوحيد : ما هو الثمن الذى سوف ندفعه على هذا التغير ؟ إذا بدأنا من اليوم فى تغييرات أساسية سيكون الثمن نسبيا صغيراً .. لكن كلما تأخرنا يوما جديدا فى طريق التغيير والتجديد وتحسين وضعية الإنسان واحترام كرامته ، كان التأخر مثل الربا ، الذى ستؤدى عليه ثمنا أكبر ، حسب مدة التأخر ، سواء على المستوى الإنسانى بالمفهوم الضيق أو على مستوى الحياة بمفهومها الشامل حول الكون والكرة الأرضية .

* **الخضراء** : الأهداف الحضارية للشمال مزعجة لأقصى الحدود ، لأنها تخفى نوايا سيئة .. ونحن كبلد فى منطقة استراتيجية عالميا ، هدف لهذه الطموحات والأطماع ..

وتحليلك ينقلنى فى هذه اللحظة إلى حادث لا أنساه طوالى حياتى .. إنك تذكرنى بأيام إذاعة ميدى ١ .. فيوم ٢٠ مارس المنصرم جمع المدير العام (Pierre Casalta) الصحفيين المغاربة ، ثم قال : " C'est moi qui fait la loi " ، وسكت الصحافيون المغاربة كلهم إلا عبد ربه هذا .. فقد رددت عليه : « إذا كنت تصنع القانون فاتركنا نخدم بلدنا "Permetteznous de servir notre pays" كان رده أن فصلنى فورا من العمل .. وقع هذا منذ ما يقارب العام ، وما زال الفرنسى « يصنع القانون » ..

ـ المنجرة : معك الحق ، لأن : "C'est eux qui font la loi" وهذا المجال الإعلامى هو أكبر وسيلة فى أيديهم ويستغلونها .. فهيا لنرى هل هى الصدفة أنه فى الوقت الذى نعيش هذه الأزمة ، نجد فى بلاد مثل تونس ، هذه المحاربة تتم ضد كل واحد على أساس دينه ، وعلى أساس عقيدته .. وعندنا فى المغرب ، وحسب الصحف ، نرى السرعة التى تعمل بها المحاكم بدون متابعة القانون الحقيقى ، بدون ممارسة دولة القانون ، بدون أبحاث ، بدون حق الدفاع .. ونرى السرعة التى يتم بها الحكم على أناس بسبع سنين سجنا .. ونرى .. ونرى .. ونرى .. لكن الواقع أن كل هذا سيكون رد فعله ضد هذه الهيمنة الغربية ..

ولنا أشياء جديدة .. فالعراق قد وصلت إلى درجة التكنولوجية والعلمية ، بحيث تواجه الغرب .. وأنا أقول إن ما تعيشه العراق مع الغرب هذه الأيام ، هو مثلما عاشت اليابان مع روسيا فى ١٩٠٤ .. ففى ذلك التاريخ ما كان يخطر بالبال أن شعبا من الشعوب غير « الشعب الأبيض » ، وكانوا عند ذاك يتكلمون عن « الخطر الأصفر » ، يمكن أن يخوض حربا ، ولكن النتيجة أن اليابان انتصرت فى هذه الحرب ، ونحن اليوم نعيش نفس الفترة اليابانية ، ولنا أرقام وإحصاءات .. فالغرب يخشى الديموقراطية ، فهم لا يمثلون سوى ٢٠ ٪ من سكان العالم ولهم هيمنة على أكثر من ٨٠ ٪ من المنتوجات العالمية ومن الأموال وكل ما يباع فوق الكرة الأرضية .. وهذا لا يمكن أن يبقى مع الزمن .. وزيادة على ذلك عندهم مشاكل متعلقة بالبيئة ، ومشاكل تتعلق بالديمجرافية ، وهى الشيخوخة فى سكانهم والانخفاض فى الولادات .. فالمجموعة الغربية التى دخلت فى مرحلة الدفاع عن نفسها وتحس بخطر وتخوف ، إذا لم تغير سياستها بسرعة فستجد نفسها فى ظروف تتغير تغيرا تاما ..

وغير ممكن أن نتوقع أنه بعد سنين سيمكن لفئة قليلة صغيرة أن تبقى فى هيمنتها على العالم .. وهناك عنصر ثان ومهم جدا ، وهو أن من بين التحولات الكبرى التى سيعيشها العالم فى مدخل القرن ٢١ ، والدراسات موجودة بهذا الخصوص ، هو أن عدد مستوى الحاصلين على درجة أكثر من الدكتوراه ، والذين أصلهم من العالم الثالث ، سيكون أكثر من ٥٥ ٪ .. وإذن ، لأول مرة منذ قرون سنجد أن الهيمنة الحقيقية العلمية الناتجة عن الدراسة والبحث ستكون فى أيدى أشخاص من العالم الثالث ، ولو أن جزءا مهما منهم سيعيش وسيبقى فى الدول الغربية ، لأنه لا خيار له نظرا لعدم الاهتمام بالبحث العلمى ، وعدم الاهتمام بالتكوين ، وعدم الاهتمام بالتربية فى بلدان العالم الثالث . وإذن هناك تحولات أساسية .. وهناك عنصر آخر هو أن الشئ الجديد الذى نراه فى العالم الثالث هو التغيرات التى بدأت وستتطور بسرعة كبيرة فى إفريقيا وآسيا وغيرهما ..

وقد كانت أكبر عرقلة فى العالم الثالث هى : الخوف : والآن نرى يوميا فى جميع أنحاء العالم الثالث أن الناس قد أخذت الأمور بيديها ، وأنها قد صارت الآن تهاجم الخوف نفسه ، ولا يمكن لهذه الهيمنة الحضارية أن تواجه هذا .. وزيادة على ذلك هنالك تيارات جديدة لها نجاح كبير فى جميع الأوساط ، لأن لها علاقة مباشرة بالقيم التى نعيش فيها .. وأظن أن مسألة القيم هى المحور الذى سنرى كل التطورات تحوم فيه خلال المستقبل القريب .. وطبعا أمامنا أيام صعبة جدا ، وممكن أن نؤدى ثمنها .. فممكن أن يحدث التلوث الذرى أو الكيماوى وغيرهما ، لكن المسألة أصبحت مصيرية .. المهم هو أن نفهم أنه غير ممكن أن يكون القرن المقبل قرن الهيمنة الغربية .. أقول إن القرن ٢١ سيكون قرن التعددية ، وليست التعددية السياسية فقط ، بل التعددية الحضارية وبالخصوص منها الثقافية .. وسنحرر أنفسنا من هذه الهيمنة التى تبدأ ـ كما قلت أنت بنفسك ـ من الهيمنة الإعلامية .

أجرى الحوار : أحمد إفزارن

جريدة الخضراء (طنجة) الجمعة ٤ يناير ١٩٩١ ـ العدد ٣٢

الجمعة ١١ يناير ١٩٩١ ـ العدد ٣٣

الحرب التى بدأت ولن تنتهى *

فى البداية لا بد لى من أن أحيى صمود شعب العراق ضد العدوان الأمريكى والغربى الذى يقود هذه الحرب المدمرة وغير العادلة واللامتكافئة .

فهى حرب عسكرية وإعلامية ونفسية . فالعراق اليوم وحده يواجه ٣١ دولة (بما فى ذلك إسرائيل وتركيا) ، مجموع سكانها ١٢٠٠ مليون نسمة مقابل ١٨ مليون نسمة من السكان فى العراق ، والمدخول القومى لمجموع هذه الدول حسب تقارير ١٩٧٨ للبنك العالمى يقدر بـ ٩٣٠٠ مليار دولار مقابل ٥٠ مليار دولار أمريكى كمجموع الدخل القومى العراقى ، مما يعنى أن نسبة الفارق بين عدد سكان العراق وعدد سكان الدول التى تتحالف ضده تصل إلى ما بين ١ و ٦٦ مقابل نسبة ما بين ١ و ١٨٦ بالنسبة للفارق ما بين مدخول العراق القومى ومدخول الدول المتحالفة ضده فى هذا العدوان . ولعل ذلك ما يجعلنى أعتبر كل دقيقة تمر من صمود العراق فى حرب الخليج معجزة لم تشهد الإنسانية مثيلا لها ، خاصة إذا قمنا بتقييم مجموع الطلعات التى قام بها طيران التحالف ضد العراق خلال الأسبوع الأول من الحرب والتى تقدر بـ ١٠ آلاف عملية ، **قذفت خلالها على أرض العراق حوالى ١٠٠ ألف طن من المتفجرات ، أى ما يماثل خمس مرات من حجم القنبلة النووية « هيروشيما » ، وهو ما يعنى قذف ما معدله خمس كيلوجرام من المتفجرات على كل مواطن عراقى ، إنها كارثة حضارية وإنسانية وبيئية .**

والواقع أنى أسف لكون كل توقعاتى التى تحدثت عنها منذ بداية الأزمة حدثت . وربما لأول مرة أجدنى أتمنى لو كنت مخطئا بدل أن تكون الكارثة ، **ولا أعتقد أن دولة عمرها قرنين مثل الولايات المتحدة الأمريكية تقدر معنى العراق**

---

* ٢٥ يناير ١٩٩١ .

كمهد لأقدم الحضارات البشرية فيما بين الرافدين أو طيلة ١٤ قرنا ماضية . فبغداد عمرها يتجاوز ١٣ قرنا ، يعنى اسمها المشتق من الفارسية : « هداية الله » ، كما أن البصرة التى هى أكثر قدما كانت تسمى « الخريبة » وهى المكان الذى اختاره الصحابى عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتأسيس مركز عسكرى ... إنهم يجهلون تراث المنطقة ، أو هم يتنكرون لكل الممتلكات الحضارية الانسانية هناك .

ونحن بصدد الحديث عن حرب الخليج لا يجب اعتبار هذه الحرب جهوية إقليمية ، أوهى حرب بين الغرب اليهودى - المسيحى وبين الأمة الإسلامية فقط ، بل هو صراع أيضا بين الشمال والجنوب ، وهو صراع حضارى بين رغبة هيمنية للحضارة المسيحية اليهودية الغربية ضد كل الحضارات الأخرى العربية والمسيحية والآسيوية والأفريقية وكل الحضارات المغايرة لحضارة الغرب .

لقد سبق لى أن قلت أن ٢ أغسطس ١٩٩٠ تؤرخ لدخول العالم إلى مرحلة ما بعد الاستعمار ، أما ١٧ يناير ١٩٩١ فستظل وشما على ذاكرة كل الشعوب ، كبداية لأول حرب عالمية حقيقية تختلف عما كنا نسميه من قبل حربا عالمية أولى أو ثانية ، لأنهما كانتا حربان بين الدول الغربية فيما بينها باستثناء بعض الدول الآسيوية مثل اليابان التى دخلت الحرب العالمية الثانية ، أما هذه الحرب ففتيلها أخطر ولا يمكن إيقافه بحل لمجلس الأمن أو حل دولى أو مؤتمر عالمى ، كما حدث من قبل ، بل هى حرب ستطول ١٠ أو ١٥ سنة *تحت أشكال مختلفة ليست بالضرورة عسكرية* ، وبوجه خاص *فى مطلع القرن* ٢١ الذى يؤشر بتحديات كبرى غير سياسية ولا اقتصادية بالدرجة الأولى ، وإنما هى تحديات حضارية تجعل المعركة تنصب من أجل الكرامة الإنسانية والوجود الكريم لأكثر من ٨٠ ٪ من البشرية التى تصنف اليوم تحت عنوان العالم الثالث ، ولذلك ستكون المعركة القادمة معركة من أجل الدفاع عن التعددية الثقافية والقيم الإنسانية ومعركة ضد أسطورة الغرب التى تدعى أن قيم الغرب وحدها هى الكونية .

إنى كمحب للسلام مثل ملايين سكان هذه الأرض ، أتابع كل مبادرة لإيجاد حل سلمى سواء تلك الى تقدم بها قادة المغرب العربى أو غيرها . ولكنى أعتقد أن تصريحات من عدة جهات غربية أوروبية وأمريكية لا تؤشر بالأمل : فقد نشرت جريدة

هيرالد تريبيون فى صفحتها الأولى من يوم ١٩ أغسطس ١٩٩٠ مقالا يفيد أن خبراء إسرائيليين ينصحون البنتاجون بالتدخل السريع ضد العراق مخافة حدوث اضطرابات فى أنظمة البلاد العربية ، واعتبر هؤلاء الخبراء الإسرائيليون خروج وانسحاب العراق من الكويت سلميا بمثابة كارثة وكابوس يهدد مصالح أمريكا وإسرائيل ، وهو ما أدّعوه بسيناريو الكابوس SCENARIO DU CAUCHEMAR كما أنهم عبروا عن رعبهم من كابوس الدعوة إلى مؤتمر دولى لمعالجة القضية الفلسطينية .

وفى ٢٧ يناير فى افتتاحية « نيويورك تايمز » يتكرر سيناريو الكابوس المرعب للغرب بتأكيد كاتب الافتتاحية على رعب المسئولين الأمريكيين من حل سلمى يحول دون تدمير القدرات العسكرية والتكنولوجية للعراق ؛ ثم نجد أيضا فى مقال لوليام سافاراى فى هيرالد تريبيون ليوم ١٤ يناير المنصرم يتحدث فيه على عدم أهمية انسحاب الجيش العراقى من الكويت بقدر ما هو مهم الآن تدمير القدرات العسكرية للعراق ، ويضيف نفس المقال أن الولايات المتحدة الأمريكية قد صرفت منذ أزيد من عشر سنوات مليارات الدولارات للقيام بهذا العمل ، ولو تطلب الأمر تدمير المنطقة بقدر من التفجرات أضعاف ما استعمل فى الحرب العالمية الثانية مائة مرة . ويضيف وليام سارفارى بأن وجود الجيش العراقى فى الكويت هو مناسبة لهجوم جوى لتدمير قدراته ولتدمير مصادر الماء ، ويمكن أن يلعب عطش العراقيين دورا حينها لصالح ما هو مخطط له ، خاصة إذا غيرنا المياه نحو تركيا .

إذن كيف يمكن القبول بخرافة الشرعية الدولية وهم كانوا يخططون لضرب العراق ، واذكر هنا أننا نبهنا منذ ست سنوات فى دراسة قمنا بها أنا ومجموعة باحثين عرب إلى أنه فى حالة استمرار نمط النمو المشوه واستمرار الممارسات غير الديموقراطية ، فإن المنطقة ستشهد خلال التسعينات زيادة الاختراق الخارجى ، وتحرك الدول العظمى نحو تشجيع النزاعات القطرية . ولكل هذه الأسباب أعتقد أنه ما لم تتغير أسباب الحرب لن نأمل فى حل قريب خلال الأيام أو الأسابيع المقبلة .

إن الخوف الذى يهيمن اليوم على دول الغرب والولايات المتحدة الأمريكية هو الذى جعل كلفة الحرب ما بين ٥٠ مليار دولار و ٩٠ مليار دولار ، وأظن أنها ستكلف الغرب

أزيد من ١٠٠ مليار دولار ، دون الحديث عن الخسائر البشرية والمادية للعراق .

وإذا كانت كلفة حرب جراندا قد كلفت ٧٨ مليون دولار ، وحرب بنما كلفت ١٥٢ مليون دولار ، فإن التكلفة الأخيرة لا تتجاوز تكلفة ثلاث ساعات من كلفة حرب الخليج ، هذا رغم الميزانية العسكرية الأمريكية المحددة من طرف الكونجرس بـ ٣٠٠ مليار دولار ، وما نلاحظه اليوم هو بداية إفلاس بعض دول المجلس الخليجي الذين بدأوا يبيعون بعض ودائعهم المالية بالخارج لأجل تمويل الحرب ، والغرب يعمل على امتصاصهم وتفقيرهم لأنه مؤمن بأن الأمور ستتغير في المستقبل غير البعيد . وسنرى كيف أن السوق الأوروبية المشتركة ستغير من سيرها ، لأن أوروبا ستضطر إلى العمل على التخلص من الهيمنة الأمريكية . وأخيرا نلاحظ أن الأزمة الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية تتفاقم بشكل لا سابق له في تاريخها .

أما بالنسبة للمعركة التي تنتظرنا نحن ، فهي من أجل الديموقراطية وبناء المجتمع المدني والعدالة الاجتماعية ومحاربة الأمية وخلق استثمارات كبرى على مستوى الثروة البشرية والبحث العلمي والكنولوجي .

إن النظام العالمي الجديد يعرف وسيعرف هزات كبيرة خاصة بعد افتقاد هيئة الأمم المتحدة من أكثر من ٧٥ ٪ من مشروعيتها ومصداقيتها ، ولم يعد للأمين العام من خيار اليوم ، بعد أن شل من جراء الضغوطات التي مورست عليه ، إلا أن يقدم استقالته لأنه برهن على أنه رهينة للولايات المتحدة الأمريكية التي لم تؤد بعد مجموع ديونها إلى ميزانية الأمم المتحدة . ويتبين اليوم أن مستقبل منظمة الأمم المتحدة أصبح مثل ما حدث لرابطة الدول LA LIGUE DES NATIONS ، خاصة وأن الأمم المتحدة كانت قد انطلقت من إعلان المبادئ الأساسية للميثاق الأطلنطي ليوم ١٤ أغسطس ١٩٤١ ، وهو إعلان لرئيس الجمهورية الأمريكية روزفلت والوزير الأول شرشل . ثم بعد ذلك كان هنالك إعلان من الأمم المتحدة وقع يوم فاتح يناير ١٩٤٢ .

أما اليونسكو فهي مضطرة اليوم إلى تطبيق المعاهدة الدولية لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح (١٩٥٤) وهو محك لمدى حفاظها هي أيضا على مصداقيتها وشرعيتها .

أما الجامعة العربية فقد برهنت هى الأخرى أنها توفيت ، لأنه بالرغم من أن انطلاقة الجامعة العربية سابقة لانطلاق هيئة الأمم المتحدة فى خطاب ٢٩ مايو ١٩٤١ المعروف بخطاب « بمانشنماوس » لانطونى إيدن الذى دعى إلى ضرورة خلق جامعة عربية ، فنلاحظ كيف أن الجامعة العربية تعود إلى الإرادة التى حاول الغرب أن يرسمها لها ولذلك شلت وماتت .

(الرباط فى ٢٥ يناير ١٩٩١)

- " العلم " ، ٢٨ يناير ١٩٩١
- " الخبر " ، ٢٩ يناير ١٩٩١
- " الشعب " ، الجزائر ، ٣١ يناير ١٩٩١ .

الوجه البشع للنظام العالمى الجديد*

« النظام العالمى الجديد » بين للجميع أنه مسخرة ومهزلة .. وإن ما يؤلمنى كإنسان اشتغل تقريبا ٢٠ سنة كموظف دولى ، له مسئولية أن أقرأ مثل ما قرأت فى مجلة إيطالية هى أن الأمين العام يتكلم عن أن هذه حرب شرعية ..

وكون أمين عام الأمم المتحدة ، وهى منظمة أساسها ومقاصدها هى الدفاع عن السلام ، يستعمل عبارة « شرعية » عن مفهوم الحرب ، هذا كلام ما كان يتصور فى بال أى واحد من الناس الذين وافقوا على ميثاق الأمم المتحدة بسان فرانسيسكو عام ١٩٤٥ .

لكن نفس هذاالأمين العام قال : إن هذه ليست حرب الأمم المتحدة ..

وما كنت أترجى منه هذا لما كتبت إليه يوم فاتح يناير .. كنت أترجى أن يقول ما هو الواقع ..

ولو نطق بهذه الألفاظ قبل ١٧ يناير وكانت له الشجاعة الأخلاقية المهنية ، لتفهم الناس أن ليس هناك مشروعية حقيقية لانطلاق هذه الحرب ..

لكن للأسف ..

ومن تصريحه تفهم الضغوط التى يحس بها وتمارس عليه ..

وهكذا ختم استجوابه وقال : « أنا ما بقى لى دور ، وسآخذ تقاعدى فى آخر السنة .. »

وهذا ما دفعنى فى برامج إذاعية بالجزائر وتونس وغيرهما أن أقول له وأكررها :

---

* ٣٠ يناير ١٩٩١ .

« لو كنت مكانه ... ولو كانت له كرامة وكان له ضمير يجعله يحس بمسؤليته عما حصل ، نظرا لعدم تدخله وعدم استنكاره لعدم احترام ميثاق الأمم المتحدة ، لما رأينا عشرات الآلاف من القتلى .. وهذه مسئولية كبيرة على الضمير .. فأقل شئ كان يمكن أن يفعل هو على الأقل أن يقدم استقالته ..

أما هـذا « النظام العالمي الجديد » فقد برهن أنـه مسخرة وليس هناك أحد يؤمن به .. لكن هذا لا يمنع أن ما أخشاه هو ما بعد الحرب ..

وأية حرب ؟

هنالك مرحلة عسكرية بدأت يوم ١٧ يناير .. وهذا اندلاع حرب عالمية حقيقية .. وحرب ستدوم ما بين ١٥ إلى ٢٠ سنة بعدة وسائل ، وليس بالوسائل العسكرية فقط ، لأن الغرب لم تبق له أية مصداقية لدى الجنوب ..

وما تجحنا فيه والحمد لله هو أن حتى بعض المثقفين الذين كنت دائما أسميهم ليس فقط (حزب فرنسا) ، بل (حزب الغرب) ، منهم من كان بنية حسنة ، يؤمن بهذا التعاون الدولى وهذه القيم العالمية الخاصة بحقوق الانسان والسلام والديموقراطية ، يفهم الآن أن الغرب لم يقبل أن نفس المبادئ تطبق على منطقة أخرى غير منطقته ..

والناس بدأت تدرك الهيمنة وتفهم الخطر الكبير الذى هو خطر الهيمنة الحضارية والاستعمار الحضارى ..

لكن بعد كل هذا ، أنا متخوف أن بعد المرحلة الأولى العسكرية ، سواء دامت شهورا أو أكثر أو أقل ، هناك مخطط موجود من الآن لتفتيت وتفكيك العالم العربى ، وأن حتى بعض الدول مثل فرنسا وغيرها التى دخلت فى الحرب ، وقد قالوها بصراحة .. قالوا إنهم دخلوا لكى يكونوا حاضرين عندما تنصب مائدة النقاش حول السلام ، وهى المائدة التى سيأخذ فيها كل واحد غنيمته ..

لكن يجب أن تكون لنا رؤية مستقبلية .. فهناك الأمد القصير ، وهناك بعض الأسباب ستتحقق ، لكن هناك شيئا وهو أنه لا يمكن أن نرجع للوراء ، وأن العالم الذى نعيش فيه اليوم ليس هو العالم الذى كان قبل ١٧ يناير .. وسوف نرى تطورات إيجابية داخل العالم الثالث ، وخصوصا فيما يتعلق بالمسيرة الديموقراطية والاهتمام بالبحث

العلمى والاهتمام ببناء مجتمع مدنى ..

وسنؤدى ثمنا عن كل هذا ، ليس فى العراق فقط ، بل فى بقية العالم الثالث ، ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أننا دخلنا فى مرحلة ستدوم ١٥ إلى ٢٠ سنة ..

وفيما يخصنى ، أنا مرتاح على الأجيال المقبلة ، ولكن كل شئ له ثمن بالنسبة للمجهود الذى يجب أن ندفعه للمستقبل ، وهو نوع من الصمود وأيضا أن تبقى لنا ذاكرة جماعية .. فلا ننسى المقالات المكتوبة فى الصحافة الغربية ، ولا ننسى ما يُنشر فى الصحف الغربية يوميا .. وللأسف البعض منها مثل (Le Figaro) و (France Soir) تطبع فى الدار البيضاء ، لدرجة أننى عندما قرأت أمس فى (Le Figaro) مقالا افتتاحيا أرسلت رسالة ، وجددت اقتراحا سبق أن تقدمت به فى مدريد يوم ١٩ ديسمبر ١٩٨٩ ، يوم كان اجتماع لأكاديمية المملكة المغربية .. وفى ذلك الوقت قلت إذا كانت هناك جدية فى اتحاد المغرب العربى ، أنا أنتظر شيئا هو إنشاء صندوق خاص بمساعدة العمال المهاجرين فى أوروبا حتى إذا أرادوا أن يرجعوا إلى بلدانهم يجدون مساعدة لهم ..

وآخر الأرقام لهذا الاستفتاء الذى كان فى (Le Figaro) يقول أن ٧٣ ٪ من المسلمين فى فرنسا متخوفون من أنهم لن يجدوا شغلا ، وأن ٥٧ ٪ منهم يخشون حتى على أمنهم ويفكرون فى الرجوع إلى بلدانهم ..

وهذا نوع من النداء إلى المسئولين فى اتحاد المغرب ليبرهنوا أنهم يهتمون بمواطنيهم الذين يواجهون نوعا من العنصرية لم يسبق لها مثيل ، وخطرا حتى على أمنهم الحقيقى فى هذه البلدان الأوروبية خلال مدة الحرب ..

نشرت بجريدة « الخضراء » ـ طنجة ـ ٨ فبراير ١٩٩١

سيناريو الكابوس : سيناريو السلام*

س : لقد قيل الكثير عن حرب الخليج وطبيعتها ، وقد وصفها البعض بالحرب الصليبية الجديدة ، فما هو تصوركم لطبيعة هذه الحرب (شمال - جنوب ؛ إسلام - مسيحية ؛ أم هى بين رجلين صدام وبوش) ؟

ج : منذ يوم ١٢ سبتمبر أى قبل الحرب قلت أنها بداية حقيقية لمواجهة بين الشمال والجنوب ، حتى قبل أن نتكلم عن حرب صليبية .

إن حرب الخليج أكثر من حرب صليبية ، أنا فى اعتقادى ومنذ بداية ١٧ يناير دخلنا فى أول حرب عالمية حقيقية ، وهى ستدوم على الأقل ١٥ أو ٢٠ أو ٢٥ سنة ، لأن أهدافها الحقيقية ليست عسكرية أو سياسية أو اقتصادية ، بل هى حضارية ، لأن تحديات القرن ٢١ ستكون كلها حضارية .

وأنى أطلق على حرب الخليج الحرب العالمية الأولى ، لأن الحرب الأولى لم يكن فيها شئ عالمى ، وكان أساسها نزاع أوروبى - أوروبى ، وإن دخلت معهم أمريكا . والحرب التى قالوا عنها إنها العالمية الثانية لم تكن كذلك لأن العالم الثالث الذى يمثل الآن ٨٠ ٪ من سكان الكرة الأرضية كان مستعمرا .

لكن الحرب التى انطلقت يوم ١٧ يناير بقرار من چورچ بوش تمثل أول حرب عالمية حقيقية ، وبقطع النظر عن النتائج العسكرية فإننا قادمون على تغييرات جذرية سنعيشها يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر ، وهذا هو المهم الذى يجب أن نفكر فيه .

وبالنسبة لنا فى العالم الثالث فقط ربحنا بين ١٠ ، ١٥ سنة من التطورات الحقيقية .

---

* ٦ فبراير ١٩٩١ .

س : هل تعتقدون أن أمريكا كانت ستعدل عن مهاجمة العراق لو انسحب من الكويت ؟

ج : لو انسحبت لوجدوا حلا آخر ، لأن الهدف واضح ؛ وقد تحدثوا عن سيناريو الكابوس ، وهم يقصدون سيناريو السلم ، أى إن خرج العراق من الكويت ، وتبقى على قوتها وقدراتها العسكرية ، وهذا ما لا يعجبهم ، وهم يريدون تحطيم هذه القدرة ولا يهمهم تحرير الكويت .

الواقع أن العراق هى البلد العربى الوحيد ، وحتى فى العالم الثالث أيضا التى قامت بمجهود جبار فى ميدان البحث العلمى منذ أكثر من ١٠ سنوات ، وكانت تنفق سنويا بين ١,٥ و ٢ ٪ من مدخولها القومى فى البحث العلمى ، فيما أعتقد أن العديد من البلدان العربية ، وأذكر هنا بلدان المغرب العربى ، لم يتجاوز انفاقها فى هذا الباب ٠,٣ ٪ ، لأن ثقتها انبنت على نموذج تنموى برهن على إفلاسه ، يعتمد على الخارج والتقليد وما يُسمى بالتعاون والفرنكوفونية التى أوصلتنا إلى المصائب التى نحن فيها الآن .

لكن فى العراق كانت هنالك سياسة تنموية قوامها الاعتماد على النفس ، وهو الدرس الأساسى بقطع النظر عن المجال العسكرى ، فإذا ما فهمنا هذا الدرس من الآن وخلاصته أن ما من شئ أخرنا فى العالم العربى والعالم الثالث مثل ما يُسمى بالمساعدة الفنية والتعاون الدولى ، الذى كان مؤامرة حول مناهج تربوية وفنية وحول السياسة الفلاحية وسياسة ما يُسمى الآن بالسياسة التى نرى الآن خطأ أن نمول بالمليارات لكى يأتى من الغرب أناس يتمتعون ببلداننا بدلاً أن نستثمر هذه الأموال فى مجالات أساسية مثل محاربة الأمية والبحث العلمى والتنمية الحقيقية .

س : لكن كيف تفسرون الاختلاف الموجود بين الشارع والأنظمة العربية ؟

ج : لقد توقعت هذا منذ سنين ، فقد ترقبت منذ ١٧ يناير الفجوة الكبيرة بين الحكومات والشعوب فى العالم الثالث كله .

فالحرب الحالية هى مناسبة للشعوب لتبرهن عن أهدافها الحقيقية وهو ما يزعزع الغرب ، إنه بهذه الطريقة نربح ١٠ أو ١٥ سنة ، وتكون الحكومات فى بلداننا استيقظت من نومها وفهمت خطأها والمسافة الى تفصلها عن روح الشعوب ، وأن أمامها اختيار

واحد ، إما الدخول فى المسيرة الديموقراطية الحقيقية ، وليس بالكلام ، أو أن تؤدى هذه الفجوة الكبيرة إلى تغيرات جذرية داخل العالم الثالث كله ، وهذا لا ريب فيه .

س : ولكن كيف تفسرون هذا الشرخ الذى ظهر بين المشرق والمغرب العربى ، أو بين البلدان العربية بصفة عامة ، ثم نتائج هذا مستقبلا ؟

ج : إنه مطلوب منا أن نعى بهذا الخطر وأن نعرف أنها حرب إبادة ، وأيضا أن نعرف موقف الأمم المتحدة : أنا شخصيا كاتبت فى أول يناير الأمين العام للأمم المتحدة ، وأظن أن ضميره يجب أن يكون مسئولا عن عشرات الآلاف من الأموات والضحايا فى العراق ، ولكنه لم ينطق بكلمة .. ويجب على حكوماتنا أن تستخلص من هذا عدة أشياء : أولا يجب على المغرب وتونس وموريتانيا أن تنسحب من مؤتمر القمة الأفريقى الفرنسى ، ومن المجموعة الفرنكوفونية ، فرئيس فرنسا كان واضحا جدا ، والوزير الأول السابق بيار موروا صرح فى إسرائيل بتصريحات تزعج العالم كله حول منظمة التحرير الفلسطينية ..

وأنا أدعو بلدان الاتحاد المغاربى أن تطلب اجتماعا استثنائيا للجمعية العامة للأمم المتحدة .

فهذا مشكل شمال ـ جنوب ، ويجب توضيح موقف العالم الثالث كله من هذا المشكل الذى هو مشكله وليس مشكل العالم العربى فقط ، لكنه مشكل خاص بهيمنة عسكرية تهدد التعددية الحضارية على المستوى العالمى . وأتوقع فى الأسبوعين المقبلين ضغطا من الولايات المتحدة الأمريكية على السعودية لتطلب من الجيوش العربية الموجودة الآن بالسعودية أن تنسحب وتعود إلى بلادها لأنها أصبحت خطرا أكثر منها مساعدة للغرب . فلم تعد هنالك حاجة لها ، ذلك أن أمريكا وحدها لها أكثر من ٥٠٠ ألف جندى ، وجند الغرب يصلون إلى ٧٠٠ ألف ، وهناك قدرة عسكرية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الإنسانية .

فليس العراق هو الذى بدأ الحرب الحقيقية ، ولا أعتقد أن العراق هو الذى سيبادر إلى استعمال الأسلحة النووية .

وهذا ما يجعلنا نعرف منذ ٢ أغسطس أنه أصبح هنالك قرار للدفاع عن

السيادةالغربية والصهيونية اتخذه بوش وتاتشر بتحطيم العراق عسكريا واقتصاديا وعلميا .

وأعتقد أنه إلى الآن لا يوجد تنسيق بين البلدان العربية والإسلامية وبلدان العالم الثالث لمواجهة هذه الهيمنة .

فإذا ما تم تحطيم العراق ، فإنهم سيمرون إلى إيران ثم يواصلون طريقهم لمحاربة اليابان وأمريكا اللاتينية .

س : هل تعتقدون أن أمريكا ستدفع إلى حل ديبلوماسى ؟

ج : أمريكا ستدفع إلى حل ديبلوماسى إذا تيقنت أنها حطمت العراق بنسبة ٧٠ أو ٨٠ ٪ ، إن العراق ستحتاج إلى ١٠ أو ١٥ سنة لتبنى من جديد ؛ لأنها تريد ألا تبقى الأشياء كما هى لأنها متخوفة (أمريكا) مما تسميه بعدم الاستقرار فى بقية العالم العربى والإسلامى .

س : كيف ترى مصير الدول العربية بعد انتهاء الحرب وخاصة بالنسبة للبلدان المغاربية ؟

ج : لما يريد الإنسان القيام بدراسة مستقبلية عليه أولا بدراسة ماضى المستقبل .

إن كل ما نشهده الان مكتوب أولا فى دراسة عند الغرب فى سيناريوهات لاحتلال الخليج .

ثانيا : هناك دراسة عربية صادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ومقره بيروت ، ويرأسه الدكتور خير الدين حسيب ؛ وهناك دراسة عن مستقبل العالم العربى وفيها سيناريو أسميناه سيناريو التشتيت ، وهذه الدراسة نشرت سنة ١٩٨٨ ، وكل ما يجرى الآن فى الخليج مكتوب فيها .

أما فيما يخص المستقبل فأنا متشائم جدا بالنسبة للأمد القصير ، الذى يمتد على خمس سنوات ، وهى لا تمثل شيئا فى تاريخ الشعوب ، لكنى متفائل جدا على

الأمد المتوسط (١٠ سنوات) وعلى الأمد الطويل (٢٠ سنة) .

لأنه لا يمكن من الآن فصاعدا لأية حكومة فى بلاد العالم الثالث أن تمارس نفس الخطة التى كانت تمارسها قبل ١٧ يناير ١٩٩١ .

وبالنسبة للمغرب العربى ونظرا للتغيرات التى حصلت ونظرا لتوحد موقف الجماهير المغربية ، أتمنى أن تستخلص الحكومات فى المغرب العربى الدرس وتواجه مشكلة الوحدة المغاربية بأسلوب جديد ، لا بأسلوب إدارى تكنوقراطى لاجتماعات وزراء ولجان من بلاد إلى بلاد ، والواقع الآن أنه ليس هناك أى موقف موحد على مستوى الحكومات .

أجرى الحوار : **نجم الدين العكارى**

البطل (تونس) ٦ / ٢ / ١٩٩١

المظاهر الحضارية لحرب الخليج *

ليست هناك حضارة بدون ذاكرة جماعية . فقبل ثلاث وثلاثين سنة ، هذا اليوم (٨ فبراير) كانت القنابل الفرنسية تقصف المغرب العربى فى ساقية سيدى يوسف ، وفى نفس اليوم نسمع فى الإذاعات ألوان النفاق من الممثل الخاص الذى قدم إلى المغرب ليتكلم عن الصداقة المغربية الفرنسية .

ولكن التاريخ مهم ، فمن ناحية حضارية ، نشهد أنه فى نفس اليوم (٨ فبراير ١٩٠٤) انطلقت الحرب الروسية اليابانية التى انتهت بعد ١٩ شهرا بانتصار اليابان على روسيا وإقامة الحلف الذى يحمل اسم « بورتمود » يوم ٥ سبتمبر ١٩٠٥ . وكان تيودور روزفلت ، الرئيس الأمريكى ، هو الذى تدخل لإيجاد هذا الحلف ؛ لماذا أتكلم عن هذا ؟

لأن اليابان فى سنة ١٩٠٤ ، كانت بدأت انطلاقة الثورة الحضارية باهتمامها بالعلم والتكنولوچيا ، وبرهنت على أن لديها مقدرة تكنولوچية وعلمية . واستغرب الجميع آنذاك ، لأنه كان فى اعتقادهم أن ليس من الممكن لأى واحد من غير الغرب ، والغرب هنا يعنى الحضارة اليهودية ـ المسيحية ، أن يصل إلى نتائج مثل هذه التى وصلت إليها اليابان ، ويتضح من هذه المقارنة ما يجرى الآن فى الخليج .

وخلال الحرب الروسية اليابانية ، كانت هنالك معركة مشهورة ، وهى معركة « موكدن » ، كان عدد الروس أكثر بكثير من عدد الجيوش اليابانية ، ولكن مع ذلك ، فى هذه المعركة التى دامت ١٩ يوما ، بدأت يوم ١٩ فبراير ، وانتهت يوم ١٠ مارس ١٩٠٥ بانهزام روسيا ، لذا فلنفهم دور وفعالية التاريخ .

---

* ٢ و ٤ مارس ١٩٩١ .

ونرجع إلى اليابان ١٩٨٨ ، وليس يابان ١٩٠٤ . ونحن هنا ، أمام مقر خاص بالعلم وبالبحث ، وأهم مؤسسة يابانية للبحث العلمى معروفة باسم المؤسسة اليابانية لتقدم البحث العلمى ، قامت بدراسة دامت أكثر من خمس سنين بمشاركة آلاف الاختصاصيين اليابانيين . فماذا سيكون جدول أعمال اليابان فى التسعينات ؟ وبالخصوص فى ميدان العلم والتكنولوچيات المتقدمة ؟ فهذه الدراسة موجودة فى ٤٠٠ أو ٥٠٠ صفحة ، كلها علمية لكن فيها مقدمة صغيرة كتبها رئيس هذه المؤسسة يتطرق فيها إلى النظام العالمى الجديد ، لذا ففكرة النظام العالمى الجديد نفسها فكرة يابانية وليست للغرب ، فيجب على الغرب تأدية الحقوق عليها .

والمفهوم اليابانى ، هو أن الهيمنة الأمريكية ، من الآن لآخر القرن ، تنتهى . والمؤسسة اليابانية مؤسسة علمية ثقافية ، وليست سياسية ، وليس فيها أى نوع من الديماجوجية . وقال مدير المؤسسة أنه يجب على اليابان أن يهئ للقرن الجديد وأن يبنى برنامجا جديدا على شئ اسمه الحضارة الجديدة على أساس التعددية الحضارية . وهذا أهم شئ فى الحضارة ، فمسألة البقاء دائما مرتبطة ومبنية على التعددية . ففى علم البيولوچيا ، وعلم النبات أو علم الكون أو أى علم ، نرى أن أساس البقاء هو التعددية ، وبدون التعددية يكون الفناء ، وخاصة فى مجال الحضارة .

واليابان تفهم هذه النقطة ، حيث أن رئيس هذه المؤسسة أكد أن المعاصرة أو الحداثة ليست هى الغربة . والواضح هنا أن اليابان برهن أنه لم يقلد الغرب فى حضارته .

بل هناك إنتاج ذاتى ومحلى ، مبنى على حضارة آلاف السنين ، مبنى على المحافظة على اللغة اليابانية ، مبنى على محاربة الأمية ومحوها قبل بداية القرن ، ومبنى على القيم .

ولكن عدد كبيرا من المثقفين فى المغرب العربى كانوا لا يمجدون ولا يحلمون إلا بهذا الغرب الذى يجهلونه .

لقد عشت كثيرا بالغرب ، فدرست ثقافته وفنه وحضارته ، وكل ما يمكننى أن أستنتجه هو أنه لا يمكن أن نقلد الغرب ونرمى بالحضارة العربية ، وكان هذا محور

جدالي مع عدد من المثقفين المغاربة الذين يدعون أن المغرب ملزم بأن يمر من نفس المراحل التي مر عليها الغرب خلال الثورة الصناعية ، وليس هناك ممر دون التقليد .

أقول إن هذا جهل ، هذا هو عدم الفهم لدور القيم ودور الحضارة والثقافة في عملية البناء ، بناء الترتيب العقلاني ، بناء أهم شئ وهو الإبداع . وليس هناك إبداع بالتقليد . وليس هناك بحث علمي بالتقليد ، إلا إذا كان هناك مركب نقص .

وأظن أن أهم شئ يمكننا أن نستنتجه مما حدث في الخليج ، بقطع النظر عن آلاف الشهداء ، أنه ربحنا ما بين ١٠ و ١٥ سنة . لأنه صارت الآية تنقلب ، ويوميا أقرأ في الصحف المحلية والأجنبية هذا التغيير لبعض المثقفين ، ولا داعي لذكر أسمائهم من المغرب والجزائر وتونس . وقبل هذا كانوا يشهدون بالإعلان الغربي لحقوق الإنسان ، ولم يفهموا أن الغرب لا يرغب أن يطبق على غيره ما يطبق على نفسه ، فتبين هذا النفاق ، والحمد لله ، بعد أن رجع جل الناس إلى الطريق .

أعطيت مثال اليابان كتجربة ، وأعود الآن إلى الحضارة .

لا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية التي انطلقت منها هذه الحرب الخليجية .. ليس في ١٧ يناير بل في ٢ أغسطس ١٩٩٠ ؛ لقد اتخذ قرار بشأن الحرب منذ ٢ أو ٣ أغسطس ، حيث كانت تتواجد السيدة (تاتشر) بالولايات المتحدة ، وكان واضحا أنه ستكون هناك حرب ضد العراق ، وهذا ما عبرتُ عنه كتابة ..

ولما كتبت هذا الرأي يوم ١٢ سبتمبر سميت (كما العادة) أنني متطرف وأحمق ، وكل الأوصاف التي تتصور ..

ويوم ٢٧ سبتمبر قلت في الإذاعة الانجليزية إنه ستكون الحرب قريبا .

وفي يوم ٧ نوفمبر ، قلت للإذاعة الجزائرية إنه ستندلع الحرب بعد أسابيع .

لا أدرى بالغيب ، لكن هنالك عناصر تتوفر في التحليل ، في الدراسات المستقبلية : وفي يوم ١٥ ، في الولايات المتحدة الأمريكية التي ليس لديها أكثر من ٢٠٠ سنة في التاريخ ، قال الرئيس بوش ، ويجب أن يفهم كلامه بالعكس تماما : « إن عملنا في الخليج ليست له علاقة بالدين ، ولا بالثراء ، ولا بالفوارق الثقافية » .

فأى إنسان يقوم بتحليل نفسانى يتضح له أن ليس هناك مبرر ليقول الرئيس بوش أن أزمة الخليج ليست بحرب كذا أو كذا بدل أن يقول بأن الحرب هى حرب كذا . لأن من الناحية النفسانية ، برهن لنا أن الأهداف الحقيقية للغرب بزعامة الولايات المتحدة هي عمل دينى ، فهذا عمل دينى ومنذ خمس سنين وأنا أقول أننا دخلنا الحروب الصليبية المعاصرة .

بدأت الحملة ضد العرب ، وبدأت الحملة ضد العمال المهاجرين بأوروبا ، وفرنسا بصورة لم يسبق لها مثيل ، ويقول بوش : أن هذه الحرب ليست لها علاقة بالدين ، بل هذه حروب صليبية ، بمعناها الدينى ، الحضارى والثقافى . وكل تحليل غير هذا ، فى نظرى ، هو باطل ومنافق .

ونعود للحضارة ، فماذا قال الزعيم الفرنسى الكبير ، الذى مع الأسف عرفته فى صغرى ، وأعطانى جائزة العلوم الاقتصادية فى عام ١٩٨١ . لما وصل إلى الحكم ميشال روكار ، كتب يوم ٨ يناير ، هذا الذى كان يعرف بعطفه على العالم الثالث ، كتب : « لأول مرة فى تاريخ الإنسانية من ست آلاف سنة ، تقوم المجموعة الدولية لتقول (لا) ، ولاتخاذ الوسائل والامكانيات » . فكيف يمكن أن تبقى هناك مصداقية لأناس مثل روكار ، رمز التقدمية ، رمز الاشتراكية ، رمز التعددية ، رمز الحرية ، رمز هذه القيم كلها التى ينادى بها الغرب صباح مساء . وكيف يمكننا بعد ذلك أن لا نفهم أن هذه أزمة وحرب حضارية ؟

لكن هناك والحمد لله تعددية حتى فى الغرب ، وهنالك أناس يفكرون حتى فى الغرب . أن الأغلبية فى هذا الغرب ، والاحصائيات موجودة ، هى ضد الحرب . الأكثرية فى الغرب ضد الحرب ؛ لكن الغرب برهن أن ليس له احترام لهذه الديموقراطية ، هو أكثر من ٧٠ ٪ ضد الحرب . فكيف يمكن لحكومات ورؤساء دول أن يشهروا حربا و٧٠ ٪ ضد الحرب . فكيف يمكن لحكومات ورؤساء دول أن يشهروا حربا و ٧٠ ٪ من الرأى العام بدولهم ضد الحرب . فأين الديموقراطية ؟ أين احترام الرأى العام ؟

إذن هذه الأزمة بينت أنه ليست هناك ديموقراطية حتى فى الغرب نفسه ، وأقول : أن هناك أناسا فى الغرب لازالوا يفكرون ، فتهجمى هذا على الغرب ليس بنفس الطريقة

العنصرية المتواجدة عند الغرب تجاه الجنوب لأننا كلنا تسامح ولا أريد أن أتعامل بهذه الطريقة .

قلت أن هناك أناسا لا زالوا يفكرون فى الغرب ، وأعطى كمثال كلمة للأستاذ الجامعى أرتير شلزنكر ، مستشار سابق للرئيس كينيدى ، حيث كتب يوم ١٧ يناير ١٩٩٠ فى (نيويورك تايمز) ما يلى :

« إذا كان الجهل الأمريكى بالشرق الأوسط اليوم عظيما ، فإن جهلنا للمستقبل هو تام ، لكن جهلا بدرجة جهلنا غير مسموح به » .

الهدف الآن هو تحطيم ذاكرة حضارية .. فحصيلة ٦٠٠٠ سنة التى ذكرها روكار ، منذ بداية الكتابة والحضارة السومرية ، وكل الحضارات السابقة ، حتى الحضارة الإسلامية مجموعة فى متحف كانت لى علاقة به لما كنت فى اليونسكو ، وأشرفت على بنائه وتنظيمه .. مجمع ٦٠٠٠ سنة من هذه الحضارة قد تحطم .. والمقصود الآن هو أن الهيمنة الغربية فى الميدان الحضارى هو تحطيم هذه الذاكرة العالمية الحقيقية .

مدينة بغداد هى من أقدم المدن فى تاريخ الإنسانية .. والمدن كعنصر حضارى بدأت فى عهد سومر ، وبغداد هى أول بلاد فى العالم وصلت إلى مليون من السكان .. وبغداد اسمها يأتى من اللغة الفارسية .. وبالفارسية بغداد معناها هداية من الإله ..

أما البصرة ، فهى أقدم من بغداد ، وهى المكان الذى كان عتبة بن غزوان ، من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم ، اختاره سنة ٦٣٦ بتعليمات من سيدنا عمر ، بأن تكون المقر العسكرى للجيش الإسلامى آنذاك .. فهذا هو المكان الذى ينزل فيه الآن الحرس الجمهورى العراقى ، والذى أسقط عليه ما يعادل ٥ أو ١٠ مرات قنبلة هيروشيما ..

ملاحظة : كان هذا حتى يوم ٨ فبراير .. أما الآن فيقارب ما سقط على العراق حوالى ٤٠ قنبلة هيروشيما أو أكثر) ..

وأقول إنها ليست فقط مشكلة عربية وإسلامية .. فالواقع ، إنها إشكالية جنوب/ شمال ..

فى مايو ١٩٧٨ ، فى أول ندوة مهمة كبرى فى روما ، آنذاك ، كانت تسمى بحوار جنوب / شمال ، ألقيت كلمة ، وعرضت دراسة مطبوعة أقول فيها : إن أكبر عرقلة

سياسية حقيقية بين الشمال والجنوب هى الحضارة ، وهى بالخصوص الإتصال الحضارى ..لقد رفض الغرب أن يتفاهم باللغات الأخرى ، وأعنى باللغة الأخرى : القيم ، فبرهن أن ليست له أية روح للمسامحة والتعاون والتفاهم على أساس أمكانياته حتى الاتصال ، ويبرز هذا فى عدد الصحفيين المتواجدين بالخليج . كم منهم يقرأ اللغة العربية ، كم منهم يمكنه أن يتكلم فى الشارع ويعرف آراء الناس ؟ لكن هذا ليس ضروريا إذا تكلموا الفرنسية أو الانجليزية ، هذا يكفى حسب اعتقاد الغربيين .. فعلى الجنوبيين أن يتكلموا لغة الشماليين . والناس من جيلى حاولوا أن يقرأوا لغة الغرب ويعرفوا موسيقاهم ومتاحفهم وأكلهم وكل شئ .. والآن نرى أن ليست هناك مبادلة بعد هذه الفترة كلها وليست هناك أية محاولة من طرفهم أن يتفهموا الطرف الآخر ، لأن أملهم فى أن الآخر هو الذى سيكون جزءا منهم ، فلا فائدة فى مفاهمة الآخر ..

لذا أقول إن هذه الأزمة هى نزاع شمال / جنوب .. فى مايو ١٩٨٠ ، وفى البرنامج التلفزى الفرنسى "Les dossiers de l'écran" ، وسميت آنذاك بالأحمق ، حين قلت أن هناك ثلاث سيناريوهات أو مشاهد :

- سيناريو الاستقرار ، وهذا ممكن طيلة خمس سنوات .

- سيناريو إصلاحى ، وهو ممكن إذا كان مواكبا لعمل جدى طيلة خمس سنوات ، مابين ٨٠ و ١٩٨٥ وإذا فشل الأول والثانى فسندخل فى السيناريو الثالث فى بداية التسعينات ، وهو سيناريو الانقطاع ، وهو ما نعيشه اليوم ، وهو صراع (شمال / جنوب) ، صراع ما بين الشمال والجنوب ..

طبعاً ، العالم الإسلامى حرىّ بالمقارنة مع بقية أقطار العالم الثالث ، والثلث من العالم الثالث إسلامى .. فعدد سكان العالم الثالث ٤ مليارات و ٢٠٠ مليون ، وفى العالم الإسلامى على الأقل مليار و ٢٠٠ مليون نسمة ، والعالم العربى لا يتعدى ٢٠٠ مليون من السكان .. لسنا هنا نقوم بوزن الديموجرافية الإسلامية مع ديموجرافية العالم الثالث ، ولا داعى أن نبقى مرتكزين على مشاكلنا الداخلية .. فهناك برنامج أكبر وأوسع ، وهو الصراع بين الشمال والجنوب ، وخصوصا فى الميدان الحضارى ، لأن الغرب لم يقبل التعددية الحضارية ..

فى سنة ١٩٨٤ ، وفى التلفزة اليابانية ، قلت ـ ولكنه غلط نوعا ما ـ إن الحروب

المقبلة ستكون حروبا ثقافية ، وأن أولها ستكون بين اليابان والولايات المتحدة .. لازلت أؤمن ، وأنا على يقين ، أننا قبل آخر القرن ، قبل ٣ أو ٥ سنوات ، سنرى نزاعا كبيرا بين اليابان والولايات المتحدة .. ولقد بدأ ، لأن الولايات المتحدة هى قوة عسكرية فقط ، وليست قوة اقتصادية ، ليست قوة أخلاقية ، ليست قوة حضارية ، ليست قوة اجتماعية ، ليست قوة سياسية ، لا تستند وتعتمد إلا على الجيوش والقنابل ..

نظمت نقابة التعليم العالى يوم ٨ فبراير ندوة بعنوان « الأبعاد الثقافية لحرب الخليج » .

نشرت فى مجلة " حقائق " ٨ مارس ١٩٩١ .

و " الخضراء " ٢٢ فبراير ١٩٩١ ، ١ مارس ١٩٩١ .

و " الخبر " الجزائرى ، عدد ٢ و ٤ مارس ١٩٩١ .

العلاقات المغاربية ـ الأوروبية *

حوالى أربعة ملايين من المواطنين المغاربيين من المغرب والجزائر وتونس يقيمون بفرنسا ، ومما لا شك فيه أن مواقف بلدانهم من أزمة الخليج الراهنة سيكون لها تأثير كبير على أوضاعهم المستقبلية سيما وأن العلاقات الفرنسية المغربية تمر بمرحلة دقيقة . ففرنسا تعتبر دول المغرب العربى امتداد إن لم نقل عمقا استراتيجيا لها . ولمصالحها التاريخية والاقتصادية والثقافية وتعتبرها معبرا لمستعمراتها الافريقية السوداء السابقة . فشعبية فرنسا تدهورت بشكل واضح فى دول المغرب العربى خلال الأسابيع الماضية بسبب مشاركة فرنسا فى حرب الخليج وفى قصف العراق ، وأصبح الرئيس ميتران إلى جانب الرئيس بوش موضوعا للشعارات المناوئة التى يطلقها المتظاهرون .

الخوف الذى يسود مواطنى دول المغرب العربى فى حالة تصاعد الشعور المناوئ للعرب بفرنسا خلال عودة ضحايا حرب الخليج من قتلى وجرحى بات يدعو للقلق والتساؤل فى صفوفهم ومعنا على الخط الدكتور المهدى المنجرة ـ المفكر المغربى :

س : دكتور المهدى المنجرة : كيف يمكنكم تقويم العلاقات الفرنسية المغربية فى المرحلة الراهنة؟

ج : فرنسا جزء مما يسمى الغرب حضاريا . وهى جزء مما يسمى الشمال ، يعنى الدول المتقدمة والصناعية ، هذا الشمال الذى يمثل أقل من ٢٠ ٪ من سكان العالم يستغل أكثر من ٨٠ ٪ من الموارد الطبيعية والتجارة والاقتصاد العالمى .

ودول المغرب العربى هى فى مقابل ذلك تدخل ضمن ما يسمى بدول العالم الثالث أو دول الجنوب ، وبالتالى يلزم قبل أن نتحدث عن العلاقات ما بين فرنسا والمغرب العربى ، أن نفكر فى إشكالية شمال ـ جنوب . منذ زمن ، أى منذ ١٩٧٨ حيث كان أول

---

* ١٠ فبراير ١٩٩١ .

حوار حول الشمال والجنوب فى روما قلت أنه ليس هناك حوار مع الجنوب . لأن هنالك مشكلة الاتصال الثقافى الحضارى ، وقد برهن الغرب أنه الآن غير مستعد لتفهم قيم غير القيم الغربية ، ولذلك كنت أتوقع منذ زمن بوقوع قطيعة ما بين الشمال والجنوب ، وما يحدث اليوم فى الخليج هو بالأسف نتيجة لذلك ، وهنالك دراسات أنجزتها أيضا منذ مدة وقبل بداية أزمة الخليج ، كانت عبارة عن سيناريوهات أتوقع فيها من بين ما أتوقع منذ زمن بوقوع قطيعة ما بين الشمال والجنوب ، وما يحدث اليوم فى الخليج ، كانت عبارة عن سيناريوهات أتوقع فيها من بين ما أتوقع وقوع اصطدام مثل الذى يحدث الآن . ولذلك يجب قبل أن نتحدث عن العلاقات ما بين فرنسا والمغرب العربى أن تكون لدينا رؤية واضحة بأن ما يحدث اليوم هو أول حرب عالمية حقيقية عكس الحرب العالمية الأولى أو الثانية ، لأن الأولى كانت ما بين الأوروبيين ولو انضافت إليهم أمريكا فيما بعد ، أما الحرب الثانية فكانت أسبابها أوروبية محضة ، ولو أن أمريكا واليابان دخلتا أيضا ضمن هذه الحرب ، لكن ما نراه فى الخليج اليوم هو بداية لمسلسل طويل أتوقع أنه سيدوم ما بين ١٥ و ٢٠ سنة وأن هدفه الأساسى هو حضارى ، له علاقة بالقيم لأن الغرب قرر الاستمرار فى سياسته الاستعمارية ليس على الطريقة العسكرية والاقتصادية والسياسية فقط ولكن أيضا عبر الهيمنة الحضارية والثقافية ، وهناك تخوف لدى الغرب من القيم الحضارية فى كل العالم غير الغربى .

وبالتالى فما يحدث وما يمكنه أن يحدث فى العلاقات ما بين فرنسا ودول المغرب العربى هو يدخل ضمن هذه الإشكالية ، وفرنسا اختارت أن تكون جزءا من هذا الغرب وساندت الولايات المتحدة الأمريكية فى سياستها العدوانية ضد ليس الدول العربية أو الإسلامية فقط ولكن ضد كل دول العالم الثالث ، وقد كان تعليقكم التمهيدى لهذا الحوار كافيا لتوضيح هذه العلاقة ، وقد سمعت قبل قليل جاك بيرك فى إذاعة فرنسا الدولية يعطى نفس التحليل وهو أمر طبيعى لما تختار دولة مثل فرنسا فيجب أن تقبل نتائج اختيارها .

منذ أكثر من خمس أو ست سنوات بدأنا نرى الحملة العنصرية ضد العرب ، ثم جاءت حملة ضد الإسلام وكل الناس يتذكرون العنصرية التى عبرت عنها كل دول أوروبا وفرنسا بوجه خاص ، وفى اجتماع لأكاديمية المملكة المغربية فى يناير ١٩٨٩ اقترحت

على اتحاد المغرب العربى العمل على إعداد صندوق خاص للتضامن مع العمال المغاربيين المقيمين فى أوروبا فى حالة رغبتهم فى العودة لبلدانهم ، وكان تقديرى هو إذا ما دفعت دول المغرب العربى ١ ٪ من مدخولها القومى يمكن لهؤلاء العمال إذا ما أرادوا العودة لبلدانهم وجود شروط لادماجهم وتشجيعهم داخل بلدانهم وهو أمر لا يزال متوقعا ، فالقطيعة بدأت منذ زمن وسيظهر لنا مع الوقت أن هذه الحرب هى حرب حضارية ، وأظن أن الحملة الإعلامية النفسانية التى عبر عنها الغرب خلال الفترة الأخيرة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الإنسانية وهنالك حرب إبادة يموت فيها آلاف المدنيين العراقيين يوميا ولم نجد أى رد فعل ولو إنسانى ، فأين هى القيم الغربية (اليهودية / المسيحية) فى تقدير كرامة الإنسان وحقه فى الحياة ، بل إننا لا نرى سوى آلاف الشهداء يتساقطون فى هذه الحرب .

س : هل تستغربون من أن يكون الموقف الفرنسى الحالى هو من حكومة اشتراكية كانت تدعى أن لها موقفا معينا ومميزا مع دول الجنوب ؟

ج : لا ، والحكومات الاشتراكية فى فرنسا تاريخها معروف ، وكلما هى تتبع سياسة تقدمية على المستوى المحلى لفرنسا ، نجد لها توازنا فى سياستها الخارجية والتى كانت دائما إلى جانب الاستعمار ، ويكفى أن نتذكر سنة ١٩٥٦ لما كانت أزمة قناة السويس مطروحة ، نجد أن الحكومة الاشتراكية هى التى دخلت فى الحرب ضد مصر ، وهذا لا يفاجئنا نظرا لوجود تأثير داخل الحزب الاشتراكى الفرنسى ، ومن جهة أخرى نجد مسئولين فرنسيين تحدثوا بصراحة سواء تعلق الأمر برئيس الجمهورية أو بالوزير الأول أو بوزير الخارجية كلهم يقولون أنهم ليس لهم اختيار فى الدخول أوعدم الدخول لهذه الحرب ، لأنهم يريدون أن يكونوا فى طاولة ما بعد الحرب ، ويكون لهم نصيب فى هذه الحرب وبالتالى توزيع الغنائم يجب أن يكونوا موجودين من بين دول الحلفاء إذن هذا اختيار ، وفرنسا دولة مستقلة لها حق أن تختار ، ولكن لا يمكن لها أن تختار موقفا عدوانيا ضد العالم العربى وضد دول البحر الأبيض المتوسط وضد العالم الإسلامى الذى يبلغ سكانه اليوم مليار و ٢٠٠ مليون مسلم ، وضد العالم الثالث كله الذى يبلغ سكانه أربعة مليارات و ٢٠٠ ألف مواطن دون أن تتوقع نتائج عكسية لموقفها الذى اختارته بكل سيادة ضد كل دول

الجنوب ، والخطأ ليس من العرب ولا من المغاربة لأن هنالك علاقات تاريخية وحضارية متينة ، ولكن للأسف لم أتفهم بعد هذا العناد الذى برهنت به فرنسا ، وإن كانت تدخلت يوم ١٤ يناير تدخلا إيجابيا كان على وشك إيجاد حل . لكن الضغط الأمريكي على فرنسا برهن أن فرنسا مثل باقى دول أوروبا ستكون الضحية الأولى . هذا بقطع النظر إلى الحرب العسكرية التى ستخلف ضحايا فى البشر والعتاد ، كما أن توحيد أوروبا واندماجها خلال عام ١٩٩٢ انتهى الآن لأن أوروبا نفسها أصبحت مستعمرة سياسيا واقتصاديا وحضاريا من طرف أمريكا ، والمغرب العربى جزء بسيط من العالم لا يتجاوز عدد سكانه ٨٠ مليون نسمة ووزنه ضعيف ، ولكن المهم هو علاقة أوروبا بالعالم الثالث والعالم الإسلامى والعربى .

س : أعلن الرئيس صدام حسين عن قطع العلاقات الديبلوماسية مع دول الحلفاء واستثنى المغرب فهل لك تفسير لهذا الاستثناء ؟

ج : ليس لى تفسير ، لكن أظنه أمرا طبيعيا لأن الموقف المغربى سواء المعبر عنه رسميا ، أو الشعبى أو موقف الأحزاب أو موقف البرلمان ، المغرب كله موحد حول شئ واحد وهو الدفاع عن كرامة العراقيين ومناصرة الصمود العراقى ، هذا أمر مفهوم من طرف المسئولين العراقيين .

س : وجهتم دعوة إلى المدير العام لليونسكو للتدخل قصد وقف التدمير الذى طال الممتلكات الثقافية للعراق ، فإلى أين وصلت هذه الدعوة ؟

ج : لقد كنت مسئولا سابقا فى اليونسكو كنائب للمدير العام لليونسكو مكلف بالقطاع الثقافى ، وكنت قد بعثت أخيرا ببرقية إلى المدير العام فيديركو مايور أطلب منه التدخل لوقف التدمير الذى يتعرض له التراث الإنسانى فى العراق طبقا لمعاهدة لاهاى ١٩٥٤ المتعلقة بحماية التراث الثقافى فى حالة النزاعات المسلحة ، خاصة وأن ما تتضمنه العراق من تراث إنسانى ليس عربيا أو إسلاميا فحسب ، ولكن كونى وإنسانى ، ولكن إلى اليوم لم أتوصل بعد لأى أصداء عن تحرك ملموس للمدير العام حول الموضوع ، وإن كان نائب المدير العام قد أبدى لى اهتمامه بالموضوع ، وللأسف فقد تأكد اليوم أن متحف بغداد قد دمر ، والذى كانت لى فيه مسئولية فى أواخر الستينات وبداية السبعينات .

وفى الوقت الذى يتحدث فيه الجميع عن الشرعية الدولية ، لا نجد أحدا بما فى ذلك المنظمات الدولية يهتم بهذه الجوانب ، وهو أمر يكشف بكل أسف عن عنصرية جديدة وأصبح تطبيق القانون على حساب المصالح وليس انطلاقا من المشروعية الحقيقية .

س : ما هى توقعاتك عن آثار هذه الحرب ، عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى العالم العربى والمغرب العربى خاصة ؟

ج : بقطع النظر عن الخسارات الراهنة بالعراق على وجه الخصوص ، سيربح العالم الثالث حوالى ١٠ سنوات إلى ١٥ سنة كمرحلة خاصة بعد تبين مقاصد الغرب الحقيقية ، مما سيجعل النموذج التنموى المتبع من طرف دول العالم الثالث يبدو مبنيا على يد الغرب وعلى التعاطف مع هذاالغرب وعلى مساعداته الفنية والتقنية وما يسمى بالتعاون التكنولوجى ، أما اليوم فأظن أن وعى العالم الثالث أصبح واضحا بضرورة نهج سياسة جديدة أسميها بسياسة الاعتماد على النفس فى كل الميادين تكنولوجيا وعلميا وحضاريا واقتصاديا بما فى ذلك ميدان التغذية ، وأنا متفائل جدا على الأمد الطويل الذى يتحدد بحوالى ١٥ أو ٢٠ سنة ، لكنى متشائم بخصوص أربع أو خمس سنوات المقبلة لأن حرب الخليج هى مجرد بداية لحرب حضارية ضارية ستستمر طويلا ما بين الشمال والجنوب .

وقد تبين أن الغرب غير مستعد للتعايش مع حضارات أو ثقافات غير الثقافة الغربية وما يهمه هو مصالحه التى يضطر كما يحدث إلى اليوم حمايتها ولو بالتدمير والعنف ، ويكفينا أن نعلم أن عدد المتفجرات التى استهدفت العراق إلى اليوم تعادل ٢٠ مرة تقريبا القنبلة الذرية على هيروشيما .

إذاعة " هيلفرسن " . (هولندا) ، ١٠ فبراير ١٩٩١

جريدة " العلم " . (١٤ فبراير ١٩٩١)

الأسباب الخمسة لحرب الخليج *

جاوزت حرب العدوان الأمريكى الصهيونى شهرها بأيام ، بعد أن كشفت عن وجهها العدوانى والهمجى لا من حيث تحايلها على القانون الدولى واتخاذه ذريعة لإبادة شعب وأرض العراق ، ولا من حيث عدم تكافؤها بتحامل قوات ٣١ دول ضد دولة واحدة ، ولا من حيث كمية المتفجرات والقنابل المتساقطة على المدنيين من شعب العراق والتى قارب اليوم ٢٠ مرة حجم القنبلة النووية على هيروشيما ، وهى تعتبر بذلك لهذه الأسباب ولأسباب أخرى سبق لى أن أوضحتها ، أول حرب عالمية حقيقية ، يكاد يدخلها العالم الغربى كله ضد شعب واحد .

وقد تبين اليوم للعالم كله وللرأى العام الدولى أن الولايات المتحدة الأمريكية التى تقود هذه الحرب ومن خلفها الغرب كله لم تدخل هذه الحرب من أجل تحرير الكويت ولا من أجل تطبيق « مقررات مجلس الأمن » التى كانت بدورها بوحى من قادة واشنطن ، ولكن هذه الحرب جاءت لخمسة أسباب أساسية :

أولها أن الولايات المتحدة الأمريكية وهى تحاول إعادة ترتيب النظام العالمى الجديد هى القطب الواحد بعد تحلل القطب السوفيتى كقوة للتوازن ، لم تستسغ أن تكون بمنطقة الخليج العربى - بإمكانياته البترولية وبحيويته الجيوسياسية - دولة تنمو وتتجه نحو الاستقلال عن سلطتها ، هذه الدولة التى هى العراق .

وثانيها أن العراق لما حاول أو استطاع تحقيق استقلال تكنولوجى عن الغرب بدأ يهدد أمن مصالح الغرب كله ، سواء لتأهله لتقليص وهم التفوق الغربى أو لتهديده أسواق الغرب لبيع التكنولوجيا الجاهزة .

---

* ١٨ فبراير ١٩٩١ .

وثالثها أن الآلة العسكرية للعراق حققت خبرة وقوة ، أصبح من شأنها تهديد الكيان الصهيونى المزروع بالمنطقة كقاعدة للغرب الصليبى وللولايات المتحدة الأمريكية خاصة .

ورابع هذه الأسباب أن الغرب أدرك قوة العراق الحضارية كمهد للثقافات وكأرض للذاكرة العربية والإسلامية ، الشئ الذى يهدد فى سيادة ثقافته وقيمه الغربية ضد كل الثقافات الأخرى العربية والإسلامية أو غيرها من الثقافات الأخرى .

وأخيرا فإن الغرب كما يرسم فى سيناريوهاته هو مضطر لتجديد ربط خيوط التبعية إليه بعد تآكل الاستعمار القديم ، وسواء دخل العراق للكويت أو لم يدخل ، فقد كان الغرب مستعدا للدخول فى فترة ما بعد الاستعمار لتحقيق سيناريو التمزق من جديد وإن بصيغ مختلفة عن الماضى ، المهم بالنسبة إليه هو أن يقضى على أية قوة تنمو من الجنوب خاصة إذا كانت عربية وإسلامية ، وكان العراق هو الدولة العربية التى تبدو للغرب مصدر تهديد بالدرجة الأولى من جهة العالم الإسلامى ، وبذلك اختيرت المشكلة العراقية الكويتية كمبرر للتدخل السريع والمكثف قصد تدمير العراق ، بعد أن تحكمت الولايات المتحدة فى سلطة القرار داخل هيئة الأمم المتحدة وداخل مجلس الأمن .

فماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة هى القيام بخمس جرائم لم يسبق للإنسانية أن عاشت مثيلا لها فى مدة مثل هذه : فقد تم الاعتداء الوحشى على الإنسان العراقى طفلا كان أو امرأة أو شيخا أو مريضا ، وتم قصف المخابئ المدنية والمساكن والمستشفيات ومنابع الشرب ، سجل خلالها القصف ما يزيد عن ٧٥ ألف طلعة ، نقدر لكل طلعة ثلاثة شهداء على الأقل ، وهو ما يفيد سقوط أكثر من ٢٢٥ ألف شهيد . فهل قام الضمير العالمى بإدانة أمريكا وحلفائها ؟ وهل تحركت الشرعية الدولية أمام خرق أهم مبدأ فى حقوق الإنسان وهو حق الحياة ؟ وهل صرح مسئول بأن ما يحدث هو خرق للاتفاقيات الدولية الملزمة للجميع لحماية المدنيين فى حالة النزاعات المسلحة ؟ لا أحد ، أضف إلى ذلك أن العدوان المسلط على العراق خلف جريمة ثانية نكراء وهى تدمير البيئة الطبيعية سواء تعلق الأمر بالمزروعات والنباتات أو بضرب ينابيع المياه أو بتلويث المياه البحرية الخليلجية أو بتلويث الهواء مما تسبب أخيرا فى تساقط أمطار سوداء داخل إيران ، فهل تحركت المنظمات البيئية العالمية لحماية بيئة العراق وحماية أمنها الطبيعى ، هل سمعنا أحد من أصحاب « الخضر » يصرخ ضد هذه الجرائم المرتكبة فى حق

الطبيعة ؟ لا أحد ، ثم تأتى الجريمة الثالثة وهى تدمير التراث الإنسانى الثقافى والحضارى بالعراق بدون مبرر سوى الرغبة فى القضاء على الذاكرة ، ولعل الذى قصفوا متحف بغداد وغيره من مراكز التراث الإنسانى والعربى الإسلامى بالعراق لا يملكون عمقا حضاريا يرجع لآلاف السنين مثل العراق ، أما الجريمة الرابعة فهى المس بمشاعر مئات الملايين من المسلمين بهتك حرمات الديار المقدسة وعدم احترام معتقداتهم ومقدساتهم وهى جريمة ستظل مرسومة داخل عقل كل مسلم يذكر فيها أن الغرب قد دنس أرضه المقدسة ولم يحترمه فى دينه وعقائده .

وأخيرا تأتى الجريمة الخامسة فى هتك القانون الدولى وضرب الشرعية الدولية والقضاء على مصداقية مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وغيرهما من الهيئات الدولية بعد أن تحولت هذه المنظمات بضغط من دول الغرب من هيئات لحماية السلام إلى قلاع للتخطيط للعدوان والسكوت عليه .

إن هذه الوضعية العامة أدت إلى خمس نتائج ستجعلها الشعوب العربية دروسا لمسيرتها فى المستقبل القريب والمتوسط والبعيد .

النتيجة الأولى : هى أكذوبة الغرب المتحضر ، إذ لم يظهر من غرب القيم الحضارية والحداثة وحقوق الإنسان سوى وجهه العدوانى الصليبى ، وهو ما سيجعل دول الجنوب كله تدرك أكثر من أى وقت مضى خاصة الدول العربية الإسلامية أن مستقبلها رهين بما أسميه سياسة الاعتماد على الذات ، النتيجة الثانية وهى ترتبط بما كشفه الغرب من عدوان وحقد ضد الحضارات الأخرى ، وسيكون ذلك درسا للدول الإسلامية بأن تتمسك أكثر من ذى قبل بهويتها الحضارية الإسلامية ، انطلاقا من الإسلام كنظرية تحررية ضد كل مظاهر الاستيلاب الثقافى واللغوى التى خلفها الإستعمار بكل ألوانه ، النتيجة الثالثة : تظهر فى انكشاف الانفصام الحاصل بين الحكام العرب وبين الشعوب العربية ، حيث بدا واضحا أن طموحات الشعوب ونضالاتها ومشاعرها مغايرة لرغبات واختيارات ومصالح الأنظمة الحاكمة ، وهو ما أوضح أن النضال من أجل الديموقراطية وإقرار حرية التعبير وحقوق الإنسان شرط أساسى لفعالية أى بلد ، كما كشفت حرب الخليج فى نفس الاتجاه عن تبعية وخنوع عدد من المثقفين الذين انكشف ولاؤهم للغرب ، إما بمساندته فى حربه الصليبية ضد شعب

العراق أو بصمتهم على ما يجرى ، النتيجة الرابعة كدرس للأمة العربية لتدرك أن التكنولوجيا والعلم وتحصين الذات بهما هما وحدهما السبيل لبناء المستقبل في غير حاجة إلى دول الشمال والغرب ، وتبين أن التعاون بين دول الجنوب فيما بينها قادر على إلغاء علاقات الهيمنة القائمة على استغلال الشمال للجنوب كما هو الحال اليوم في عدد من القارات بأمريكا الجنوبية وإفريقيا وآسيا . وأخيرا تأتى النتيجة الخامسة واضحة في أن المستقبل العربي لا يمكنه أن يبقى على الحال الذى كان عليه خلال فترة ما قبل ٢ أغسطس ١٩٩٠ ، لأنه كما كان الغرب يخطط لقانون دولى جديد ، حملت حرب لخليج معها حتمية التغيير المقبل في كل مظاهر النظر والعمل العربي سواء في علاقته مع نفسه أو مع الغرب .

وأذكر هنا معركة موكدن بين روسيا واليابان التى انطلقت يوم ١٩ فبراير ١٩٠٥ ، أى مثل هذا اليوم الذى سجل لكم فيه هذا الرأى ، أى ١٩ فبراير ١٩٩١ - حسب التوقيت المحلى - وانتهت يوم ١٠ مارس ١٩٠٥ بعد أن سجلت انتصار اليابان على روسيا ، وهى أول حرب تنهزم فيها دولة غربية في التاريخ المعاصر . فهل سيعيد التاريخ نفسه ؟ خاصة إذا وضعنا في الحسبان الاعتبارات الطقسية والمناخية والتى تفيد ببداية رياح الشمال عند نهاية شهر فبراير بمنطقة الخليج والتي ستزامن من جهة أخرى بدايات شهر رمضان المعظم .

(المقال مقتطف من عدد من الأحاديث التى أجرتها معه بعض الإذاعات والتلفزات الأجنبية) .

العلم ٢١ فبراير ١٩٩١

الخبر ٢١ فبراير ١٩٩١

الشروق (التونسية) ٧-٣-١٩٩١

الأبعاد العلمية والتكنولوجية *

يتناول الموضوع الأبعاد العلمية والتكنولوجية لحرب الخليج وتأثيرها على وضعية العالم العربى والعالم الثالث بصفة عامة ، أى ٨٠ ٪ من سكان الكرة الأرضية . أسباب هذه الحرب بسيطة جدا ، ويمكن أن نعدد منها خمسة :

١ - عدم وجود مجتمع مدنى فى البلدان العربية بصفة خاصة وفى بلدان العالم الثالث بصفة عامة . وأعنى بعدم وجود مجتمع مدنى عدم احترام حقوق الإنسان ، وعدم ممارسة الديموقراطية . وهى أشياء نؤدى ثمنها حاضرا وسنؤدى ثمنها مستقبلا على الأقل لمدة خمس أو عشر سنوات.

٢ - الجهل . إن نسبة الأمية فى العالم العربى تفوق ٥٦ ٪ من سكانه ، وإذا سلمنا بأن هذه المنطقة العربية هى منطقة إسلامية ، وأن أول آية نزلت فى القرآن هى « اقرأ باسم ربك » ، يمكننا أن نتساءل هل نحن نعيش حقا فى مجتمع إسلامى أم لا ؟ وهل المسئولون على الحكومات العربية هم فعلا مسلمون ؟ هؤلاء المسئولون الذين يقررون الأولويات فى ميدان التنمية .

٣ - عدم وجود رؤيا موحدة ، أى عدم وجود إجماع حول المجتمع الذى نريده مستقبلا ، والافتقار إلى هذه الرؤيا له علاقة بالسبب الأول .

٤ - بناء النموذج التنموى المعتمد فى دول العالم الثالث خلال الثلاثين سنة الأخيرة وبالخصوص فى العالم العربى على التقليد الأعمى وعلى التبعية ، وبالتالى على عدم الثقة فى النفس وعدم الجدية .

٥ - عدم وجود سياسات أو استراتيجيات علمية أوتكنولوجية . وعدم الاستثمار فى البحث العلمى .

---

* ١٩ فبراير ١٩٩١ .

إذن على ضوء هذه الأسباب يمكن للإنسان أن يفسر الوضعية الحالية التى يعيشها العالم العربى أو العالم الثالث بصفة عامة، هذه الوضعية التى يطبعها الضعف ، وبالتالى فهى تفسح المجال على مصراعيه للدول الاستعمارية كى تتصرف كما يطيب لها .

فيما يخص التنمية ، هنالك وصف أطلقه السيد رونى ما هو ، مدير عام سابق فى اليونيسكو ، الذى كان لى شرف الاشتغال معه كنائب مدير عام ، كان يقول عن التنمية : إنها تتحقق حين يصير العلم جزءا من الحضارة ، أو بمعنى آخر تكون التنمية حين يكون للعلم مكان داخل القيم التى تسير المجتمع ، وأظن أننا نسينا فى بلداننا وفيما يخص التنمية ، نسينا تماما أن نخصص للعلم والتكنولوچيا مكانهما ، خاصة وأن لنا حضارة ، وأن لنا دينا ، وليس هنـاك أى كتاب منزل يتطرق إلى كلمة العلم مثل القرآن الذى لا يكتفى بالإشارة إلى هذه الكلمة ، بل يورد بشأنها تفاسير ومعانى لم نتوصل حتى الآن إلى فهمها . مما يستوجب قراءة جديدة للقرآن . ولما أقول قراءة جديدة للقرآن لا أعنى أركان الإسلام أو الأشياء المسلم بها فى الدين والتى يفهمها كل مسلم ، إنما أعنى قراءة جديدة للقرآن لكونه جاء لكل مكان ولكل زمان ولكونه يساير أى تقدم علمى أو تكنولوچى ولا يتنافى معه ، فكلما ازددنا فهما لآياته الكريمة كلما ازددنا إلماما بالعلم وبالتكنولوچيا . هناك علماء مقتدرون ، ومنهم محمد عبد السلام ، كتبوا الكثير عن القرآن والعلم .

لذا فالتفتح شئ ضرورى فى الإسلام ، وأعنى التفتح الإيجابى ، وحتى الاختلاف ، ليس فى الأركان والمسلمات ، لكن الاختلاف الذى أعنيه هو سنة وفيه أجر ، وبدون اختلاف ليس هناك تعددية ، وليس هناك تقدم .

إن أول حقيقة تتعلق بالعلم والتى يجب فهمها أولا ، هى أن حقيقة اليوم ليست هى حقيقة الغد . هناك أشياء فى القرآن هى للدوام ، لكن هناك أشياء لا يمكن أن نتوقعها أو نقرأها فى كل قرن بنفس الطريقة ، فغير ممكن أن نقرأ القرآن ، ونحن على وشك القرن الواحد والعشرين ، مثل ما كان يقرأ فى القرن السابع أو الثامن . لأن المعرفة الإنسانية الآن ليست هى المعرفة الإنسانية للقرون الماضية ، وأكبر خطأ وقع فى تاريخ الإسلام وجر إلى التدهور هو أن ٩٥ ٪ ممن يسمون فى بلداننا بعلماء الإسلام أو الذين يخطبون فى المساجد يوم الجمعة هم جهلاء ! لا أعنى أنهم جاهلون بالدين ، ولكن بما يدعو إليه الدين من الاجتهاد ، ذلك أنه فى القرن الرابع قرر بعض الناس قفل باب الاجتهاد

بدعوى أن الأشياء كلها واضحة وكل شئ واضح فى القرآن وواضح فى السنة وفى الأحكام التى صارت للمذاهب الشرعية ، إن هذا فى نظرى هو أكبر غلط ، لأنه لا يمكن فهم القرآن إلا بطريقة ديناميكية ، وبمفهوم التغيير ، فالقرآن جاء بالتغيير ، والتغيير لا يخص وقتا معينا محدودا ، لكنه تغيير مستمر ، وفى نظرى ليس هنالك مسلم يقبل أن قراءة القرآن اليوم هى قراءته غدا !

فلنعد قراءة هذا القرآن ، ليس فيما يخص الأركان أو العبادات أو الأشياء المسلم بها فى ديننا الحنيف ، لكن فى الأمور الخاصة بالتفتح ، إن هناك جهلاء يجهلون جهلهم ولا يتركون الفرصة لأى أحد يريد أن يعرى لهم جهلهم ويعطيهم البرهان على ذلك .

أعود إلى حرب الخليج فأقول إنه ما بين الأمور التى استفدنا منها بالنسبة لكل فرد هى أهمية العلم ، فكل فرد الآن ، سواء كان رجلا أو امرأة أو طفلا ، فهم أن هذه حرب من نوع جديد ، وأنها تتمحور حول العلم والتكنولوجيا . فحينما نسمع بصواريخ الحسين أو العباس ، فهذا برهان على أن فى العراق وجد اهتمام بالعلم .

فى سنة ١٩٧٦ ، عقد أول اجتماع للعلم والتكنولوجيا فى العالم العربى ، وقد نظمته اليونيسكو ، وكان لى دور فى تنظيمه ، وأخذت المبادرة أثناءه مع بعض الزملاء من بلدان عربية أخرى ، تتعلق بتوصية لإنشاء صندوق عربى للبحث العلمى باعتماد قدره ٥٠٠ مليون دولار ، وهو مبلغ يصرف الآن فى ست أو سبع أو ثمانى ساعات يوميا فى حرب الخليج . وقمنا بدراسات ، فى إطار فرقة اشتغلت معها للقيام بدراسة للجدوى ، وتوصلنا إلى توصية بإنشاء هذا الصندوق ، لأن بعض الدول الخليجية ، خاصة منها الكويت والسعودية رفضت أن يكون مركز هذا الصندوق الخاص بالبحث العلمى بالعراق ، وقد تم ذلك بعد الاتصال بمجالس البحث العلمى الموجودة فى كل البلدان العربية تقريبا ، وهناك اتحاد لهذه المجالس العربية كان مقره موجودا بالعراق . وفى تلك الأثناء - أى فى سنوات ١٩٧٨ - ١٩٧٩ - ١٩٨٠ - ١٩٨١ كانت العراق تصرف ٢ ٪ من مدخولها القومى فى البحث العلمى ، وبقية الدول العربية كلها بما فيها الدول الخليجية التى كانت لها إمكانيات كبيرة لم تكن تصرف حتى ٠,٣ ٪ فى هذا الميدان .

إنن أول ما يلفت الاهتمام هو أن البلد العراقى فهم قيمة العلم وأنفق فى ميدان العلم ليس بالطريقة التى تنفق بها بقية دول العالم العربى أو دول العالم الثالث .

حرب الخليج أكدت ما قلته يوم ٢٧ سبتمر ١٩٩٠ ـ أى أسابيع وشهور قبل اندلاع الحرب ـ على أمواج الإذاعة الدولية الفرنسية من أن الحرب ستقع ، وأعطيت من بين الأسباب أن الولايات المتحدة الأمريكية ومن يدور فى فلكها ، بمن فيهم إسرائيل وإنجلترا وفرنسا ، أنفقت الكثير فى الميدان العسكرى وأصبحت لديهم عدة أسلحة جديدة متطورة يجب أن يختبروها ، ، إلا أنها لكى تجربها هى فى حاجة إلى مختبر ، والخليج كان هو هذا المختبر !

نحن هنا بصدد الكلام عن حرب علمية تكنولوجية . فى دراسة عسكرية علمية ، قدر مستوى إصابة الهدف فيما يخص الأسلحة المتطورة المستعملة خلال الحروب المعاصرة ، قدر مستوى الضبط فى إصابة الأهداف بالصواريخ وما شابه ذلك من أسلحة متطورة بما لا يتعدى ٣٠ ٪ ، يعنى حينما تطلق الصواريخ أو القنابل من الطائرات المتحكم فيها بأشعة الليزر أو بغير ذلك ، يصيب ٣٠ ٪ منها فقط هدفه ، أى أن ٧٠ ٪ المتبقية كلها تذهب سدى . لكن يقال بأنه خلال الحرب العالمية الثانية كان تحقيق الأهداف بنسبة ٣ ٪ ، إذن هناك تقدم بمستوى ١٠ مرات أكثر ، لكن يجب أن لا ننسى أن جل هذه الأسلحة تستعمل للمرة الأولى والمقصود منها هو دراسة نتائجها . والدول التى تختبر هذه الأمور هى الولايات المتحدة وإسرائيل التى لها مشاريع كبرى فى البحث العلمى . من جهة أخرى يجب أن نعرف العلاقة الموجودة ما بين العلم والتكنولوجيا والحرب ووسائل التخريب والتهديم ، وهى أمور لها علاقة بالحضارة الغربية وبالقيم الغربية . هناك أكثر من ٢٠ مليون شخص يشتغلون فى الصناعة الحربية و٦٠ ٪ من بين هؤلاء من الجالية العلمية العالمية ، يعنى أنه فى أمريكا إذا وجدت ثلاثة علماء ، فكن على يقين بأن اثنين منهم يشتغلون فى ميدان التخريب ، لأنها هى الوسيلة التى يمول بها البحث العلمى فى أكبر الكليات . إن مؤسسات كالمعهد التكنولوجى بـ « ماساشوسيتش » أو « هارفارد » أو « كاليفورنيا » أو غيرها من المعاهد لها اتفاقيات مع وزارة الدفاع الأمريكى ومع وزارة الأبحاث العلمية . ولا ننسى كذلك أن ٤٠ ٪ من الإنتاج الصناعى فى الولايات المتحدة هو فى الميدان العسكرى . إذن حين ننظر من الناحية الاقتصادية ونرى أن ٢٠ مليون من الناس يشتغلون فى هذا الميدان : أكثر من ٦٠ ٪ من العلماء ، يعنى الجزء الأكبر من البحث العلمى ، فهذه

الأسلحة ، التى يبذل بشأنها هذا المجهود الجبار ، يجب أن تجرب ، ويجب أن تباع ، وإذا بيعت يجب أن تحطم لكى تباع من جديد .

فيما يخصنا ، إذا أخذنا دول الخليج أى السعودية والكويت والإمارات وقطر والبحرين وعمان فقط ، نجد أن هذه البلدان صرفت ما يناهز ١٥٠ إلى ٢٠٠ مليار دولار فى شراء الأسلحة خلال العشر سنوات الماضية . وقد دفعت فى شراء هذه الأسلحة ثمنا مضاعفا وليس ثمنا حقيقيا ، والمهم الذى يلاحظ أن هذه الدول لما اشترت هذه الأسلحة لم تقم بأى بحث علمى خاص بتحسينها ، أو بالتعامل والتفاهم معها من الناحية التكنولوجية ، بل اشتروا هذه الأسلحة كبضائع دون تفهم لقيمتها أو خباياها . وهذه المبالغ التى تدفعها الدول المذكورة (من ١٥٠ إلى ٢٠٠ مليار دولار) تذهب منها على الأقل ٢٥ ٪ فأكثر ، كتمويل للبحث العلمى فى الولايات المتحدة والدول الغربية من طرف دول العالم الثالث . *

ففى كل عشر دولارات مما تدفعه دول العالم الثالث فى الأسلحة ، هناك ثلاثة دولارات تذهب مباشرة لتشجيع البحث العلمى فى البلدان الغربية ، وكما تعلمون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حصل ما يقرب من ٢٥٠ نزاعا مسلحا فى العالم ، كلها وقعت بالعالم الثالث وكل الأسلحة التى استخدمت فيها من الغرب . ومع ذلك يستمر نفس السيناريو ، أى أن هذه الدول تشترى الأسلحة لتستغلها فى قتل بعضها البعض أو تستغلها لأهداف أمنية داخل بلدانها ، ولم نر قط أسلحة اشتراها العالم الثالث واستعملت ضد الغرب ، باستثناء حرب كوريا وحرب فيتنام ، وطبعا الآن فى العراق .

إن المقصود من تحطيم العراق هو أن هذا البلد له نموذج تنموى وأعطى أولوية للبحث العلمى والتكنولوجيا ، وهذا غير مقبول من قبل الدول القوية . فالقوى الكبرى لا تسمح ، وبالخصوص فى منطقة الشرق الأوسط لأى دولة كيفما كانت أن تسيطر على العلم والتكنولوجيا مثل ما عملت إسرائيل ، لأن ذلك يشكل خطرا فى نظرهم على الأمن فى المنطقة وبالتالى خطرا على بقاء إسرائيل .

هذه بعض المعطيات المتعلقة بعلاقة العلم والتكنولوجيا ، وتجدر الإشارة إلى أنه

---

* ويحق أن نتساءل : متى يمكن لهذه الدول استعمال تلك الأسلحة ؟ وضد من ؟

يجب أن نكون متفائلين على الأقل في المدى المتوسط ، لأن هنالك تقدما كبيرا في العالم العربي ، فحسبما قمت به من إحصائيات خلال العشر سنوات الماضية ، نشر ما بين ٣٠ ألف أو ٤٠ ألف صفحة في ميدان البحث العلمي المحض من طرف أشخاص عرب البلدان العربية . لكن من يقرأها ومن يعيرها ما تستحق من اهتمام ؟ فهذه الأبحاث العلمية كل صفحة منها تستوجب أن يصرف في تطبيق ما كتب فيها ، على الأقل ما بين ٥٠ و ١٠٠ ألف دولار من قبل الدول في هذه المنطقة لكن ، ويا للأسف ، لنا ما ننفقه على الحفلات بسخاء ، ولنا الأموال التي تصرف في أغراض ثانوية ، وليست لنا أموال ننفقها في ميدان العلم والتكنولوجيا داخل بلداننا .

كتب أنطوان زحلان ، وهو خبير عربي ، عن العلم والتكنولوجيا في العالم العربي ، وقدر أن هناك على الأقل ٢٥٠ ألف من المهندسين في البلدان العربية ، بينما هنالك أكثر من ٢٥٠ ألف مهندس عربي يشتغلون خارج العالم العربي . إذا ما أخذنا هذه النسبة وهي ٥٠٠ ألف مهندس عربي ، نجدها تفوق نسبة عدد المهندسين في فرنسا أو في ألمانيا . ولكن من كل اثنين هنالك واحد يشتغل في الخارج ليس لأسباب مادية فقط أو لطمع ، لكن لأنه لا يجد الوسائل الكافية لممارسة عمله أو بحثه العلمي ، أو لم يجد المناخ الملائم للقيام بعمله . لأن العالم أو الباحث لا يمكن أن يقوم بعمله إذا لم يجد الحرية بكل مقوماتها ، من حرية التعبير إلى التعددية والاختلاف مع الآخر في الرأي وإمكانية نشر أي شئ دون تخوف من أن يجد الإنسان نفسه في السجن بسبب أنه قال كلمة لا تتماشى مع كذا ، أو لا تعجب هذا ، أو فيها مس بكذا ، إن وضعا لا تسوده حرية البحث والتعبير يشكل عائقا وعرقلة للبحث العلمي . لهذه الأسباب نفهم لماذا هذا العدد من المهندسين العرب يوجدون بالخارج .

بالنسبة للمغرب ، إذا ما أخذنا المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا الذي يقوم بإعداد تقارير سنوية تضم جميع الإحصائيات ، نلاحظ أن أكثر من ٧٠٠ شخص مغاربة من الجنسين لهم مستوى الدكتوراه ، وأكثرهم يشتغلون في هذا المركز في إطار البحث العلمي . وإذا ما لاحظنا أن كل واحد من هؤلاء صرف عليه من الميزانية المغربية أكثر من ١٠٠ ألف دولار ، يمكن القول عندما نتكلم عن المساعدة الفنية ، من يساعد من ؟ فرنسا ترسل لنا خبراء من الدرجة الثالثة أو الرابعة ، والنصف من

هؤلاء يشتغلون لصالح المخابرات ، ونحن نعطيهم أكبر خبرة عندنا ، إذن فمن يساعد من ؟

هذه إذن نقطة لها علاقة بحرب الخليج ، خاصة وهذا وقت للتأمل والتبصر لنتفهم المشاكل ، خاصة بالنسبة للشباب الذين هم جيل الغد .

انعقدت مؤخرا فى القاهرة ندوة عن العلم والتكنولوچيا ، نشرت مؤخرا فى المستقبل العربى عدد ١٤٣ شهر يناير ١٩٩١ الصفحة ١١٦ ، تقول هذه الندوة أنه علينا أن نتذكر أن ٨٥ ٪ من البحث العلمى بمصر ممول من أربع هيئات أجنبية . البحث فى مصر ٨٥ ٪ منه ممول من الخارج ، وحتى من الخارج هناك أربع هيئات ثلاثة منهم مؤسسات أمريكية معروفة . ويداخلنى الشك بشأن دوافع هذا الإنفاق الأجنبى على البحث العلمى بمصر ؟ فما سبب هذه المحبة وهذا السخاء ؟ الشئ الذى لا يأخذنى فيه الشك هو أن الباحثين فى مصر يخدمون أجهزة المخابرات الأجنبية ! يمكننا أن نقول لهم : مرحبا بكم ، لو كانوا فى خدمة المخابرات المصرية . أقول ذلك لأن مصر تهمنا جميعا وهذا موضوع استراتيجى ، وقد أذهب إلى حد القول بأننى أفضل أن لا يكون لدينا بحث علمى ما دامت أجهزة دولنا لا تعطى الأسبقية والمصداقية له . ونفس المشاكل عندنا فى المغرب وتونس والجزائر . إن البحث العلمى كله يعتمد على المساعدات الثنائية والدولية . هنالك مؤسسات ، مثل معهد الحسن الثانى للزراعة ، تمول فيها الأبحاث من قبل كندا وبلچيكا وغيرهما . وكذلك الشأن بالنسبة لكلية علوم التربية فهى تعتمد على كندا وفرنسا وبلجيكا الخ ، فمن الأفضل أن لا يكون بحث علمى ، لنرسل خبراءنا إلى الخارج ليتكونوا ، فمادام البحث العلمى لا تعطيه حكوماتنا الأولوية الكافية ، فإننا نلاحظ أنهم بتمويلهم لنا يعطوننا ١٠٠ دولار ، وتعود عليهم بـ ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دولار . زيادة على أنه وسيلة للاطلاع على أسرارنا ، لفهم طبيعة الخبراء فى بلداننا ورصد من سيكون لهم مستقبل لاستدراجهم إلى التجارة ، وسرقتهم بطريقة بسيطة . فالمسألة إذن لا تتعلق بأهمية البحث العلمى فحسب ، بل بطريقة تمويله .

فإذا ما راجعنا تاريخ العلم والتكنولوجيا فى العراق ، وهذا شئ تبعته منذ البداية وباهتمام ، يمكن أن نقول أن أكثر من ٩٠ ٪ من كل ما أنفق على البحث العلمى والتكنولوجى فى العراق جاء من ميزانية الدولة ، ولكن فى بقية العالم العربى ممول بمساعدة من الخارج ، وكذلك الشأن فيما يتعلق بالجزائر وفى تونس ، وفى مصر .

إذن يجب أن نكون على وعى بما يجرى ، وأن نستنتج من حرب الخليج أشياء للأجيال القادمة ونركز على إعطاء الأولوية للبحث العلمى .

هناك قطاع لازلت أحاربه منذ عشرين سنة ، كاقتصادى ، نظرا للأولوية التى تعطى له ، وهو قطاع السياحة ، إن هذه الأولوية هى غلط فاحش ، من الناحية الاقتصادية ، لأنه ناتج عن نموذج اقتصادى تنموى مبنى على الخارج . فلماذا نبنى الفنادق من فئة خمسة نجوم ، بينما هنالك حاجيات أكبر وأهم .

إن السياحة هى قطاع يتميز بالتغيير حسب الظروف النفسانية ، فإذا سمع السائح الأجنبى بأن هناك إصابة بالكوليرا على بعد ٥٠٠ كلم من المغرب فإنه لن يأتى إلى المغرب . فعوضا عن ذلك ينبغى أن نبنى فنادق من فئة ٢ أو ٣ تكون فى متناول المواطنين ، أو نعتمد سياحة مبنية على التعاون مع دولة مثلنا ، فالحمد لله إذن على أن السياحة الآن فى أزمة ، ومن شأن ذلك أن يجعلنا نستخرج العبرة كى نخطط بشكل أفضل مستقبلا ، ونركز على سياحة داخلية تكون ذات جدوى .

الكل يفهم الآن أن قطاع السياحة هو ميدان للرشوة والفساد بجميع أشكاله ، فمن يستغل هذا القطاع لوحده ؟ هناك فئة من الناس قليلة العدد يمارسون أبشع أنواع الاستغلال ، فمنهم مسئولون حكوميون وفى مؤسسات كبرى استغلوا نفوذهم ، والأخطر من الرشوة التى تطبع هذا القطاع ، تشكل السياحة ميدانا للتلوث الفكرى والخلقى ...

هناك نقطة أخرى لها علاقة بالعلم والتكنولوجيا والأخلاق . إن العلم والتكنولوجيا فى الحضارة الغربية مبنيان على المادة دون أى اهتمام بالجانب الإنسانى أو الأخلاقى . ويبدو التركيز واضحا على ما يسمى بالتنمية الصناعية الوحشية ، مما نتج عنه تلوث ليس فقط التلوث البيئى ، وإنما التلوث الحضارى فيما يخص القيم ، فقد أعطيت الأولوية

للمادة على حساب القيم ، وصارت هذه المادة هى التى تتحكم فى العلم وفى المجتمع وفى التكنولوچيا .

فى هذا الصدد نذكر علماء كبار ومنهم أنشتاين الذى حورب من طرف اليهود لأنه لم يكن صهيونيا ، وقد كان افتخارى كبيرا بجائزة أنشتاين التى نلتها ، وذلك لسبب واحد هو أننى أعرف دور أنشتاين فى العلم . وأذكر أن هذا العالم الكبير قد أنشأ مع جماعة من العلماء ، ومنهم برتراند راسل وآخرون ، انشئوا حركة (باكواش) على إثر إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ، وقد اشتغلت مع هذه الحركة سنين ، وهى ذات هدف علمى وأخلاقى ، كما اهتمت بالعلم والسياسة ، والعلم والمجتمع .

حقيقة إن هنالك منافع مادية على المستوى المدنى فى الغرب ، لكن كلنا نعرف من خلال استقراء لتاريخ العلم والتكنولوچيا أن التقدم الحاصل فى الميدان الطبى أو الاعلامى أو فى جميع الميادين نتج فى جزء كبير منه عن الصناعات الحربية والعسكرية . فالأقمار الصناعية التى تدور فى الفلك ٨٠ ٪ منها كلها للتجسس . لكن بعض نتائج التكنولوچيات العسكرية ترجع من بعد إلى الميدان المدنى مثل الإعلاميات والبيوتكنولوچيا ومثل ما يسمى بالمواد الجديدة التى تستعمل فى الفضاء .

إذن هناك علاقة مباشرة متينة بين العلم والتكنولوچيا من جهة ، والتحطيم والتخريب من جهة أخرى ، إلى حد أن بعض الناس بدأوا يتساءلون عن أهداف هذا التطور العلمى التكنولوچى .

إن ما نراه فى الخليج ، وبقطع النظر عن التحليلات السياسية والأيديولوچية والعسكرية والدينية هو برهان قاطع يقدمه الغرب عما وصل إليه من همجية علمية تكنوقراطية ، والتى لا أتردد فى تسميتها بالوحشية التكنولوچية ، خاصة فى وقت يشهد فيه تحولات عظيمة فى ميدان المعرفة .

وخير مثال أعطيه فى هذا الصدد ، أى على مستوى المعرفة ، هو عندما نتكلم الآن عن الوجه غير المادى للاقتصاد ، أو ما نسميه باللامادية الاقتصادية ، قد يبدو لأول وهلة أن هناك حقيقة نلاحظها هى أن الاقتصاد الآن هو أقل مادية مما كان عليه من قبل . فماذا نعنى بذلك ؟ لنأخذ مثلا حاسوبا صغيرا من فئة ١٢٨ ، فقبل ٢٥ أو ٢٠ سنة لم

تكن قاعة مثل هذه تتسع لمثل هذا الحاسوب ، وقبل أربعين سنة فإن أول حاسوب استخدمه المعهد التكنولوجي بماساشوسيتش يشغل قاعة تكبر ثلاث مرات فصلا دراسيا .

ما أعنيه من أن الاقتصاد صار أقل مادية الآن ، هو أن المواد المستعملة الآن هي أقل بكثير مما كان يُستعمل من قبل بالنسبة للآلات . فالمواد الموجودة في هذه القاعة من خشب وأشياء أخرى كانت تكلف كثيرا من المواد في صنعها . أما اليوم فهناك مواد جديد تصنع في المختبرات ولكنها مركبة ولا تحتاج الى مواد منجمية . مواد أسهل وأرخص تكلفة من تلك التي نستخرجها من المناجم . وأعطيكم مثالا بالنحاس ، ففي ميدان التليفون قبل عشر أو ١٥ سنة كنا نحتاج لـ ١٠٠٠٠ مكالمة لأطنان من النحاس تستعمل في صنع أسلاك التليفون . أما الآن فعوض العشرات الآلاف من الأطنان نكتفي بكيلوميتر من النسيج البصري فقط . وعوض أن نذهب الى (روديسيا) أو (زيمبابوي) أو (زايير) ونبحث عن النحاس ونصنعه فإن النسيج البصري الآن يصنع داخل مختبر وبسهولة .

ومن هنا يمكننا القول ان المواد الباطنية المستخرجة من تحت الأرض لا مستقبل لها ، وقد قلت هذا قبل سنة ١٩٨١ بالإمارات في أبو ظبي ، ونشر قولي في جريدة الاتحاد ، وقد أخذوني كثيرا على قولي بأن الدول التي تملك المواد الطبيعية قد سخط الله عليها حين أعطاها ذلك ، ونلاحظ في هذا الصدد بأن ولاية تكساس بالولايات المتحدة الامريكية ، التي تتوفر على أكبر الموارد الطبيعية هي مصدر الداء والسوء . وبوش وبيكر ينتميان إلى هذه الولاية ، أي ولاية التكساس ، وكلاهما أشتغل في ميدان النفط ، وبوش كان يملك شركة نفط .

إن الاهتمام بالمواد الطبيعية مهم إلى حد ما ، لكن الاهتمام بالعلم والمعرفة هو الأساس ، وما ينتجه العقل هو أهم بكثير مما تعطيه المادة . إن الفرق بين هذا الحاسوب والحاسوب القديم ليس السر فيه هو المادة ، بل هو الابتكار والاختراع وما ينتجه العقل ، لأن التطور الحاصل في الاقتصاد ، وهو ميدان مادي ، صار أقل مادية .

هناك شئ جديد في ميدان العلم وهو مهم جدا . ظهر منذ سنتين أو ثلاثة ، وهو أن الأشياء غير المادية يتبين أن لها علاقة بالمادة ، بالمفهوم العلمي للمادة ، وهو أمر يصعب

تفسيره من الناحية العلمية والفلسفية الميتافيزيقية . لكن يكفى أن أقول بأن الجديد فى ميدان الفيزياء أو ما يسمى الجزئيات قد أنهى مرحلة الفيزياء الميكانيكية كنظرية نيوتن وغير ذلك من النظريات التى تعتمد فى تفسير الكون على النظرية الميكانيكية ، أى الكرة الأرضية والكون مثل آلة بنظام قارى .. الخ . كل هذا قد انتهى ، فلا يمكن أن نبحث علمياً فى الميادين المتقدمة جدا ، مثل الفيزياء النووية أو ما شابه ذلك إذا لم يتغلب الانسان على الفكرة القائلة بأن هناك عالم المادة وعالم غير المادة ، فهذا الفرق انتهى .

ومن الناحية الفلسفية تعتبر هذه ثورة عظيمة لا تدرك حتى الآن ما هى نتائجها فى المستقبل .

إن الجهاد الحقيقى فى الإسلام هو أولا وقبل كل شئ جهاد المسلم مع نفسه ، مع عقيدته ، مع أخلاقه ومع نفسه قبل معاملته مع الناس .

الممارسة الحقيقية لمواجهة التحديات هو الجد والبحث والعلم والتكنولوجيا ، وكلامى هذا لا علاقة له بحرب الخليج .

منذ سنة ١٩٧٤ ، وأنا ضد نقل التكنولوجيا ، فالتكنولوجيا لن تنقل لأنه شئ غير ممكن ، ممكن أن أذهب وأشترى أشياء أو آلات تباع فى الأسواق أو فى الدكاكين ، لكن كونى اشتريت آلة هل هذا كاف فى حد ذاته ؟ إذا لم يكن فى إمكانى فهم ماهية هذه الآلة ، أو فى استطاعتى أن أفكها أطرافا ثم أركبها بطريقة ملائمة لما أريده منها ، أو أزيد فيها أمورا أخرى أو أنقص منها ، حسب الطريقة التى تتماشى مع حضارتى وظروفى . هذا هو مالم نفهمه بعد .

إن شراء آلة أو مصنع بطريقة المفتاح فى اليد هو أمر ضار ، وبالتالى فإن نقل التكنولوجيا هو أمر ضار .

فاليابان التى يقال عنها - خطأ - بأنها كانت تقلد ، فهمت التكنولوجيا وتزيد عليها أشياء لها علاقة بحضارتها وبقيمها وبذوقها ، وحتى بالألوان التى تحبها . يعنى تكييف التكنولوجيا مع المناخ الحضارى والثقافى الخاص بها .

وفى اعتقادى أنه لا يوجد مجال للرشوة مثل مجال التكنولوجيا ، لأنه حينما نقوم بنقل حاسوب أو آلة ما بتعاون مع الخارج أو بقرض

أو بكذا ، فهذه ميادين خصبة لعملية الارتشاء . ويكمن الأمر كذلك في المساعدة الفنية سواء أكانت هذه المساعدة من البنك الدولي أو غيره ، فهو مفهوم يختلف تقديري له عما يفهمه كثير من الناس ، وتقديري هذا ليس خاصا بي لوحدي ، فقد جاء هذا التقرير في مجلة أمريكية في شهر أبريل عام ١٩٨٨ ، وهو أن ما يقرب من ٤٠ ٪ من كل ما يسمى بالمساعدة الفنية أو التعاون الدولي ، سواء كان هذا التعاون ثنائياً أو عن طريق المنظمات الدولية ، يرجع إلى حسابات خاصة لبعض المسئولين في العالم الثالث مفتوحة لهم بالبنوك الغربية .

وفي مقال افتتاحي لمجلة نيويورك تايمز قبل سنتين ، أن من كل ١٠٠٠ دولار يقرضها البنك الدولي لدول العالم الثالث ، ٧٨٠ منها ترجع إلى الولايات المتحدة بطريقة من الطرق .

إذن نقل التكنولوجيا هو مفهوم غلط ، ولهذا يلزم أن نعتمد على أنفسنا . فكيف نقاوم هذه المسائل ، وهي التحديات التي يجب أن يقوم بها كل شخص ممن يسمون بالمثقفين أو أصحاب العلم ؟ الحل بسيط :

أولا : الجدية ؛ هذه الجدية التي يجب أن يتحلى بها كل شخص مع نفسه أولا . فإذا ما كان الانسان جاداً وله أهداف شريفة ، وله مقاصد بالمفهوم الإسلامي ، فإنه ولا شك سيصل إلى هذه الأهداف . فإذا كان الطالب الجالس على الكرسي من أجل أن ينجح في الامتحان ، وبعد ذلك يحصل على منصب ، ثم يرقى من سلم إلى سلم ، أو ليمكنه أن يحصل على سلف ، أو ليمكنه أن يغير سيارته الصغيرة بسيارة أجمل منها .. فإذا كانت هذه هي المحركات والحوافز الحقيقية الوحيدة ، فمن الأفضل أن يبقى في بيته ولا يشغل محلا في دار للعلم والمعرفة . حقيقة إن هذه حاجيات لابد منها ، وأن كل إنسان يسعى إلى تحقيقها ، وبالتالي أن يكون في وضعية لائقة ، لكن هناك محركات أساسية يجب أن يتوخاها الانسان ، وهي أعمق وأهم من هذه الأشياء البسيطة . فالانسان يجب أن يضم داخل نفسه محركا أساسيا ، بحيث حينما يقرأ كتابا ، يعرف لماذا يقرأ هذا الكتاب ، ولمايكتب شيئا يجب أن يكون واعيا ومؤمنا بما يكتب .

إن هذه الجدية هي نوع من الإيمان، فالإيمان ليس بالله وبالدين فقط ، فهذه من

المسلمات المفروغ منها، إنما الإيمان الحق هو أن أؤمن بنفسي كمخلوق خلقه الله في هذا الكون ليقوم بواجب وليؤدي رسالته في الحياة على أتم وجه ، ولا يكفي لأكون مؤمنا أن أقول لا إله إلا الله ، وأن أصلي وأصوم وأن أزكي وكفى لأقول إنني مؤمن ، إن المؤمن الحق هو زيادة على ما ذكر ، المؤمن بنفسه كمخلوق حمله الله مسئولية فوق هذه الأرض ، وأن يؤدي الامانه الملقاة على عاتقه، وأن يعمل شيئا يذكر . إن الإيمان الشكلي هوأن يقوم الانسان بالفرائض والطقوس التي يحاسب على تركها من قبل ربه ، وهو مسئول عليها بينه وبين خالقه ، لكن الإيمان هو العمل الصالح ، وهو النهي عن المنكر وهو الأمر بالمعروف ، وهذه هي الجدية التي يجب أن يتحلى بها المؤمن . فالجدية والجدوى هي شرط أولي وأساسي ، وهو ما يتنافى مع الغش ، وليس هناك أي شيء سلبي أكثر من غش الإنسان لنفسه ، وأن يكذب على نفسه .

إذن فالقيام بهذا النقد الذاتي واجب على كل فرد أو مسئول أو حكومة أو مجتمع . إذا ما قمنا بهذا النقد فسنحرر أنفسنا وننظفها من الشوائب والأوساخ . فكل الأشياء عرضة للأوساخ سواء داخليا أو خارجيا . فكما يجب على الإنسان أن ينظف نفسه من الخارج فيجب عليه كذلك أن يقوم بتنظيفها من الداخل ، وذلك يتم بالتفكير والاجتهاد اليومي والمراقبة الشخصية ، وينتج عن ذلك الثقة بالنفس التي بدونها لن نتغلب على مركبات النقص ، وخير مثال على ذلك هو النموذج التنموي الذي تكلمت عنه ، والمبني على التقليد والاعتماد على الخارج ، ومن ثم فهو برهان قاطع على عدم الثقة بالنفس .

إن الدور الحقيقي للاستعمار يظهر بعد سنين من الاستقلال السياسي . إن الاستقلال السياسي يتم بشئ بسيط ، بالتوقيع على وثيقة ، كما أن الاستقلال الاقتصادي بسيط هو الآخر ، ففي ظرف سنتين أو ثلاثة يمكن أن تصدر قانونا للتأمين بحيث يتم إخراج الأجنبي ... الخ ، لكن كيف نحصل على الاستقلال الحضاري والثقافي ، كيف نعمل مع تلك المرأة التي تخاطب ابنتها أمام بائع الخضار باللغة الفرنسية ، فهذا إما مركب نقص وعقدة نفسية تبرهن بها هذه المرأة أمام بائع النعناع على أنها هي وابنتها تعرفان اللغة الفرنسية وهو لا يعرف التكلم بها . فلنتعلم عشر لغات أو ثلاثين لغة ، وهذا شئ محمود ومستحب إن لم أقل واجب ، لكن أن يفكر الانسان بهذه الطريقة ،

وهى إهانة لغته وبنى قومه ، فهذا غير مقبول ، وأكبر سبة كان يوجهها الاستعمار بالنسبة لى أو لعدد من الناس من جيلى هو لما يقول لك الفرنسى ، إبان الحماية ، « إنك لست كالآخرين » ، أى أنه يرفع من شأنى ويطيح بشأن خمسة عشر مليون من الناس .

المسئولية الثالثة التى تقع على كاهل المثقف هى الحرية ، ويمكننى أن أقول بأن ٩٥ ٪ من أسباب عدم وجود حرية فى بلدان العالم الثالث ليست مسئولية الحكومات ، أقول ذلك وأنا واع بما أقول ، إن ٩٥ ٪ من أسباب عدم وجود الحرية فى هذه البلدان ناتج عن رقابة ذاتية ، وهو شئ غير مسموح به ، بل هو حرام ، إن الفرد فى هذه المجتمعات هو أسير نفسه ، يخاف ، وعوض أن يقول ١٠ كلمات يكتفى بقول ثلاثة منها مفضلا الاحتفاظ بسبعة فى نفسه ، ومادام يعرفها هو فلا داعى أن يقولها ! وهذا غلط المثقفين والمسئولين ، فبعض هؤلاء يطبقون على أنفسهم رقابة، فكم من مرة يقال لشخص حينما يتكلم بصدق : والله أنا متفق معك تماما فيما تقول ، إلا أننى لا أستطيع أن أقول ذلك ، بينما أنت تستطيع قول ذلك ! فما الفرق بينى وبينك ، وماذا أعطانى الله ولم يعطه لك ، حتى أستطيع أنا أن أقول ولا تستطيع أنت قوله ...

يكفى أن تحمل مسئوليتك وتكون مستعدا لتؤدى الثمن على كلامك بكل ما تحمله الكلمة من معنى ! هذا هو الفرق ، لكن نجد أن ٩٥ ٪ من المسئولين الذين تقع عليهم مسئولية التغيير ، ومسئولية النهى عن المنكر يطبقون على أنفسهم مثل هذه الرقابة ، لماذا ؟ لأنهم ينشدون الهناء وليسوا فى حاجة إلى مشاكل ، ولكى يحافظوا على الامتيازات والترقيات ، ومخافة أن يفقدوا ذلك ، فهم يفضلون الصمت .

للمثقف دور رابع وهو أساسى : لنطرح السؤال : ما هى البلاد المتخلفة ؟ البلاد المتخلفة هى التى تفتقر إلى عنصر أساسى ، ألا وهو وجود مجتمع مدنى ، هى التى توجد فيها فجوة ما بين الشعب وأصحاب القرار . فى البلاد المتخلفة رجل الشارع يفكر بشكل مخالف لما يفكر به من يتخذ القرار فى بلده . دور المثقف إذن هو أن يحاول التقليص من هذه الفجوة ، وذلك بمحاولة الرفع من مستوى تفكير رجل الشارع من جهة ، ومن جهة أخرى يقوم بنقد بناء يواجه به المسئولين ، وفى ذلك نهى عن المنكر وأمر بالمعروف كما جاء فى الإسلام .

وقد يغلط هذا المثقف ، والكمال لله ، إلا أنه مادامت هناك جدية ، وما دام هنالك إيمان واجتهاد ، فالأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . فهذه الفجوة لابد من أن تقلص ، ولا يمكن أن تتقلص لوحدها ، وهذا دور المثقف ، أما إذا اختار المثقف أن يقف في صف المسئولين ويصبح جزءا من أولئك الذين يأخذون القرار ، فمن ثم يصير متخليا عن دوره .

هناك دور خامس يتعلق بالقيم ، وقد قلت ما فيه الكفاية حول هذه النقطة ، إذن لن أعود إلى ذلك .

سادسا ، هناك شئ أساسي في عملية التطور ، وضروري لمواجهة التحديات ، وعلى الخصوص ما نراه في الخليج اليوم ، وهو افتقارنا إلى ذاكرة جماعية ، وهذا سبب أساسي في ضعفنا .

إننا نتمسك بمبدأ التسامح ، خاصة وإن الإسلام جاء بهذا التسامح . وبذلك نكون قد محونا ذاكرتنا الجماعية . لم نعد نتذكر أن فلانا كان مناضلا ، لم نعد نتذكر أن في سنة ١٩٥٣ وضع فلان أو فلان قنبلة في السوق المركزي ، هذا ماض ، ونحن الآن في عصر التعاون ولنا علاقات مع أوروبا ، ولنا أم حنون هي فرنسا ، يجب أن لا نفعل شيئا يزعجها ، إلى غير ذلك من هذا الكلام .

فلننظر إلى قواد إسرائيل كيف استغلوا ذاكرتهم الجماعية ، هذه الذاكرة التي تؤدي عليها الثمن يوميا الدول الأخرى ، فماذا يمنعنا نحن من التشبث بذاكرتنا الجماعية * .

إن الاستعمار الغربي باع واشترى فينا نحن كبشر ، ملايين الأشخاص ماتوا منا هدرا ، فلماذا لا نقوم بإحصائياتنا ونطالب بتعويض عن خسائرنا في المجازر التي وقعت خلال ٢٠٠ سنة ، بما فيها مدة الاستعمار ومدة الحماية ؟ لم لا ؟ فمن مات في ضاشو (DACHAU) ، يعد بشرا ، ومن مات في السجون الفرنسية أيام

---

* مازالت إسرائيل تتقاضى من الغرب عموماً – ومن ألمانيا خصوصاً – ثمن جرائم هتلر . كذلك تحصل دول شرق آسيا تعويضات من اليابان عن الحرب العالمية الثانية .

الاستعمار لا يعد بشرا ! الذين عذبوا فى ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية هم بشر ! والذين سقطت عليهم القنابل فى الجزائر ليسوا بشرا ! لست أنادى بروح الانتقام ، وإنما أذكر بواجبنا كى لا تُمحى ذاكرتنا الجماعية . فهى حاليا ممحية لأن التاريخ المعاصر ممنوع ومحارب أو مصطنع . وليست هناك نزعة كافية فى ميدان البحث العلمى ، بل هنالك ارتزاق . ومن غير المسموح لأى عالم فى أى تخصص كان ، سواء فى الدين أو غيره أن يتلاعب بالمسئولية الملقاة على عاتقه كباحث أو كعالم ، كما لا يسمح له بتزوير الحقائق ، لكن نلاحظ أن هناك ارتزاقا من طرف مثقفين فى العالم الثالث يبيعون أنفسهم بثمن ، كما يقع فى البورصة ، وقد قلت ذلك فى إذاعة الجزائر قبل شهرين أو ثلاثة ، إنه من الممكن وضع لائحة فيما يخص المغرب العربى ، بأسماء مفكرين مثقفين مرتزقة ، طبعا هنالك استثناءات والحمد لله ، والاستثناءات كثيرة .

وأخيرا أشير إلى ما يسمى بالتعاون جنوب جنوب . منذ ١٩٧٦ وأنا أقول لا يوجد حوار شمال / جنوب ، لأنه لا يوجد اتصال حضارى وثقافى بين الشمال والجنوب ، فالشمال يرفض أن يتكلم لغتنا وهو ينتظر أن نتكلم كلنا لغته ، فليس هناك حوار أوروبى / عربى ، لم أؤمن بهذه الفكرة فى كل ما كتبت وما قلت سواء فى المغرب أو فى دول أوروبية ، وقد أوقعنى رأيى هذا فى سوء تفاهم مع مفكرين كبار فى المغرب .

هنالك خطر جديد ظهر فى السبعينات ، وحاربته منذ البداية ، وهو ما يُسمى اكتشاف حوض البحر الأبيض المتوسط ، شئ عظيم ! ونحن نملك نفس الطبائع ونفس اللغة ، ورائحة الزيت المقلية والفلفل والطماطم والباذنجان الخ ، هذه فكرة استعمارية محضة ظهرت ، ويجب أن نعى مراميها ، لأن الغرب برهن على موقفه ، وقد استفدنا من حرب الخليج على إثر ما يكتب فى الغرب ، وكل واحد يسجل عليه ما قال وما كتب ، وعدد من هؤلاء يقولون لنا بكل وضوح : لم تبق لنا علاقة معكم ! عندما يكتب شخص مثل جيل مارتينى ، سفير فرنسا ، وكان رئيس وكالة فرانس بريس FRANCE PRESSE خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد لعب دورا حضاريا وثقافيا فى تحرير الجزائر ، وقد قضى سنين ككاتب للحزب الاشتراكى ، عندما يكتب هذا الشخص بكل وضوح بجريدة لوموند « فقيدنا المغارب » فماذا نلاحظ إذن ؟

وقد يقال لنا : أنتم عندكم سياسة عربية ، ونحن عندنا البحر الأبيض المتوسط ، ومعنا إيطاليا وأسبانيا ، فمن يريد أن ينضم إلينا فمرحبا به .

هؤلاء الناس قالوا لنا بصراحة بأنهم لا يريدون التعامل معنا أو على الأقل فى الإبقاء على علاقات حسنة .

نحن دول التسامح ودول الحب ودول الإنسانية ، ولنا قيمنا ، لكن يجب أن نحافظ على كرامة الإنسان ، فلا يجب أن نعانق من يكرهنا .

هناك نقطة أخرى أظن أنها دفنت وأتمنى أن لا أسمعها بعد الآن ، وهى فكرة الفرنكوفونية التى أبانت عما هى الطموحات الحقيقية لها ، وهى الآن ضاجعة فى قبرها ، لكن رأسها ما زال ظاهرا .

اختُرِع شئ آخر وهو ما سمى بالتنمية الجماعية ، ومفادها إيجاد وسائل مشتركة لتنميتى أنا وتنميتك أنت ، وهى فى الحقيقة تعنى تنويمنا نحن وتنميتهم هم .

هذه كلها أفكار يجب أن نأخذ منها الحيطة والحذر ، ولا أريد أن يفهم من كلامى هذا أننى أقصد الانكماش ، لا ، فأنا أؤمن بالحوار البناء ، وأتحاور معهم فى بلدانهم ، وما يشجعنى فى ذلك هو أننى ألاحظ أن هناك إنسانية فى ميدان العلم ، لازال هناك علماء بغض النظر عن جوازات سفرهم أو دينهم أو لونهم ، لازالوا يتعاطفون معنا ، ونجد عندهم الآذان الصاغية ، وهو ما أعيشه يوميا سواء فى طوكيو أو تمبو كتو أو هلسنكى ، مع هؤلاء الناس يشعر الإنسان أن البشر يحترم مثيله البشر حين يواجه بالحقيقة ، فيتعامل معه آنذاك على أساس الوضوح والحقيقة .

لكن حينما تريد مجاملته وتقول له : أريد أن أكون جزءا منك ، أريد عطفك ، حينما ترى مسئولين كبار يقولون لنا : من حيث سياسة التصنيع ، أن أوروبا تحارب الآن التلوث ، وهناك بعض الصناعات تهمكم أنتم مثل الصناعات الكيماوية وغيرها ، فبما أنه ليست لنا مشاكل بيئية مثل التى يعيشونها . نقول لهم : أعطونا صناعاتكم الملوثة لنتلوث بها نحن .

حينما نسمع الآن الضجة الثائرة حول التكوين المهنى ونسمعهم يقولون بأن

مستقبلهم قادم ، سيكون هناك توزيع فى الصناعات لأن فرنسا تشهد أزمة ديموجرافية ، وليست لها يد عاملة كافية ! ماذا ستفعل إذن ؟ ستقوم بنقل معاملها ذات الانتاجية الصغيرة ، والتى تحتاج إلى يد عاملة منخفضة الثمن ، سترسلها لنا وسنقبلها ، وسنبقى على تخلفنا فى صناعات القرن ١٩ وبداية القرن العشرين . كل هذا يقع نتيجة الافتقار إلى الثقة فى النفس .

محاضرة ألقيت بالمدرسة الوطنية للصناعة المعدنية بالرباط

يوم ١٩ فبراير ١٩٩١

أول حرب عالمية حقيقية *

س : الأستاذ مهدى المنجرة ، سبق وأن قلت بأن هذه الحرب هى الحرب العالمية الأولى والفعلية ... هل يمكن أن تشرح لنا ذلك ؟

ج : نعم هى حرب عالمية أولى ، لأن الحروب السابقة مثل حرب ١٤ ـ ١٩١٧ ، وحرب ٣٩ ـ ١٩٤٥ كانت فى الواقع حروبا غربية ، لكن الحرب التى بدأت يوم ١٧ يناير ١٩٩١ هى فى الحقيقة أول حرب عالمية ، لأن أهدافها ليست اقتصادية وسياسية وعسكرية ، بل هى أهداف حضارية .

س : الأستاذ المنجرة ، العراق هو منبع الحضارة الإنسانية ، ما هو تقييمك لهذه الحضارة أولا ، وما دمر منها اليوم ثانيا ؟

ج : المنطقة التى يقع فيها العراق لها تاريخ فى الحضارة الإنسانية يمتد إلى أكثر من ٦٠٠٠ سنة ، منها حضارة سومر ، وبابل ، وآشور ... وغيرها ، ولكن هذا التدمير من طرف الدول الغربية . أوقع للأسف مساسا بالمتحف الوطنى ببغداد الذى هو جوهرة بالنسبة للذاكرة الحضارية للإنسانية ككل . وهناك حفريات مثل تلك التى فى سامراء وحضرة والرافدين ... على ما يظهر أن عدة قنابل سقطت فيها ، وطبعا ليس لنا المعلومات الكافية عما يحصل حتى الآن . ولكن المؤلم أن هيئة اليونسكو ، بالرغم من أننى كتبت للمدير العام يوم ٢٣ يناير ونبهته لما يحدث ، وقد نشرت هذه الرسالة فى الكثير من الصحف العالمية ، وكانت حولها ردود فعل إيجابية حتى فى الغرب من طرف الاختصاصيين ، ولكن اليونسكو لم تحرك ساكنا .

س : طيب ، الأستاذ المنجرة ، معظم هذه الآثار دمرت ، فلماذا هيئة اليونسكو لم

* ٢٣ فبراير ١٩٩١ .

تطبق المعاهدات الدولية المتعلقة بحماية الملكيات الثقافية الإنسانية ؟

ج : لم تطبقها . فمعاهدة لاهاى لعام ٥٤ التى تعطى لهيئة اليونسكو ولمديرها مسئولية خاصة ، وإن كنت قد طلبت منه تطبيق البند ٢٧ منها بشكل خاص ، والذى يسمح للمدير العام بالإتفاق مع المجلس التنفيذى لليونسكو أن يعقد اجتماعا للبلدان التى يهمها الأمر ، خاصة إذا كان منهم ٢٠ ٪ من هذه البلدان الأعضاء موقعين على الاتفاقية . وإلى حد الآن لم يقم المدير العام بأى عمل . أظن أنه كتب لبعض الدول ، ولكن الشئ الوحيد الذى رأيته هو تصريح للصحافة مؤرخ يوم ٧ فبراير وفيه خلط بين المشاكل المدنية فى العراق ، وحتى إسرائيل ، وحين نتكلم عن إسرائيل فى اليونسكو علينا أن نعرف أنه لا يوجد بلد فى اليونسكو وبخ مثلما وُبخت إسرائيل فيما يخص عدم احترام هذه الاتفاقية ، وهذا هو السبب الأصلى الذى دفع أمريكا أن تتخلى عن اليونسكو ، كما تخلت عنها إنجلترا ، والواقع أن المدير العام الأسبانى فيديريكو مايور نفسه انصب مجهوده كله على كيفية إرجاع الولايات المتحدة إلى اليونسكو ، طبعا لأنها تمول تقريبا ربع الميزانية ، وذهب إلى درجة أنه قبل سنتين صرح فى واشنطن قائلا بأن اليونسكو عليها أن تطبق القيم الحضارية الغربية ، والآن يجتهد فى إرضاء إسرائيل كى تطلب من الولايات المتحدة وإنجلترا العودة لليونسكو ، حقيقة هذه نكسة عالمية ، حيث تتصرف اليونسكو التى مقرها فى باريس ، مثل الأمين العالم الذين يتصرف تحت ضغط الدول الكبرى ، بطريقة غير شرعية . فما يحدث فى العراق لا يمس العرب والمسلمين فحسب ، ولكن ذاكرة الحضارة الإنسانية كلها .

وأنا آسف أن وزراء الثقافة فى البلدان العربية ، وبالخصوص فى المغرب العربى . لم أر أى مبادرة من أى وزير مسئول عن القطاع الثقافى ، على ما أعلم ، أنه قام بأى مبادرة ، لا مبادرة من المنظمة الإسلامية للعلم والثقافة والتعليم ، ولم أر مبادرة من المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (الأليسكو) ، ولم أر تحركا كافيا من طرف المثقفين داخل العالم العربى ، إلا بعض الاختصاصيين القلة فى تونس والجزائر كتبوا للمدير العام لليونسكو .

والصحافة الغربية نفسها لم تول هذه النقطة اهتماما . بالرغم من أنها همجية لا يمكن السكوت عنها . وإذن ما هى الثقة التى تبقى فى مثل هذه المنظمات الدولية ؟

أعتقد أن على الدول العربية مواجهة اليونسكو بطريقة أخرى إما بالإنسحاب أو تجميد علاقات العمل معها لأن هذه هى اللغة الوحيدة التى يمكن أن تفهمها .

س : فيما يتعلق بالمغرب العربى ، ما هى متغيرات الوضع فى ظل ما يجرى اليوم فى النظام العالمى الجديد ؟

ج : لا يوجد هناك مغرب عربى ، هناك مغرب عربى على مستوى الشعوب حيث الناس يعيشون يوميا بنفس الاحساس . منذ أيام عشنا الذكرى الثانية لهذا الاتحاد . وقد سبق لى فى الجزائر فى مايو من السنة الماضية ، وكنت فى لقاء مع الرئيس الشاذلى بن جديد ، قلت بكل وضوح أن هناك حلما لدى أجيال بناء المغرب العربى ، وقلت أن ما يجرى اليوم هو اتحاد بين الحكومات ليس فيه رؤية ولا تعامل ، هو نوع من التكنوقراطية ، ويكفى أننى أتحدث مع إذاعة الجزائر من المغرب بصعوبة ، أما التليفزيون فلا تشاهده إلا المناطق الشرقية من المغرب ، والعكس صحيح . كما أن الصحف بعد سنتين من اتفاقية الوحدة لا يتم تبادلها بين أسواق هذه البلدان .

س : طيب ، ما هى متغيرات الوضع فى النظام الجديد ؟

ج : لا يوجد نظام عالمى جديد ، فيما يتعلق بنا فى المغرب ها أنتم ترون هذه المفاهيم الجديدة ، مثل مفهوم المتوسطية (Mediterraneen) هو مفهوم استعمارى جديد ، وعلى المثقفين فى المغرب العربى أن يفهموا خطر مثل هذه المفاهيم ، بما فيها الفرنكوفونية وتعاون حوض المتوسط ، والحوار العربى الأوروبى ، والعلاقة مع السوق الأوروبية المشتركة ، وعلى الأقل فيما يتعلق بالمثقفين يجب أن يكونوا يقظين وأن يتعاملوا مع هذه المفاهيم بحذر وتحفظ ، إن لم تقل بنوع من المقاطعة الفكرية ، ريثما تتضح الأمور .

س : قلتم فى السابق بأن على المثقف العربى أن يقرأ أكثر ويعرف أكثر ؟

ج : طبعا ، المطلوب من المثقف العربى الآن نوع من الجدية فى أعماله فى أبحاثه فى معرفته ، وعليه أن يتخلص من مركب النقص الذى ورثه من الفترة الاستعمارية ، وتكون له ثقة كافية فى نفسه وحضارته وميراثه . وعليه أن يضع حدا لما أسميه الرقابة الذاتية . نعم ، لنا صعوبات فى بلداننا فيما يتعلق بالحرية والديموقراطية ، ولكن المثقف

نفسه يفرض على نفسه نوعا من الرقابة الذاتية نظرا لمصالحه الشخصية أو علاقته مع الإدارات والحكومات ، وأيضا عليه أن يجتهد في وضع حد لهذه الفجوة الموجودة بين الشعوب والحكومات ، وكذلك المثقف له دور فيما أسميه الذاكرة الجماعية .

هنا على أن أنبه إلى ذلك النوع من الارتزاق الضمنى من طرف بعض المثقفين . أنا لا أفهم أن لدينا اليوم بعض المثقفين يبعثون برسائل إلى رؤساء دول غربية ، ومازالت لديهم آمال ، وعلاقات فيهم ومعهم وما زالوا لم يفهموا أن لا فائدة فى هذه العلاقات ، وهم يرمون علينا القنابل ويقتلون الآلاف فى بلداننا ، فلماذا نحن متشبثون بهم ، ونكتب لهم الرسائل والبرقيات ، ... هذا المثقف يجب أن تكون لديه نوع من كرامة الإنسان ، المثقف الذى لا يحترم نفسه ولا إحساس شعبه ، هذا لا مستقبل له فى بلداننا ، فإذا كانوا فى حلف الغرب عليه أن يذهبوا إليه ويحرروا بلداننا من هذه المواقف .

س : الأستاذ المنجرة ، كنت من المطالبين بضرورة النهوض بالتكنولوچيا فى البلدان العربية .. كيف ترى هذا النهوض ؟ ..

ج : طبعا لا مستقبل لنا دون النهوض بالبحث العلمى والتكنولوچيا ، لكن الخطأ الذى وقعت فيه حكوماتنا فى هذا الميدان هو أنها لم تعطه الأولوية ، والبلد الوحيد الذى أعطاه الأولوية هو العراق الذى يحارب اليوم ويحطم . لنا نموذج تنموى مبنى على التقليد والمساعدة والرشوة . لكن العلم والتكنولوچيا لا يمكن أن يشتريها الإنسان . لابد من مشاريع مبنية على التنمية الذاتية ، والاهتمام بهذه المشاريع داخليا ، والتكنولوچيا المعاصرة تتطلب تعاونا على مستوى واسع . فمن غير الممكن للمغرب وحده أو الجزائر وحدها أو ... أن تقوم بأبحاث تكنولوچية عالية ، إلا إذا تعاونوا فيما بينهم فى ميدان العلم والتكنولوچيا تعاونا قائما على الجدية ، وليس على الارتزاق والرشوة ، والحمد لله لنا اليوم الأطر الكافية من علماء وباحثين علينا أن نساعدهم ، وأضعف الإيمان هو ابتداء من الآن أن ترفع الحكومات فى المغرب العربى والدول العربية الميزانية المخصصة للبحث من ٠٫٢ ٪ إلى ١٫٥ ٪ من المدخول القومى ، بدل الاعتماد على التعاون الثقافى مع فرنسا وأمريكا . وهذا لا يمكن أن يؤدى إلى تنمية حقيقية لأننا نبقى نشترى بدلا من أن تطور الأشياء داخل بلداننا ونسطر برامج تنموية مبنية على الحاجات الحقيقية لشعوبنا ، وهذه هى التحديات الحقيقية فى المستقبل .

س : الأستاذ المنجرة ، الآن بين يدى خبر يتحدث عن إنتاج سينمائى عربى مشترك حول حرب الخليج ... هل تعتقدون أن مثل هذه المشاريع ضرورية ؟

ج : مثل هذه الأعمال يجب أن تشجع ، لأنه لا يمكن أن يقوم هناك علم أو تكنولوچيا بدون إبداع وخلق ، وهذا يأتى أولا من مبدعين فى ميادين مثل المسرح والسينما والشعر والرواية ... وأظن أن أى مبادرة من هذا النوع علينا أن نركز عليها كى نوحد حلمنا ، فلا يمكن قيام أى عمل بدون حلم ، بدون رؤية مشتركة ، وهذا يأتى من الإبداع ، لكن الإبداع له شروط ، وأول شرط هو الحرية ، والديموقراطية ، وبناء مجتمع مدنى ، لكن فى العالم الثالث ، والعربى بصفة خاصة ، والمغرب العربى ، نرى أن هناك محاربة لبناء هذا المجتمع المدنى الذى هو السر الأساسى للتغلب على جميع المشاكل بما فيها علاقاتنا مع الغرب .

فلا يمكن أن تكون لنا علاقة دولية مفيدة إلا إذا كنا جادين مع أنفسنا ، وإلا إذا برهنا أننا مستعدون للاعتماد على أنفسنا ، وأنا أومن بالتعاون جنوب ـ جنوب ، وخصوصا فى العالم العربى الذى عليه أن يشجع مثل هذا العمل المشترك فى كل الميادين ، الإبداعية والعلمية ، غير أننى أرى أن هناك نوعا من التخطيط لمواجهة مثل هذه المشاريع التلقائية ، إداريا وبيروقراطيا . ولكن المهم أن يكون المثقف المغاربى والعربى واعيا بمسئوليته وبموعده مع التاريخ ، لأننا ندخل عصرا لا يمكن أن يسمح له إذا لم يبرهن أنه فى مستوى التحديات ، فنحن دخلنا فى إشكالية بقاء ، وبقاء حضارة بقاء تعددية حضارية ، لأننا بدون بقاء تعددية حضارية ثقافية إنسانية ، لا مستقبل للإنسان فى العالم بأسره .

أجرى الحوار : **فاطمة بلحاج**

– الإذاعة الجزائرية ـ ٢٣ فبراير ١٩٩١

– جريدة « الخبر » (الجزائر) ، ٢٦ ـ ٢٧ فبراير ١٩٩١ .

رقــم زمنــى قيــاســى
للحضــارة الغربيــة

شهدت مرحلة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) قصفا جويا أمريكيا مكثفا على اليابان ، وخلال ١٤ شهرا نفذ الطيارون الأمريكيون ٢٧٠٠٠ طلعة ، أى بمعدل ٦٥ طلعة يوميا فى ظرف ٤٢٥ يوما .

أما الغرب خلال حرب الخليج فإنه حقق أرقاما قياسية بسبب استعمال العلم والتكنولوچيا لتدمير الجنس البشرى .

خلال الأربعين يوما من الإبادة ضد العراق ، نفذ الطيران الأمريكى بمساعدة قوات التحالف الغربى ١١٠٠٠٠ طلعة ... ويمثل هذا الرقم ٢٧٥٠ طلعة كل يوم ، أى ١١٤ كل ساعة ، وطلعتين اثنتين كل دقيقة ، أى ٤٢ مرة أكثر من الطلعات التى عرفتها اليابان .

وإذا افترضنا أن كل طلعة تخلف فقط ٣ قتلى فإن العدوان الأمريكى ارتكب مجازر فاق عدد ضحاياها ٣٠٠٠٠٠ خلال ٤٠ يوما ، أى ٣٦٠ ضحية كل ساعة و ٦ قتلى كل دقيقة ... وربما أن أمريكا تحقق مستقبلا أرقاما أحسن من هذه الأرقام المرتكبة ضد العراق ... وقد يكون البلد المستهدف بلداً غير غربى مرة أخرى ، وعلى كل حال فإن الأرقام القياسية خلقت كى تُحطم وكذلك سكان الجنوب .

هذا إذن رقم قياسى جديد ، ولا تخشى من العثور عليه فى الطبعة المقبلة لكتاب الأرقام القياسية جنيس ... إنها عواقب انحراف آخر ، أكثر كبرا لمنظومة القيم الغربية . وأى رقم قياسى محزن لهذا « اللانظام العالمى الجديد » الذى

يقتل بـلا هـوادة ويتلـذذ ، باسم « القانون الـدولى » . ولـن أخجل أن أكون سلميا غير عنيـف وأصـلى لأرواح أولئك الـذى يذهبـون بفخر مـن حـرب إلـى حـرب بـاسـم « الحضارة » .

- " الاتحاد الاشتراكي " ، الدار البيضاء ـ ٥ مارس ١٩٩١
- " الوطن (El Watan) ـ ٤ مارس ١٩٩١
- "الجزائر الجمهوري " (Alger Republicain) ـ ٤ مارس ١٩٩١
- " المساء " الجزائر ـ ٥ مارس ١٩٩١ .

انحرافنا قبل انحراف القانون *

هذا الموقف الرافض الثائر ، من رجل بوزن معرفى ونضالى كالمنجرة جعلنا ـ عند لقائنا به يوم الثلاثاء ٥ / ٣ / ١٩٩١ بالجزائر ـ نحاول استجلاء حقيقة هذاالرفض !! فسألناه عن سبب رفضه حضور الندوة الدولية حول « حرب الخليج وانحراف القانون » فأجاب :

«لم أحضر لعدة أسباب .. (لا علاقة لها بالجزائر كبلد) فأنا الان ومنذ ١٥ سنة ، تخليت عن منصبى كموظف دولى ، وقررت التركيز على العمل العلمى فى العالم غير الحكومى ، ولهذا لم أقبل من أى بلد كان أية دعوة لأية ندوة تنظم تحت إشراف وزارة أو رئاسة حكومة ، لأن الجو الذى يجرى فيه الحوار العلمى يجب أن يوفره الاختصاصيون أنفسهم ، ورفضت أن أحضر لأعبر بوسيلة خاصة أنه فى ميدان العلم والمعرفة ، مسئولية الحكومة تنحصر فى تسهيل إنشاء جمعيات مختصة غير حكومية فى جميع الميادين (التفكير ، الاقتصاد ...)

وتدعيم هذه الجمعيات بشرط الحرية الذى لا يقبل بالإشراف الحكومى ، الذى يقود إلى الارتجال وعدم المصداقية العلمية ، وتدخل عوامل سياسية ، ومع الأسف أن ما حدث فى الندوة الأخيرة « حرب الخليج وانحراف القانون الدولى » سواء على مستوى المشاركين الذين لا يمثل أغلبهم أى وزن ولا يحظى بالاحترام داخل بلدانهم ماعدا إمكانية استغلالهم فى الصدى الإعلامى .. أو على مستوى القيمة العلمية التى كانت ضعيفة !!

وبجدية أقول : عندما نرى الدور السلبى الذى لعبه الأمين العام للأمم المتحدة ـ وأنا ورائى تجربة ٢٠ سنة داخل نظام الأمم المتحدة ـ نتساءل أليس من الرداءة أن ترفع

* ٧ مارس ١٩٩١ .

الندوة (إعلانا) إلى هذا المسئول لتمنحه مصداقية .. مع عدم الإشارة إلى خيانته لهذا المنصب !! إنه مجرد رهينة ، آلة في يد الولايات المتحدة والغرب .. والمحزن أن نرى في الجزائر أشياء من هذا النوع ، والحمد لله أنني لم أستمع إلى أشخاص جاؤوا على نفقة الجزائر لتلقيننا دورسا ملخصة عن ثورة الجزائر التي لم تنتزع الاستقلال بل تكرم به عليها « ديجول » !!

إن الدرس الذي ينبغي استخلاصه هو أن تبقى الحكومات والوزراء مصدرا للتسهيلات الإدارية فقط ، لأن هناك في الجزائر وفي العالم الثالث كفاءات وطاقات علمية جامعية تستطيع أن تتكفل بتنظيم هذه الندوات العلمية ، أقول هذا في الجزائر وفي المغرب ولا أعتبره تدخلا في شئون الدول لأنني مقتنع بأن رجل العلم لا يدخل قاعة يوجد فيها وزير بصفته السياسية .

حول الملتقى الذي تعتزم وزارة التعليم عقده قريبا تحت عنوان « الإسلام والغرب » ومضمون الصراع المستقبلي يقول المنجرة :

أنا لا أتلاعب بالكلام ، ففي هذه الظروف ، يمكن القول عن مثل هذه الندوات (أنها خيانة بدون وعي) خيانة فكرية ، في هذه الظروف ، لدينا ٣٠٠ ألف شهيد على الأقل ، ومنذ نهاية الحرب العالمية عدد الشهداء في العالم العربي يصل إلى حوالي ٣ ملايين ، أكثر مما حدث لليهود خلال الحرب العالمية الثانية !!

ومع ذلك لا نريد أن نبني ذاكرة جماعية ، ونتكلم عن الحوار في الوقت الذي يحاربنا هؤلاء الذين ندعوهم إلى الحوار ، وندعو أشخاصا يقذفوننا بالشتائم يوميا في صحفهم !! وأنا لا أفهم هذا الاستمرار في اختصاصنا بتسيير الأزمات ، عندما نجمع صحافيين ومشاهير ، ونغرق في الدعاية ، وأعتقد أن أضعف الإيمان هو توجيه هذه الأموال التي تنفق في الندوات (الطائرات والفنادق و .. و ..) إلى تحليل وتفهم المشاكل لمواجهة المستقبل ، إن الإسلام يعني مليار ومائتي مليون ، والعرب ليسوا إلا ٢٠ ٪ من هذا العدد ، والغرب .. ما هو الغرب ؟ إن أغلبية المدعوين من فرنسا ، والسؤال : ما هو وزن فرنسا في الغرب ؟ فرنسا ٥٠ مليون نسمة من مليار في الغرب !! لذلك فنحن مازلنا نعيش على مركب النقص ، لهم الحق ـ إذن ـ أن يفعلوا مثل ما فعلوا في الجزائر والخليج .. وأن يتهيئوا ليفعلوا أكثر في المستقبل ..

أنا أخشى اليوم على ثلاث دول أخذت موقفا شجاعا : اليمن ، الأردن ، الجزائر . وهذه الدول هى الوحيدة فى العالم العربى التى بدأت بها مسيرة ديموقراطية ، وأكبر دليل أننى أكلمك هنا فى الجزائر وأنتقد أوضاعا غير سليمة ، إذن هذا الغرب الذى نريد أن نحاوره يشكل خطرا علينا ، وأنا أخشى أولا على منظمة التحرير الفلسطينية ، وأخشى فى مدة لا تتعدى سنة أو سنتين على هذا البلد (الجزائر) الذى انطلقت منه المسيرة الديموقراطية ، ولهذا لا أسمح ، ولى الحق فى ذلك بأن ننظم ندوات من هذا النوع بهذا الارتجال وبدون دراسة وتحقيق ، وبين يدى الدعوة لحضور هذه الندوة « الإسلام والغرب » ، نحن نتكلم عن الإسلاميات .

أطلب من المسئولين عن التنظيم أن يفهموننا معنى « الاسلاموچى » وهل هنالك « جيديولوف » « كريستيولوف » .. لماذا نبقى تحت تأثير هذه المدرسة الاثنوجرافية الاستعمارية الفرنسية ، منذ سنة ١٩٨٥ بدأت الحرب الحضارية ضد الإسلام ، والسبب معروف وبسيط فى هذه السنة إحصائيات الفاتيكان تقول أن عدد الكاثوليك ٨٥٠ مليون مقابل ٨٦٥ مليون عدد المسلمين ، وبدأت الحملة ضد الإسلام ، والحديث عن التطرف الدينى ، وأنا أحمد الله على الحركة الإسلامية التحررية ، الدفاع الوحيد أمام هذه الهيمنة ، ولا أسمح بالمساس بالحضارة الإسلامية وأقدمها كحقل وموضوع للدراسة بين يدى أشخاص نسميهم « إسلامولوف » !! يجب أن نكون واعين ، فندوة مثل هذه لا تحضر فى ١٥ يوما بدون ورقة عمل ، بدون تحديد أهداف !! وكون وزارة معينة تتبنى ندوة كهذه إنما تضفى عليها مفاهيم سياسية معينة على المستوى الدولى فى هذه الظروف التى يعيشها الخليج والعراق ، إننى أعتبر ذلك خطأ ..

وأطلب عن طريقكم ، كما طلبت عن طريق سفير الجزائر فى الرباط ، وعن طريق ديوان الوزير المسئول ، وعن طريق محمد سحنون ، المستشار الديبلوماسى لرئيس الجمهورية على الأقل تأجيل هذه الندوة أو إلغاءها (الندوة لم تعقد بعد ذلك) ، ففى هذا الوقت يجب أن نتحاور داخل أنفسنا ، ولا يعقل أن نطلب (فتاوى) من فرنسا الاستعمارية ، التى ستدافع عن الفرانكفونية ، وتكون وسيلة للدفاع عن الصهيونية

واليهودية ، وأضيف أن ٩٠ ٪ من المدعوين لهذه الندوة أرفض أن أجلس معهم نظرا لمواقفهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وإني لأرجو أن لا يتكرر الخطأ ، ولا أن يتكرر مستوى الندوة الأولى بعد أسبوع أو أسبوعين .

أجرى الحديث :

محمد هلوب

– جريدة « السلام » الجزائر ٧ مارس ١٩٩١

– جريدة « العلم » ٩ مارس ١٩٩١

– جريدة « الخضراء » ١٥ مارس ١٩٩١

حــرب الخليـــج وآفـاقهــا*

منذ انطلاق مايسمى بأزمة الخليج إلى الآن ووسائل الإعلام الغربى تعطينا يوميا أدلة جديدة عن الدرجة التى وصل إليها الغرب فى استعمال الكذب كوسيلة جديدة لتحركه ولبناء هيمنته الاستعمارية والحضارية الجديدتين .

وهنالك أمثلة مثلما قرأنا فى جريدة هيرالد تريبيون .. فى عدد ١٩ مارس ١٩٩١ حيث نجد تحليلا موسعا ودقيقا للعملية العسكرية والاستراتيچية التى استعملها العدوان ضد العراق فى الحرب البرية ، ونقرأ فى هذا المقال أنه ، فى شهر أكتوبر ١٩٩٠ ، أى قبل اتفاق مجلس الأمن على القرارات ٦ ـ ٧ ـ ٨ التى صدرت يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٩٠ ، قام الچنرال نورمان شوارتسكوف فى اجتماع مع چنرالات آخرين من الجيش الأمريكى ، بتقديم وصف الخطوط الكبرى للاستراتيچية التى سيضعها فى هجومه على العراق ، والعبارات التى استعملها هى « إن الهدف هو تحطيم القوة العسكرية للعراق وضرورة الدخول إلى عمقه لتدمير كل واجهات العراقيين » ، وخلال نفس الاجتماع كان الماچور چنرال تنفورد ، والماچور چنرال تيرى ماكفرى ، قد اتفقا معه وقالا « هذا هو الحل » ، وفى نفس اليـوم حسب هيـرالد تريبيون ، تعـززت هـذه الاستراتيچية التى تعـرف باسـم « عمليـة اللكم باليد اليسرى » ومثلمـا قلـت مـن قبـل أن جميـع الاختصـاصيين فـى الدراسـات المستقبلية والاستـراتيچية كان لهـم إطـلاع علـى عـدد مـن السينـاريوهـات المخططة منذ أزيـد مـن ١٥ سنـة ، أى بعـد أزمة النفط لسنة ١٩٧٣ ، للمواجهة فى الخليج بطرق عسكرية أو سياسية أو بانقلابات أو غيرها من السيناريوهات التى من شأنها تمكين الولايات المتحـدة الأمـريكية وحلفائهـا مـن دول الغـرب مـن السيطرة على هذه المنطقة ليس لأجل النفط ولكن أيضا للمحافظة على الوضعية القارة بالعالم العربى

---

* ٧ إبريل ١٩٩١ .

والدفاع عن حكومات تابعة للسياسة الغربية .

وإنن يجب أن نكون واعين بدور الكذب الغربى خلال الحرب ، إذ بات من السهل على كل من تتبع الإعلام الغربى خلال هذه الحرب ، وتابع تصريحات ثلاث شخصيات هم : الرئيس بوش ، والرئيس ميتران ، والأمين العالم لهيئة الأمم المتحدة ، يمكن من خلال التصريحات الرسمية وما أثير حول « أهداف » التدخل فى الخليج من « تحرير للكويت والدفاع عن ميثاق الأمم المتحدة » سيرى تدريجيا مجموعة من التناقضات الهائلة خلال فترة قصيرة لم تتجاوز سبعة أشهر .

ولا أظن أن التاريخ سجل من قبل حجما للتناقضات فى التصريحات فى فترة قصيرة مثل هذه لمسئولين كبار ، وبذلك فإن ما حدث فى الخليج هو انتحار للمصداقية الغربية بما كشفت عنه تصريحات المسئولين الغربيين ، وكذلك الشأن بالنسبة لتصريحات الأمين العام للأمم المتحدة الذى برهن عن عدم كفاءته فى مواجهة الأزمة وعن عدم قدرته على توظيف الإمكانيات المتوفرة له عبر الميثاق المعهود إليه ، لأن الهدف الأساسى للأمم المتحدة هو بناء السلام ومنع النزاعات العسكرية من الاندلاع كيفما كانت وأينما كانت .

ومن ثم نجد فى إطار هذه « المصداقية الغربية المفقودة » أمثلة أخرى تحولت من شدة تكرارها إلى هزل ، كما هو الشأن بالنسبة للصحافة الأمريكية التى تتحدث عن نقد ، من طرف عسكريين ومن طرف الكونجرس الأمريكى ، للأغلاط التى ارتكبتها المخابرات الأمريكية ، السى آى إيه ، ونقرأ فى « الواشنطن بوست » ليوم ١٩ مارس ١٩٩١ « أنه من بين الأشياء التى قامت بها اللجنة المختصة بمخططات المخابرات لدى الكونجرس الأميريكى ، أنها انتقدت المعلومات المتعلقة بحجم القوات العسكرية العراقية ، الواردة عن « السى أى إيه » وسجلت مبالغة فى عدد الجيوش العراقية الموجودة بالكويت بنسبة ٥٠ ٪ خاصة تلك التى كانت موجودة يوم ١٧ يناير يوم اندلاع الهجوم الجوى ، حيث لم يكن عدد القوات العراقية يتجاوز ٢٠ ألف جندى » ونرى هنا أن هذه الأخبار التى كانت مبالغا فيها كالقول إن العراق هو القوة الرابعة فى العالم عسكريا ، وما روج من تخوفات من إمكانيات العراق النووية.. استعمل كل ذلك عن قصد . وتجدر الإشارة هنا إلى الفرق القائم بين التعتيم الإعلامى وبين الكذب ، لأن التعتيم عملية محدودة تفيد استعمال أخبار منها ما هو مفتعل وآخر صحيح لتنظيم حملة إعلامية ، عكس الكذب الذى يروج كوسيلة

للضغط على الرأى العام المحلى بالولايات المتحدة الأميريكية ، ولإثارة الخوف فى النفوس ، يستهدف تسهيل الهجوم الوحشى على العراق ، والأمثلة متعددة لمظاهر الكذب كمظهر من مظاهر مرحلة ما بعد الاستعمار .

ويمكننا إذا ما قارنا بدون أى اندفاع أو دفاع بين ما جاء فى البيانات العسكرية العراقية ، تبين أن أغلب تصريحات البيانات العراقية كانت مطابقة لواقع الأمور كما هو الشأن بالنسبة لواقعة تدمير معمل الحليب العراقى أو تدمير ملجأ المدنيين والذين قدمتهما الصحافة الأجنبية كأهداف عسكرية ، ولكن بعد أسابيع تبين من خلال زيارات قام بها صحفيون لعين المكان أن الأهداف كانت مدنية وتعرضت لعدوان عسكرى وحشى ، كما حدث بالضبط بالنسبة لمتحف بغداد وغيره من المآثر الثقافية .

لندع العراق ولندع الخليج ولندع العرب كلهم ، لكن هل نستطيع نسيان مصداقيتنا مع أنفسنا على مستوى التحليل العلمى للواقع ؟ وأتخوف اليوم من داخل العالم الإسلامى بعد هذه الحرب ، على الپاكستان وأندونيسيا لسببين اثنين : هما أن هذين البلدين فى العالم الإسلامى يتوفران على إمكانيات علمية وقدرات لصنع القنبلة الذرية ، وربما أن الغرب لن يسمح لأى بلد مسلم أن يصل إلى مرحلة متطورة كهذه ، أخشى على الپاكستان من المؤامرات رغم الانتخابات الأخيرة المزورة التى استهدفت محاربة السيدة بنازير بوتو ، خلال أزمة الخليج وقبيل اندلاع الحرب ، والواضح أنه لمجرد صعود الحكومة الجديدة دخلت پاكستان ضمن قوات التحالف ضد العراق ، وهو ما يفسر أن الغرب أدرك أن هنالك ضرورة لإيجاد حكومة ونظام جديدين يمكن الاعتماد عليهما فى الپاكستان ، ومع كل ذلك فإن پاكستان الدولة التى تسعى لامتلاك السلاح النووى مستهدفة لمحاربة ضارية ، وفى هذا الصدد أخشى أن تستعمل ضد النزاع الهندى الپاكستانى حول كشمير ، وهى قضية مسجلة بجدول أعمال الأمم المتحدة منذ أكثر من ٤٠ سنة ، وإلى الآن لم تعمل الأمم المتحدة على تطبيق التوصيات الصادرة منها ومن طرف الجمعية العامة ومجلس الأمن .

وأخشى على أندونيسيا ، وهى أول بلد مسلم من حيث قوته الديمجرافية (١٦٠ مليون نسمة) ومن حيث توفره على طاقة علمية وتكنولوچية ، فيما يخص الوسائل العلمية المتقدمة المرتبطة بعلم الفضاء ، وبعض التكنولوچيات المتقدمة والطاقة النووية ،

وهناك سيناريوهات يمكن تصورها بهذا الشأن ، حيث نجد عن مقربة من أندونيسيا مجموعة جزر تتوفر على النفط مثل « بروناى » ، وهى عبارة عن جزيرة صغيرة ، رغم أن حاكمها أغنى رجل فى العالم ، ويمكن أن نتصور أن لأندونيسيا حقوقا تاريخية فى المنطقة ، وبالتالى يمكن أن يكون هناك سخط يضع أندونيسيا تدافع عن نفسها وعن وحدة ترابها ، ويصبح التدخل مبررا .

ومن ثم لا يسعنا إلا التزام التحليل العلمى والعودة إلى الوراء لإدراك ما انتهت إليه الدراسات المستقبلية والاستراتيجية فى الغرب . وأيضا لإدراك التسلسل المتوقع فى المستقبل ، بعدما أصبح من الممكن اتباع الخطط السابقة التى كنت أسميها دائما بمخططات تسيير الأزمات ، وأتخوف اليوم فى العالم العربى على الدول العربية التى اتخذت مواقف شجاعة وجريئة اتجاه المشروعية الدولية الحقيقية ، والدفاع عن القانون الدولى كاليمن ، ومنظمة التحرير والأردن والجزائر ، والتى قد تتعرض لعمليات انتقامية .

ولنعد الآن إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية حققت أهدافها فى هذه الحرب ، بما فى ذلك الهيمنة على المنطقة ، وبتحليل مبادئ يمكننا التصدى لما صدر عن بعض المثقفين العرب من وصفهم لردود فعل الجماهير العربية بالعاطفية وعدم العقلانية والتسرع والانفعال ، لقد تبين الآن أنهم كانوا مرتزقة للفكر تفصلهم مسافات عن واقعهم وشعبهم يحاولون تبرئة الغرب ، ليس لعدم وعيهم لأخطار المؤامرة ولكن لعجزهم عن فهمها والتصدى لها ، وسترى فى المستقبل القريب حملات ضد وعى الجماهير لكن فى مقابل ذلك أتفاءل بوعى الشعوب ويقظتها ، وبوعى جيل المثقفين الذين يقل عمرهم عن ثلاثين سنة .

وإذا أردنا تحليل ما حدث ، أعود إلى مقال بدا لى من أهم ما نشر خلال الأزمة . وهو مقال صادر بـ « تايم ماجازين » لجامعى أمريكى مشهور هو « تشارلز كروات هامر » كتب فى عدد « تايم ماجزين » لـ ١٨ يناير ١٩٩١ مقالا بعنوان « كيف يمكن للحرب أن تغير الولايات المتحدة الأمريكية ؟ » يقول فيه : « إن الحرب نوع اختبار المفاجئات ، رغم أن المفاجأة الحقيقية فى هذه الحرب هى أنها ليست حربا من أجل الكويت ولا ضد العراق ولا من أجل مستقبل الشرق الأوسط .. وباستثناء الثورة ليست هنالك أساليب لتغيير بلاد غير الحرب .. وإذا ما انتهت حرب الخليج بالطريقة التى بدأت

بها ببرهنة التفوق الأمريكى التكنولوچى وليس بانهزام صدام ، فإنه لا يمكن الحديث بعد ذلك ومن جديد عن هزيمة أمريكا فى فيتنام .. وأن أمريكا جديدة ستنطلق ما بعد حرب الخليج ، وأن صورتها لنفسها ، ومفهومها للتاريخ ولأسلوبها السياسى سيتغير تغيرا كاملا » . وينتهى هذا المقال بفكرة وازنة لفهم ما حدث : « إن هذه الحرب يمكنها أن تخلف وراءها أمريكا متجددة آمنة ولها ثقة بنفسها ، ولعل ذلك هو إرث لأول حرب طيبة ، هذا الإرث الذى كان مفقودا بين غابات الفيتنام » .

إننا حين نسمع كلاما عن الحرب والطيبوية كأننا نسمع مفارقة عن الحرب والشرعية والحرب والعدالة وغيرهما من العبارات المتضادة ، ويمكننا أن نفهم هذا المقال الصادريوم ٢٧ يناير ١٩٩١ ، بما جاء فيما بعد من تصريحات موالية لمسئولين أمريكيين تتحدث عن القضاء عن أعراض فيتنام المزمنة (SYNDROME) .

وكما أشرت سابقا وقبل اندلاع الحرب ، أن الولايات المتحدة ستلجأ للحل العسكرى لأنها وصلت إلى أزمة اقتصادية بلغت معها المديونية إلى عجز بأكثر من ٣٠٠٠ مليون دولار . وهى وضعية ليست مالية فحسب ، وإنما اقتصادية تجسدت فى إفلاس عدد من الشركات خاصة شركات الطيران وغيرها . أما على مستوى المجتمع فإنه يعانى حالة فقدان الثقة فى النفس ، لأسباب أخلاقية وقيمية وسياسية ، عمت أهم الأحزاب المهمة ، وأزمة نقابية وأزمة صحية بسبب المخدرات وانتشار السيدا ، وأزمة فى التنشئة والاندماج الاجتماعيين بسبب تفشى الانحرافات والفضائح بما فى ذلك ابن بوش نفسه وأبناء عدد من الشخصيات السياسية والفكرية الكبرى بأمريكا .

إذن فأمريكا أمام أزمتها وأمام عجزها عن استيعاب الصراع الاجتماعى والاقتصادى لما يسمى بمجتمع ما بعد الصناعى ، وليس بإمكانها أيضا مواجهة اليابان ماليا وتكنولوچيا ، ولا يمكنها أيضا مواجهة السوق الأوروبية المشتركة فى القطاع الفلاحى الذى يعتبر حيويا للولايات المتحدة الأمريكية ، ليس فقط لتغطية نسبة المدخول القومى ، وإنما أيضا للدور الذى يلعبه على مستوى الانتخابات فيما يتعلق بدورها الغذائى على المستوى العالمى .

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية من وسيلة للدفاع عن نفسها سوى وسيلة وحيدة ، بعد أن وجدت نفسها انتهت كقوة عظمى فى الميدان الاقصادى والعلمى والسياسى

والحضارى والأيديولوجى ، هذه الوسيلة هى التدخل العسكرى . كما أن القوة الوحيدة التى كانت لدى الولايات المتحدة هى القوة العسكرية والتى تصرف من أجلها سنويا حوالى ٣٠٠ مليار دولار حسب الاحصاءات الرسمية ، أما الحقيقة ، فالله وحده أعلم بها .

وقد زامن ذلك انتهاء ما يسمى بالحرب الباردة . وبفعل الاتفاقيات الأمريكية السوفيتية لنزع السلاح وتحقيقه ، دعا الكونجرس الأمريكى إلى تخفيض هام فى المجال العسكرى ، غير أن ذلك أصبح خطرا يهدد الصناعة العسكرية الأمريكية والتى تمثل موردا مهما من المدخول القومى الأمريكى ، ولما انتهت الحرب الباردة بعد نجاح مبادرات ريجان وبعده بوش ، لم يعد هنالك خطر يهدد التوازن ، له نفس القوة ، لكن كان لابد من البحث عن قوة غير قوة الاتحاد السوفيتى وذلك لتحقيق مصداقية سياسة « حرب النجوم » ، ومن الضرورى اندلاع حرب فى أى منطقة من مناطق العالم ، وبالخصوص فى العالم الثالث .

وبالإضافة إلى ذلك هنالك ما يسمى بالمصداقية الاستراتيجية السياسية وهنالك المصداقية العلمية والتكنولوجية ، وعلى ذكر ذلك نجد جزءا كبيرا من الأسلحة الجديدة لم تستعمل من قبل ، وكان من غير المعقول بالنسبة للأمريكيين استعمال هذه الأسلحة فى أية حرب كانت ستحدث ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، مالم تخضع هذه الأسلحة للتجربة ، وكانت أزمة الخليج فرصة مواتية لاختبار هذه الأسلحة ، وكذا لأسباب داخلية أمريكية ترتبط ، بما يسميه أكبر عالم اقتصادى حاصل على جائزة نوبل ، بالعقدة الصناعية العسكرية ، ثم بسبب العلاقة ما بين الجانب العسكرى والحرب ، خاصة وأن منطقة الخليج هى أكثر المناطق التى صرفت أكبر قسط من مدخولها الداخلى فى التسلح ، الذى قدرت اعتماداته ما بين ١٠٠ و ١٥٠ مليار دولار ، فكان من الضرورى تدمير هذه الأسلحة حتى تجدد الدول الخليجية أسلحتها ، كما كان الأمريكيون يودّون البرهنة للعالم على مدى التطور الذى وصلت إليه الكنولوجيا بصنعهم لأسلحة فريدة تتجاوز الصناعة الإنجليزية أو الفرنسية أو الروسية ، وهم بهذا المعنى يكونون قد حصلوا على سوق تجارى للأسلحة وضغوط فى نفس الآن احتكارها له ، وهذا يوضح من زاوية إنسانية حجم الهيمنة التى وصلت إليها الولايات المتحدة الأمريكية باستعمالها لأسلحة لأول مرة دون إدراك ما قد يترتب عنها من أخطار ونتائج .

ونتأسف أن يشارك فى هذه الجريمة عدد كبير من الدول الغربية والمنظمات الدولية والانسانية ، فى حين نجد منظمات لحماية الحيوان والدفاع عنه ضد استعماله كحقل للتجارب ، فبالأحرى الإنسان .

ولنعد الآن إلى مجموعة من التصريحات الصحفية الموازية لما كان يجرى على ساحة الحرب .

ففى اليوم الأول بعد وقف إطلاق النار وانتهاء الحرب العسكرية ، كان هنالك تصريح لديك تشينى ، وآخر لجيمس بيكر أشارا فيه بوضوح إلى أن حرب الخليج حلت محل « هزيمة فيتنام » وبعد مرور يومين من هذين التصريحين ، قال الرئيس بوش يوم فاتح مارس : « اتضرع أنه يوم فرحة أمريكا والحمد لله ، دفنا إلى الأبد ، أعراض فيتنام القاتلة » ، وكان هذا التصريح فى أول ندوة صحفية بعد نهاية الحرب العسكرية ، ونستنتج من هذا الكلام الصادر عن أول مسئول عن هذه الحرب ، أهم المقاصد التى دفعت الولايات المتحدة للدخول فى حرب الخليج وإشعالها .

غير أن أمورا جديدة بدأت تظهر على الساحة ، ذلك أن أكبر ضحية فى هذه الحرب كما وكيفا هى أوروبا ، وبالخصوص دول السوق الأوروبية المشتركة ، حيث بدأت تفهم أنها تلقت هزيمة عسكرية بدت آثارها فى فقدانها للسوق العربية للأسلحة أمام التفوق الذى ظهرت به أسلحة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبالتالى أضاعت هذه الدول أسواقها ليس فى منطقة الخليج فحسب ، ولكن فى العالم الثالث بأسره ، كما كان من آثار الهزيمة ، أن ما يسمى « ببناء الكويت » و« السعودية » من جديد ، والذى يقدر بحوالى ١٠٠ مليار دولار ، أتضح أن هذه المهمة هى بنسبة ٩٠ ٪ للولايات المتحدة الأمريكية بل أنه قبل اندلاع الحرب تأسست شركات أمريكية لإعادة بناء الكويت ، ولذلك أقول إن أول ضحية كان خلال هذه الحرب هى أوروبا .

وداخل أوروبا كانت فرنسا الأكثر تضررا ، لأن فرنسا أرادت أن تلعب دور المتزعم للحلف الأوروبى داخل هذه الحرب وأعتقد أنه حتى لو كان على رئاسة الجمهورية الفرنسية رئيس غير السيد ميتران ما كان له اختيار سوى اتباع الولايات المتحدة الأمريكية ، لأن الولايات المتحدة مارست ضغطها بكل الوسائل على فرنسا ، وقد اتضح

ذلك جليا بالضبط يوم ١٤ يناير ١٩٩١ ، حيث كانت هنالك محاولة فرنسية سوفيتية داخل مجلس الأمن تستهدف وقف اندلاع الحرب ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت تهدد فرنسا لدرجة أصبحت فرنسا خائفة من فقدان مقعدها الدائم بمجلس الأمن ، ولما أقول هذا عن فرنسا أفكر فى الاستفتاء الذى نشر فى مجلة « الأكسبرس » الفرنسية والذى اتضح فيه أن الرأى العام بعدد من الدول الأوروبية لم يعد يعتبر فرنسا دولة كبرى ذات وزن حقيقى لتسيير العلاقات الدولية ، وأظن أن هذه هى الهزيمة الحقيقية لأوروبا وفرنسا ، رغم ما حاولت من التنكر لهزيمتها باتباع الولايات المتحدة فى الكذب والتعتيم والتضليل للحقيقة وقلب الحقائق . وقد نالت فرنسا مقابل ذلك الضوء الأخضر فى حق التصرف داخل عدد من المناطق بما فيها افريقيا الفرنكوفونية أى « المستعمرات الفرنسية القديمة » وبما أننا دخلنا مرحلة ما بعد الاستعمار ، فإنه طبيعى أن يظهر المستعمر القديم بنفس ما كان عليه ، يريد أن يصبح كما كان مستعمرا . كما منح لهم التفويض للتصرف فى كل المناطق التى كان لهم سلطة فيها قبل استقلالها بما فى ذلك المغرب العربى ، والجديد هنا هو أن فرنسا تدخل فى مخططها الهيمنى ضد دول المغرب العربى بخطة جديدة واستراتيجية أخطر مما كانت عليه قبل حرب الخليج .

جريدة " العلم " ، ٧ أبريل ١٩٩١

الفرنكفونية تعد مرحلة جديدة لتمديد هيمنتها على المغرب العربى *

رغم الرجة التى أصابت فرنسا خلال حرب الخليج سياسيا وعسكريا ، نجد أن دول التحالف قد قامت بتوزيع أدوارها الجديدة على العالم فى إطار شبيه بيالتا جديدة ، سمح فيه لفرنسا بالتصرف اللامشروط ببعض المناطق خاصة أفريقيا الفرنكفونية ومنطقة المغرب العربى وتحديدا : المغرب ، الجزائر ، تونس ، وأيضا موريتانيا باعتبارها تدخل ضمن مجموعة المغرب العربى وتقع على شمال أفريقيا ، رغم أنى لا أميل إلى هذا التقسيم الاستعمارى الذى يحاول وضع حواجز بين شمال وجنوب أفريقيا .

لقد منحت لفرنسا « البطاقة البيضاء » للتصرف ، وهو ما بدأت تترجمه بتحركاتها باسم التعاون وتعزيز العلاقات لأجل التنمية مع دول المغرب العربى وغيرها من الشعارات الجديدة ، ويدخل هذا التحرك فى إطار ما يُسمى « بالسياسة المتوسطية » ذات الأبعاد الاستعمارية ، ثم هناك مشروع جديد للفرنكوفونية أعد بحلة أخرى لتجديد هيمنة فرنسا على المغرب العربى ما بعد الحرب ـ وكنت دعوت خلال الأزمة دول المغرب العربى إلى مغادرة المؤتمر الفرنكوفونى الذى لا مكان لهم فيه ، بل هو يمس بكرامة وسيادة المغاربة ـ كما كنت توقعت خلال مؤتمر داكار أن المؤتمر الفرنكوفونى القادم لن يستطيع الانعقاد خلال بدايات ١٩٩١ ، وكتبت فى هذا الإطار بنوع من الهزل أن المقر الذى كان قد اختير لعقد المؤتمر سنة ١٩٩١ هو زايير ، وكانت فرنسا تحتفل خلال نفس الفترة بالذكرى المئوية الثانية لإعلان حقوق الإنسان الفرنسى ، وهو ما يتناقض مع أحوال الزايير ـ كمستعمرة فرنكوفونية ـ فيما يتعلق بالديموقراطية وحقوق الإنسان ، وهو ما

* ١٤ إبريل ١٩٩١ .

جعل الأوروبيين يفهمون الآن أنه من غير الممكن عقد المؤتمر القادم ، وقد طالتنا الأخبار عن اجتماع للمجلس الأعلى للفرنكوفونية ولوحظت التغييرات التى طرأت على أعضائه ، كما لوحظت التحركات الجديدة والغريبة لعدد من المفكرين الأفارقة مثل الرئيس سنجور وأساتذة وكتاب من المغرب العربى لا يحتاجون لذكر أسمائهم بل هم معروفون بولائهم لكل قيم الفرنكوفونية . ويأتى بعد ذلك الخطر المتوسطى الذى يلوح بعقد مؤتمر آخر بين أوروبا والدول المغاربية ، وأتخوف هنا من حصول تلاعبات لدى بعض وزراء الخارجية بالمغرب العربى ، قد تنتهى إلى الدخول فى هذا الفخ دون وعى لما يحمله هذا المخطط ، وأخيرا هنالك مخطط آخر خاص بين فرنسا والمغرب العربى ، وأحيل هنا إلى مرجع هام وهو مقال تحليلى فى جريدة " Le Jeune independante " الجزائرية . يكشف فيه أهم خيوط المخطط وما يحمله من هيمنة ثقافية فرنسية بعد الحرب ، وقد كانت جريدة العلم سباقة إلى ترجمته ونشره يوم الأربعاء ٢٠ مارس ١٩٩١ بالصفحة ١٢ ، ونقرأ عبر هذا المقال أنه لم يكف فرنسا معهد العالم العربى بباريس والذى برهن عن عدم استقلاليته وعدم وجوده خلال حرب الخليج ، فأنشئ خلال يناير الماضى معهد جديد بفرنسا يُسمى « معهد المغرب العربى » ، وبنفس الصدفة نقرأ فى مجلة كانت تصدر فى الماضى القريب تحت عنوان « أفريك پلوس » صادرة عن مجموعة صحفية عرفت بتغير موقفها حسب الأحوال والأوضاع ، ثم أصبحت تحمل عنوان « مغرب پلوس » ونقرأ فى افتتاحيتها أن هذا العدد تم تحضيره خلال يناير ١٩٩١ ، وهو نفس الشهر الذى تقرر فيه فتح معهد المغرب العربى ، لكن أهم شئ فى هذه المجلة هو المقال الرئيسى للعدد الذى يتحدث فيه صاحبه عن التوازن السياسى فى دول المغرب العربى ، ووضع لهذا المقال عنوان « تشخيص : ولادة رأى عام بالمغرب العربى » ، ودون أن أشير إلى الأفكار الخطيرة التى يحملها هذا المقال ، نجده موقعا باسم « بنجامين ستورا » وهو الشخص الذى أسندت له إدارة معهد المغرب العربى ، وهنا لست أدرى هل يكون من باب الصدفة أيضا أن يكون أهم مقال فى هذه المجلة الصادرة خلال شهر يناير هو لمدير معهد المغرب العربى الذى أنشئ فى نفس الشهر . وتجدر الإشارة أيضا إلى أن بنجامين ستورا ، هذا هو من مواليد وهران ، ويبدو أنه وجه نحو الاهتمام بالمغرب العربى منذ فترة دراسته حين أعد أطروحته عن « المقاومة الجزائرية » وأمام هذا الخطر لا يسعنى

إلا أن أنبه مرة أخرى من هذه المؤامرة الفرنكوفونية الجديدة، ولا أحب أن يفهم من كلامي أني ضد الحوار ولكني أفهم من تجربتي وبحثي في العلوم الاتصالية أن الاتصال السليم لا يمكنه التحقق إلا إذا كان هنالك نوع من التوازن ، وإذا كان هنالك أخذ وعطاء وإذا كانت المقاصد غير محدودة لأسباب معينة وأهداف معينة ومجالات معينة وفي ظروف معينة .

وأكرر تخوفي من أن يكون هذا المخطط يحمل في أحشائه إعدادات لمؤتمرات مقبلة متوسطية أو بين فرنسا ودول المغرب العربي خلال الأشهر القادمة القريبة ، خاصة وأن وفودا تأتي بتتابع سواء عن الأحزاب الفرنسية أو عن البرلمان الفرنسي أو عن الحكومة الفرنسية كما تتحرك « الباترونا » في نفس الاتجاه بتدعيم وسائل جديدة للاستثمار داخل المغرب العربي ، علاوة على الحملة الإعلامية الفرنسية الواسعة عن المغرب العربي لما بعد الحرب كما هو الشأن بالنسبة للعدد الأخير لمجلة « أفريك پلوس » في مقال لها بعنوان غريب : « وفي النهاية المغرب العربي ! Enfin ce Maghreb ، أو بالنسبة لهذه المجلة الجديدة « مغرب پلوس » بما تحمله من مقالات تنم فعلا عن مخطط مدروس وتعبر عن مرحلة ما بعد الاستعمار ، ولعل مقال « بنجامين ستورا » يعبر عن مرجعية هذه المجلة ، خاصة حين نقرأ عن توجساته التي يمثلها خوفه من عالمية الحركة الإسلامية ، ويضع تقابلات بالية بين الديموقراطيين والرجعيين مقابل أصحاب الحداثة وأصحاب التأخر والتخلف . ويعتبر حرب الخليج لعبت دورا في تدعيم قوات التخلف والرجعية .. !؟ والحمد لله أن يكون هذا الكلام عن حرب الخليج التي برهنت وكشفت ، لا للمغرب العربي وحده ، أن هناك رأياً عاماً حقيقياً يُعبر عن إرادته ويتحمل مسئولية مصيره بقطع النظر عما يجرى داخل الأجهزة البرلمانية ، ولا يمكن لأية سلطة أن تقاوم وتقضي على نهضة الشعوب الحضارية والديموقراطية .

لكن ألا يثير الحديث عن الديموقراطية الاستغراب ويبدو غير ذي موضوع بعد العدوان المخطط من طرف الولايات المتحدة وحلفائها على العراق ، صحيح أن دخول العراق للكويت ، كما عبرت عن ذلك يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ هو مخالف للقانون ، لكن الفرق اليوم هو أن أي حديث عن الدكتاتوريات في العالم الثالث لا يعتبر إلا تمويها وتغطية لحجم العدوان ضد العراق ، خاصة وأن مسألة الدكتاتوريات في العالم الثالث مشكلة

شاملة ونسبية ، إنه في كل دول العالم الثالث ، وبالخصوص فى أفريقيا والدول العربية نجد دكتاتوريات ذات أشكال مختلفة ، فلا معنى إذن أن نوجه أصابعنا لدولة بعينها تعرضت لأشرس هجمة من الغرب . هذا الغرب الذى يتميز دائما بمنهجية الحفاظ على الاستقرار وعدم التغيير لتبقى الأشياء كما هى ، وأعود إلى حرب الخليج لأقول أن ما حدث فى الخليج ليس حربا محلية ولا حربا بين عرب ، بل هو انطلاق لأول حرب عالمية حضارية ، بدأت حلقته الأولى فى الخليج ، ويمكن للحلقة الثانية أن تكون فى المغرب العربى أو فى باكستان أو فى أندونيسيا .. وقد أصبحنا نلاحظ من جديد تحركا شاملا فى أفريقيا بدأ فى توجو ثم قد يأتى دور السينغال وساحل العاج وغيرهما من الدول الأفريقية .

وعموما نجد أننا بعد « حرب الخليج » فى مرحلتها العسكرية أصبحت شعوبنا أكثر وعيا لما يحاط بها ، وأصبحت لها ذاكرة قادرة على الاختزان لأجل المستقبل فى نضالها المقبل من أجل البقاء ، كما فعل شعب العراق رغم سقوط أكثر من ٢٠٠ ألف شهيد ، لكن قافلة التاريخ تسير ولا يمكن تغييرها إلا من طرف الشعب الذى صنعها فى الماضى .

ومن جهة أخرى ستواجه أوروبا واليابان أزمة فى أضعف نقطة فى اقتصادهما وهو اعتمادهما على النفط الخليجى الذى تحكمت فيه الولايات المتحدة الأمريكية فى جانبه الانتاجى وفى احتكار تسويقه ، مما سيضطرها إلى التنازل إليها فى عدد من المواقع ، كماأن ما حدث فى الخليج عسكريا سيؤدى من طرف الغرب إلى سياسة شبه متناقضة ، حيث يريد من جهة بيع أسلحته لدول الخليج كأهداف تجارية ، لكن سيظل شديد التخوف بخصوص الآلات العسكرية وغير العسكرية ذات الصلة بالبحث العلمى والتكنولوجيا المتطورة ، وإذا فهمنا لماذا يوظف ثلثا ميزانية البحث العلمى فى الولايات المتحدة والغرب فى مجالات ذات علاقة بالمجال العسكرى ، نتفهم تشديد الغرب على منع دول العالم الثالث من الاستقلال التكنولوجى .

الرباط- ٢١ / ٣ / ١٩٩١

جريدة " العلم - ١٤ أبريل ١٩٩١ .

الذاكرة والنسيان *

لا يمكن أن نفهم التقدم الحضارى والعلمى والتكنولوچى الذى حصل إلا إذا فهمنا ما يسمى بالثورة الإعلامية .

والثورة الإعلامية هى التى تعطى مكانة هامة للمعلومات والمعرفة أكثر مما تعطيها للمواد الخام وللرأسمال .. وعندما نقول معلومات ، فإن هذه الأخيرة لا قيمة لها إن لم يتم تسجيلها وإذا لم تصبح نوعا من الذاكرة .

التقدم كله مبنى على الذاكرة .. والحياة نفسها ليست من الناحية العلمية (ولا أقصد هنا الجانب الروحى) سوى معلومات أو ذاكرة موجودة فى الخلايا ، وهى الآن أيضا التقدم الحاصل فى العلم ، أى فى الشفرة الوراثية أو شفرة الوراثة (Le Code Genetique) .

وهذا يبين أن الذاكرة حتى من جانب الحياة نفسها شئ أساسى . والتقدم الذى حصل فى حرب الخليج من حيث الأسلحة المتطورة بالمقارنة مع الأسلحة القديمة ، يعكس أن الفرق هو أن للأسلحة الجديدة ذاكرة ولها حاسوب ، ولا يزال يستعمل هذه الذاكرة الموجودة فى الأسلحة .

ويمكن أن نسترسل فى إعطاء أمثلة من هذا النوع بدون حد ، فيما يخص أهمية الذاكرة .. فبدون الذاكرة لا يمكن أن نتقدم . وحرب الخليج تمنحنا فرصة للتعرف بتدقيق عما وقع ، ونحلل الأشياء بنوع من النقد الذاتى بمنهجية علمية .. فمسألة الذاكرة شئ أساسى .

وإذا أخذنا الكلمة باللغة العربية ، فماذا نجد ؟ نجد أن لفظ (الذاكرة) أصله من (ذكر) . وإذا تأملنا القرآن الكريم نجد أنه نفسه (الذكر الحكيم) .

---

* ١٠ إبريل ١٩٩١ .

ولفظ (ذكر) بتصريفاته مذكور فى القرآن الكريم ٢٦٨ مرة .. وهذه الكلمة لها ٦٢ مشتق ، وليس من الممكن أن نتكلم هنا عن كل هذه المشتقات ، لكن دعونا نتوقف مثلا عند قوله تعالى : فسألوا أهل الذكر ٤٣ - سورة النحل ، ٧ - سورة الأنبياء .

والذكر له عدة معانى فى الإسلام . وفى نفس الوقت نجد أن عكس الذاكرة هو النسيان . وإذا أخذنا فعل (نسى) وهو مبنى على النسيان نجد أنه مذكور بتصريفاته ٤٥ مرة فى القرآن الكريم ، وله ٢٨ مشتق .

ولو أخذنا كمثال : الآية ١١٥ من السورة ٢٠ ، نقرأ فنسى ولم نجد له عزما . وهناك بالنسبة للنسيان فى القرآن (الآية ٢٦ ، السورة ٣٨) : ﴿ **لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ .

وهكذا فليس ممكنا بالنسبة إلينا أن ننسى بسرعة ، فننسى الماضى ، وننسى ما حصل فى المغرب الصغير (المغرب الأقصى) والمغرب الكبير (المغرب العربى) والعالم الإسلامى والعالم الثالث ، ولو على الأقل منذ الحرب العالمية الأخيرة ، حيث وقع ٢٧٥ نزاع عسكرى ذهب فيه ضحايا يحسبون بعشرات الملايين .. والعالم العربى وحده فقد خلال هذه المدة أكثر من عدد اليهود الذين ماتوا خلال الحرب العالمية الثانية .

ربما أننا نتحدث عن الذاكرة ، ونحن اليوم ١٠ أبريل ١٩٩١ نستحضر ذكرى الخطاب التاريخى لجلالة الملك محمد الخامس رحمه الله بطنجة يوم ٩ أبريل ١٩٤٧ فبرهن به برؤيا وبعزيمة الشعب المغربى كله على أن يتحرر من الاستعمار الفرنسى وأيضا أن يتحرر من الهيمنة الحضارية الفرنسية ، لأنه فى هذا الخطاب الذى أدى إلى تغيير المقيم العام ، وبعد ذلك أتى الجنرال (جوان) ، ركز على شئ أساسى وهو أن المغرب جزء لا يتجزأ من العالم العربى ومن العالم الإسلامى .

هذه ذكرى أولى ... وهنالك ذكرى أخرى مرت منذ أيام ، وهى ذكرى اتفاقية الحماية ، وكانت يوم ٣١ مارس . وهناك أيضا ذكرى يجب ألا ننساها ، لأن لها علاقة بالعلم والاستعمار والثقافة ، وهى أن فرنسا دخلت إلى المغرب ، ليس بعد اتفاقية الجزيرة الخضراء لعام ١٩٠٦ بطريقة قانونية حسب النظام الدولى الذى كان سائدا فى ذلك التاريخ ، بل إن اتفاقية الجزيرة الخضراء كانت نوعا من تأسيس نظام دولى

استعمارى جديد ، تماما مثل النظام الدولى الجديد الذى بدأ فى الأمم المتحدة ، وهو الآن فى خضم حرب الخليج نظام استعمارى لمرحلة اسميها (ما بعد الاستعمار) .

ولنرجع ٨٨ سنة إلى الوراء ... و٨٨ سنة هى ضعف ٤٤ سنة التى تفصلنا عن خطاب طنجة التاريخى . لنرجع إلى ما قبل معاهدة الجزيرة الخضراء ، أى تسع سنوات قبل الحماية .. فماذا نجد ؟ نجد أن فرنسا دخلت إلى طنجة بطريقتها فى أكتوبر عام ١٩٠٢ ، وهذه الطريقة هى البعثة العلمية التى أسستها فرنسا فى طنجة .. وهذا موضوع يستحق دراسة خاصة .. وهناك خبرة أجراها مثقف مغربى .. لقد أنجز د . الطيب بوتبقالت ، وهو من أسرة تحرير (الخضراء) ، دراسة دكتوراه فى هذا الموضوع ، وهى دراسة بها تقريبا ألف صفحة ، وتسلط الأضواء على هذه البعثة الفرنسية ، التى أسسها (Le Chatelier Alfred) ، وترأسها (Georges Salmon) .

ويجب أن نعرف أن الأشياء قد انطلقت من البحث العلمى الفرنسى ، وانطلقت بدراسات ومجلات مختصة فى الإسلام ، فى المغرب العربى ، وأن الفكرة نفسها جاءت من المندوب الفرنسى فى الجزائر ، الخ .. وهذا جزء من تاريخنا يجب ألا ننساه .. فيجب ألا نقول إن الحماية على المغرب بدأت عام ١٩١٢ ، هذا ممكن فقط من حيث الاتفاقيات الدولية ، وهى كانت مفروضة علينا ، لكن الواقع أن العلم له دور .. وفرنسا بدأت احتلال المغرب بطريقة البحث العلمى ، لمواجهة كل القيم الموجودة ولمحاربة الإسلام .

وهناك شئ آخر ، ودائما من أجل الذكرى ، وهو - بالنسبة إلى - كون ٥ أبريل ١٩٩١ سيكون تاريخا مهما فى التاريخ المعاصر للمغرب ، تاريخ ما أسميه بمرحلة ما بعد الاستعمار .. ففى ذلك اليوم ، وفى الساعة الخامسة و٤٥ دقيقة بالتوقيت المغربى ، سمعنا فى إذاعة ميدى ١ برنامجا حول العقل (La raison) ، وقد دام ساعة ، وتصرف فيه وزير خارجية فرنسا (رولان دوما) ، وكأنه ليس فى بلاده فقط ، بل كأنه يتكلم فى منطقة ليست منطقة مستقلة .

والجدير بالذكر أنه فى هذا البرنامج كانت الأسئلة تأتى من باريس من عدة شخصيات مغربية مختارة ودورها معروف ، وهى التى كتبت فى الصحف الفرنسية وبالخصوص فى LIBERATION وهى التى ساهمت فى البرامج التلفزية ، وهى التى أعطيت لها جميع التسهيلات .

وهذه النخبة هى التى جاءت لتلقى أسئلة على (رولان دوما) . وجزء كبير من وجوه هذه النخبة هى من المساهمين والمتعاونين مع هذه الإذاعة الاستعمارية الموجودة فى طنجة ، وتعتبر « إذاعة مغاربية » .

فى هذا اليوم ، ٥ أبريل ، بدأ تاريخ جديد .. وعكس ما قاله رولان دوما من أننا « قلبنا الصفحة نهائيا » ، أقول : « لقد بدأت صفحة جديدة لما بعد الاستعمار أو ما بعد الحماية .. » فيوم ٥ أبريل ١٩٩١ جاء بالضبط خمسة أيام بعد ذكرى اتفاقية الاستعمار ، وكان أيضا يومين بالضبط بعد ذكرى مذبحة الدار البيضاء لعام ١٩٤٧ .. وقد كانت مؤامرة لمنع جلالة محمد الخامس رحمه الله من السفر إلى طنجة .. وفى هذه المجزرة مات أكثر من ١٠٠ مغربى ، وكان هناك العديد من المجروحين .

وهذا لا يمكن أن ننساه ..

وأيضا فإن ٥ أبريل ١٩٩١ كان بعد مرور شهرين بعد المسيرة التاريخية (٣ فبراير) التى لم يكن لها مثيل منذبداية الاستقلال إذا استثنينا المسيرة الخضراء . وهذا التاريخ (٥ أبريل ١٩٩١) جاء تماما أربعة أيام قبل ذكرى خطاب جلالة محمد الخامس بمدينة طنجة . شئ مهم ولا يمكن أن ننساه ، وليس من حقنا أن ننساه .. وهنا لا أتكلم من روح انتقامية .. لا .. لا هذا .. فالانتقام ليس من طبعى ولا وجود له فى فكرى .. وهدفى هو أن نكون واعين بالأحداث وواعين بالواقع حتى لا ننسى ، وحتى إذا نسينا نعرف لأى سبب سننسى .

هذه نقطة أولى كان ضروريا أن نتكلم وألا ننسى .. وسأرجع بسرعة إلى ما قاله (رولان دوما) .. فالمهم هو أن نرى إلى أية درجة ، وهى نوع من الاستهتار والمهزلة ، أنه قبل أن نسمع (رولان دوما) فى إذاعة ميدى ١ بعدة ساعات ، كان الفرنسيون يقرأون جريدة Le Monde فى باريس .... وفى هذا العدد الذى خرج إلى الأكشاك

الباريسية بعدة ساعات قبل ندوة (رولان دوما) ، قرأ الفرنسيون مضمون ما سيقوله (رولان دوما) .. وهذا المضمون منشور فى عدد ٦ أبريل بالصفحة ٣٠ ، علما بأن (Le Monde) يوزع يوما قبل وصوله إلينا ، بداية من الواحدة بعد الزوال بالتوقيت الباريسى ، والواحدة الباريسية هى ١١ صباحا عندنا .

وإذن كان القراء الفرنسيون على علم مسبق بما سيقوله (رولان دوما) فى المغرب .. وأكثر من هذا فإن المراسل الخاص الذى جاء مع (رولان دوما) عن جريدة "Le Monde" ثم رافقه إلى موريتانيا بعد المغرب ، واسمه (فرانسيس كورنو) ، يقول فى أول جملة على صفحات "Le Monde" وأقرأها كما هى : "Une page difficile est tournée. Il faut regarder vers l'avenir". ويجب أن ننظر هنا إلى المستقبل .. واختصاصى أنا هو المستقبل ، ولا أفهم هذا المستقبل إذا كان بدون ماض .

ولكن المهم أن هذا المراسل بعد هذه الجملة يقول :

"... Avait affirmé M. Dumas, avant même de rencontrer les dirigeants Marocains, au cours d'un débat organisé par la Radio Médi 1 ".

انظر معى هذا « الاحترام » من قبل رجل قال هذا الكلام حتى قبل أن يلتقى بالمسئولين المغاربة .. وهذا يعنى أنه جاء وكأنه فى بلاده ، ويتصرف فى إذاعة هى له ، إذاعة "bilingue" وكأن ليست لنا إذاعات عربية ولسنا فى بلاد عربية ، بل نحن فى بلاد "bilingue" .. وهذا يكفى ونحن نرى ما قاله من بعد فيما يخص العلاقات بين فرنسا والمغرب العربى بصفة عامة والمغرب الأقصى بصفة خاصة.

ماذا أقول عن هذا المقال المنشور فى جريدة "Le Monde"

أنا أقول : إن هذا الخطاب تاريخى ، وأنا لست رجلا سياسيا ، بل إن حياتى بذلتها كلها فى ميدان البحث العلمى والتحليل ، وطبعا بذلت جزءا منها كمناضل ، وليس هناك أى تناقض لأن مفهوم العلم والبحث نضال مستمر ، وهو نوع من الجهاد ، بل هو جهاد حقيقى ، ولهذا ، وكباحث ، أتوجه هنا من خلال جريدة (الخضراء) إلى بعض الاختصاصيين فى الجامعات ، بالسلك الثالث ليختاروا كموضوع دراسات وأطروحات

هذا الخطاب والتعمق فيما جاء من قبله ، وكيف تتهيأ هذه السياسة الجديدة التى هى نوع مما أسميته لدى بداية أزمة الخليج بحرب عالمية أولى ، الحرب الحضارية العالمية الأولى .

وفى هذا الحديث ، ونحن يوم ١٠ أبريل ١٩٩١ ، أزيد وأقول : هذا اليوم يوافق اليوم ٨٣ من بداية الحرب العالمية الحضارية الأولى . ولا يمكن أن نقول أن الحرب ليست مستمرة ، وقد سمعنا فى أخبار اليوم أنه منذ ما يسمى (ما بعد الحرب) تم تسجيل ما يقرب من ٢,٤٠٠ خرجة للطيران الأمريكى وغيره فوق التراب العراقى ، وهى تحليقات تخرق سيادة هذه البلاد ، وكل يوم نسمع من الأمم المتحدة ما يؤلم . والواقع أنه هذه حرب عالمية لم تنته لحد الآن ، وأن عدد الأموات ، حسب تقديراتى ، وقد نشرت (الخضراء) بعضا منها ، يرتفع إلى أكثر من ٣٥٠ ألف ، وربما يقترب العدد من ٤٠٠ ألف من الضحايا فى العراق .

امريكا والعرب والعراق

ولا ننسى أيضا أنهم يقولون أن العرب قد خسروا ، وفى الواقع ، هذه الحرب ليست كباقى الحروب الأخرى التى كانت فى المنطقة العربية ، لأن هذه الحرب واجهتها دولة واحدة ، فهناك بلاد أسمها العراق .. واجهت ٣١ دولة ، ولم يمت فى سبيل الدفاع عن العراق أى عربى غير عراقى باستثناء الفلسطينيين الذين كانوا يموتون يوميا قبل وبعد اندلاع الحرب فى الخليج ، وستبقى الأمور على هذه الحال ما دام هذا « النظام الدولى الجديد» .

إذن علينا ألا ننسى أن هذه الحرب العسكرية مازالت مستمرة ، وأن فرنسا تستعمل ما تسميه بحق التدخل Le drout d'ingérence .

كــــذب

ونرى فى نفس الوقت هذا الكذب الذى يأتى من الغرب ، فنقرأ فى الصحف أن الناطق بلسان البيت الأبيض يقول أن الولايات المتحدة ليست لها أية نية فى التدخل فى الشئون الداخلية للعراق . وهذا التصريح منشور فى صحيفة Le Figaro ليوم ١٢ مارس ١٩٩١ . ونجد نفس الكلام لمسئولين فرنسيين فى وقت معين فيما يخص تبريراتهم للتدخل فى هذه الحرب .

إذن ، لا ننسى ... ولا ننسى أن هناك الكذب .. ولا ننسى أيضا أن هذه العراق وحدها مواجهة ، وأن حتى بعض شبه الاحتجاجات التى كانت من طرف بعض البلدان بما فيها دول المغرب العربى قد انتهت ، وليس هناك ناطق بلسان أية حكومة عربية فى أى مكان ينطق بكلام ضد الظلم وضد المنكر ، باستثناء ما يصدر أحيانا من (الدولة الفلسطينية) وكذا من اليمن التى هى عضو فى مجلس الأمن وأدت إلى حد الآن آلاف الملايين من الدولارات ثمنا لموقفها .

ويمكن ألا ننسى أيضا من يقولون : إن العالم العربى قد فعل كذا وكذا ، والعالم العربى خسر الحرب .. هذا كذب .. كذب لأن العراق واجهت وحدها ٣١ دولة غربية طبعا بما فيها بعض الدول العربية ، والضحايا إذا كانوا عربا ، فهم من جهة الحلفاء الغربيين .

وهذا شئ أساسى فى تحليلنا .. وتحليل الباحث يعنى أن كل كلمة يقولها يقرأ من أجلها مائة كلمة ، وكل ورقة يكتبها يقرأ من أجلها ٥٠ أو ٦٠ فى صحفهم ومجلاتهم لكى يتفهم .. وكل يجاهد فى ميدانه .

إذن ، لن ننسى أيضا أن شعبا واحدا فى تاريخ الإنسانية لم نجد مثله .. وحتى الدول الأخرى التى تقول أنها عربية ، رأينا ما فعلت الجامعة العربية وأين - هى ، ورأينا أين هذا الاتحاد المغربى وأين وجوده الذى كان يحاول أن يجد حلا دبلوماسيا . وقد قلت عند ذاك إن هذا لعب بالوقت ، وأن ليست هناك إرادة سياسية .

والشعــوب ؟

وهل يمكن أن ننسى هذا الواقع ، ونجلس ونقول : جاء وقت الحوار والتسامح ، وننسى شعوبنا التى كانت فى الشوارع وعبرت عما يحس به كل عربى وكل مسلم وكل إنسان من العالم الثالث . وما نرى اليوم أن إسرائيل ما زالت تفرض موقفها وآراءها عن طريق المجموعة الاقتصادية المتحدة وإنجلترا والحلفاء وفرنسا .

بيــئيـــون

وقد قرأنا فى جريدة (Le Monde) المؤرخة يوم ٩ أبريل خبرا مهما جدا عن الحزب الجديد فى فرنسا (حزب البيئة) أن ناطقا بهذا الحزب الأخضر أدلى بتصريح مهم

(أنظر العدد الماضى من الخضراء) برهن به بشجاعة ما كان عليه دور إسرائيل ، وهو دور الصهاينة فى فرنسا والولايات المتحدة وغيرهما بحيث يتصرفون كما يحلو لهم .

لكن ماذا حصل لهذه البلاد « الديموقراطية » التى تسمى فرنسا ؟ حصل أنه انعقد اجتماع لحزب الخضر .. وفى الاجتماع تم اتخاذ موقف . ووقع تصويت . ولأول مرة كان التصويت بالاسم ، أى علنيا وليس سريا ، وهذا نوع من الضغط على أعضاء هذا الحزب فى مؤتمرهم . ومع ذلك فإن ٢٧ عضوا صوتوا ضد . وجاء التصويت بدون نقاش حول الموضوع ..

ونرى هنا أنه قد بدأت مفاهيم جديدة حتى فى الغرب والحمد لله ، ونحن نعتبر أن الإنسان كيفما كان وفى أى مكان كان له ضمير . وهذه الأحزاب الجديدة لها مفاهيم جديدة خاصة بالبيئة . مفاهيم جديدة تجعلها تعترف بالحق ، ومن يعترف بالحق نرى ما يحصل له .

وأيضا نرى فى فرنسا ، التى جاءت لتعطينا دروسا فى حقوق الإنسان والديموقراطية ، ما حصل ، ولو لم تتكلم عنه الصحف ، لرئيس اللجنة الفرنسية لمنظمة العفو الدولية ، فقد تم توقيفه عن عمله للموقف الذى اتخذه ضد الحرب فى الخليج . ونرى أيضا ما حصل أخيراً فى الحزب الاشتراكى . ونرى ثلاث أو أربع شخصيات منعت من أخذ الكلمة فى أى منبر وأى موضوع إلى يناير ١٩٩٢ . ونرى المواقف والتدابير التى اتخذت ضد ١١ عضوا من هذا الحزب .

ثم نتكلم عن حرية الرأى والديموقراطية فى هذه البلدان .

القيـــم

إذن يجب أن نفهم ما يحصل .. وأن نكون واعين أن الأشياء الموجودة الآن هى كلها لها علاقة بالحضارة وليس بشئ آخر ، وأن هذه هيمنة حضارية لدرجة أن بوش نفسه كان يقول منذ أول يوم : « إننا ندافع عن قيمنا وعن نوعية حياتنا » .

وهذا يكفينا .. يكفينا أن نعرف ما هى أهمية وقيمة القيم فيما يحدث ، ونكون واعين فى علاقاتنا مع فرنسا ليس كشعب ولكن من الناحية السياسية ومن حيث الأهداف .

إنهم هناك .. لهم تخطيط .. ولهم سياسة .. ولهم استراتيجية .

واليوم نقرأ الكثير فى الصحافة الفرنسية وفى الصحافة الانجليزية والصحافة الأمريكية . ونقرأ كل ما يدعو للتخوف .

والبعثات إلينا متتالية ، فهذه بعثة الحزب الاشتراكى ، وهذه بعثة التجار ، وهذه بعثة كذا وهذه بعثة فلان ..

الجـزائــر

يلزم أن نكون واعين ..إن Roland Dumas تكلم يوم ٥ أبريل ١٩٩١ و-André Fontaine كمسئول عن (Le Monde) كتب فى نفس اليوم من العام السابق أى ٥ أبريل ١٩٩٠ ، هنا الذكرى تنفع ، مقالا تحت عنوان : (L'Algérie entre le voile et le parabole) وقال فيه بكل صراحة أن هناك صراعا وسباقا بين الديمقراطية والإسلام : " Une course de vitesse entre la Démocratie et l'Islam " .

والآن كتبت عشرات وعشرات المقالات الأخرى ، وآخر مجلة كنت أعتبرها جدية واسمها (Commentaire) كتبت فى عددها الأخير ١٢ لعام ١٩٩١ مقالين : الأول عن الديمجرافية فى العالم الإسلامى . ويتحدث عن السرعة التى يزداد بها الناس فى العالم الإسلامى ، ويعطى إحصائيات سبق لبعض منها أن نشرتها من زمان عن الإسلام والمستقبل ، ثم يتحدث عن « خطر التعدد الإسلامى والهيمنة الديموجرافية للعالم الإسلامى » ، حسب تعبيره ، وهذاالمقال تحت عنوان :" La Démographie de l'Islam" وهو بقلم Jean Marie Poursin .

وفى نفس العدد مقال آخر ، وهو لـ Nicolas Baverez ويعتقد أن التجربة الجزائرية ستفشل ، ثم يتحدث عما يسميه بخطر الإسلام فى الجزائر ، ويكتب فى الصفحة ٧٠٢ أن الدبلوماسية الفرنسية يجب أن تتعامل بمرونة مع اتحاد المغرب العربى بقطع النظر عن بعض الصعوبات الناتجة عن أزمة الخليج .

ويقول : أن هذا التعامل يجب أن يكون من فوق (par haut) عن طريق المجموعة الاقتصادية الأوروبية من جهة والاتحاد المغاربى من جهة أخرى ، وأيضا من تحت بالتعاون بين الشركات الفرنسية والجزائرية . ويختم المقال ، وهذا هو الأهم ،

بأن « هذه الشروط التى يمكن بها لفرنسا أن تساهم بفعالية فى هذا الانتقال الخطير للجزائر إلى الديموقراطية وإلى السوق وأن تشرك الجزائر مع فرنسا أحسن ما لديها من قيم . وهكذا سيتحقق حلم الجنرال ديجول عام ١٩٥٨ . وعندما قال ديجول : " L'Algérie reste-ra française, comme la France est restée romaine " **أى أن الجزائر ستبقى فرنسية مثلما بقيت فرنسا رومانية » .**

والأمثلة من هذا النوع كثيرة .

وإذا تصفحنا جريدة مشهورة فى فرنسا L'Expansion نجد أنها كتبت قبل أسبوع مقالا تحت عنوان : (Le Monde vu d'Alger) وتكلمت عن السيد أحمد غزالى ، وزير خارجية الجزائر . ونلاحظ هنا جملة تعبر عن عدم رغبة الغربيين والفرنسيين فى التعاون والحوار الحضارى الثقافى :

" Par sa maniére de s'exprimer par ses catégories intellectuelles, Sid Ahmed Ghozali est un français. Par ses origines... ses responsabilités politiques, il est algérien" .

غريب هذا المنطق ...

إن الإعلام الغربى يسمح لنفسه بالتصرف فى التحليل ، وبالتصرف نيابة عن الناس ، دون احترام دول مثل الجزائر . وهكذا يأخذ مسئولا ، هو وزير الخارجية ، فيكتب عنه وكأنه يمجده حيث يقول إنه ليس جزائريا سوى بأصله . فهو شخصيا له جذور جزائرية كما له مسئوليته السياسية ، وبهذا فقط هو جزائرى ، أما بوسائل تعبيره وبطريقة تفكيره فلا يمكن أن يكون إلا فرنسيا .

ونقول إن هذا هو الخطر .. ونجده فى كل مكان ..

الجنـــــوب

ونجد فى نفس المقال أيضا ، لأن L'Expansion هى جريدة الأوساط التجارية والاقتصادية ، نقرأ ما يلى : « إن الرأى العام الفرنسى منشغل البال وقلق مما يحصل

فى أمنه بالجنوب » ؛ والجنوب ليس هو المغرب العربى فقط ، بل المقصود أفريقيا كلها . ولهذا فالمخطط الموجود منذ سنين دشنه (رولان دوما) فى إذاعة « مغاربية » ويجب ألا ننسى ، لأن النسيان من الشيطان .

ويجب أيضا أن نفهم تفاصيل لهذا المخطط ، فماذا نحن الآن نرى ؟ نرى وزير خارجية فرنسا يقول ما قاله فى ميدى ١ ، شهر واحد بعد تصريح (فوزيل) رئيس لجنة الخارجية فى البرلمان الفرنسى ، وكان يوم ٧ فبراير ١٩٩١ حيث قال (فوزيل) فى الجزائر :

" La France ne souhaite pas que l'Irak soit écrasée"

كان هذا التصريح فى فبراير حيث أعلن فوزيل أن « فرنسا لا تأمل أن يتم سحق العراق » . وانظروا كيف تطور فى أقل من شهر الموقف الفرنسى ..

وكيف يمكن أن ننسى أن مسئولا فى فرنسا ، هو المسئول عن اللجنة الخارجية للبرلمان يقول كلاما من هذا النوع ، وبعد أيام قليلة يعمل العكس .

فرنسا ... مغربيا

ثم يأتى وزيرالخارجية (رولان دوما) ويتكلم عن الحوار ، والتعاون ، وما يسمى Co-développement وعن المصالح المشتركة ، وعن الأخوة ، والبحر المتوسط ، وليس المتوسط كله بل فقط أربعة من دول المغرب العربى وأربعة من أوروبا ، لكى لا ندخل مشكل فلسطين . وهو أيضا يتكلم عن الصداقة العربية الفرنسية . وأين هذه الصداقة ونحن نعاين ألوانا من التصرف العنصرى ؟ ونرى عدم المسامحة تجاه المسلمين والعرب ، وبصفة خاصة المغاربة ، سواء قبل هذه الحرب أو خلالها أو حتى بعدها ..

ولا ننسى ..

فهذا هو سيناريو التشتيت والتفتيت .. وهو الذى أدى إلى ما وصلنا إليه بحيث أن دولة تواجه وحدها ، وشعبا واحدا يواجه وحده العالم كله ولا أحد يتحرك .. هذا هو المخطط الجديد الغربى الفرنسى الذى ينبنى على مصالح ذاتية .

فلا ننسى أن المغرب العربى سيبلغ سكانه خلال أقل من عشر سنوات مائة مليون

نسمة .وأن هذه المنطقة تستورد من أوروبا وبالخصوص من فرنسا ٧٠ ٪ من حاجياتها ، حيث أن التبادل التجارى بين بلدان المغرب العربى لم يصل بعد إلى ٤ ٪ أو ٥ ٪ من التجارة الدولية . ثم إن هذه منطقة Transit بالنسبة لأوروبا فى تعاملها مع بقية أقطار أفريقيا ، وإلى هذا فإن المغرب العربى مكان ومقر وتاريخ للإسلام ، ولا يمكن أن نفهم تاريخ الحركة الوطنية وتحرر هذه الدول المغاربية بدون الرجوع إلى الحركة السلفية الإسلامية .

الفرنكوفونية

وهذه رحلة فيها هيمنة ، وتستغل فيها الفرنكوفونية كوسيلة للبقاء الفرنسى على الخارطة الحضارية ، رغم أن عدد الناطقين بالفرنسية فى العالم لا يجاوزون ٤ ٪ ، وهذه الفرنكوفونية ليست فقط للدفاع عن الفرنسية بل أيضا لمحاربة اللغة العربية ، وهذا مصدر « حق التدخل » الذى كانت فرنسا وراءه وأدى إلى الموافقة فى مجلس الأمن الدولى على القرار ٦٨٨ ، وليس صدفة أن هذا القرار تم الاتفاق عليه يوم ٥ أبريل ، أى نفس اليوم الذى تكلم فيه رولان دوما على أمواج ميدى ١ ، وهو القرار الذى يسمح للأمم المتحدة بأن تتدخل فى أمور داخلية لبعض البلدان فيما يخص الأقليات . إن فرنسا لم تنتظر هذا القرار ٦٨٨ ، لأنها تتصرف فى مرحلة ما بعد الاستقلال ، وهذه مرحلة شبه استعمارية .

ولا ننسى التدخل من طرف الصحافة الفرنسية حتى فيما يخص القانون الأخير الذى وافقت عليه الجزائر حول استعمال اللغة العربية كحق داخلى ..

وفرنسا مثل بقية دول أوروبا تخشى النمو الديموجرافى فى المنطقة ، ولها تخوف من التطور الكمى والكيفى للإسلام فى المنطقة . وتماما كالولايات المتحدة التى لها ما يسمى Syndrome الفيتنام ، فإن فرنسا لا يمكن أن تنسى هذا الـ Syndrome الجزائرى ، سواء تعلق الأمر بالثورة الجزائرية أو ما وقع فى التاريخ الحديث ، وبالتحديد فى الانتخابات البلدية بالجزائر .

وأنا أخشى حتى على المسيرة الديمقراطية الحقيقية فى الجزائر ، لأن الفرنسيين

يهابون هذه الانتخابات ، وقد لاحظنا أن بعض الأحزاب الشيوعية فى الجزائر ، وهى فرنكوفونية ، أعلنت صراحة : « لسنا بحاجة إلى انتخابات لأن فيها خطرا » (راجع (Le Monde) عدد ٧ أبريل ١٩٩١) . وهذا يعنى أن الديموقراطية والتعبير عن الرأى خطر ، لأنه من الممكن أن يفوز فى الانتخابات بعض المسلمين .

إن المخطط الفرنسى الغربى نو عدة أوجه ، وأنا لا أتصور بعد الذى قرأته فى L'Expansion أن الفرنسيين يخشون على أمنهم ، بل إن فرنسا تهئ نفسها لتكون لها جيوش مختصة للتدخل بسرعة فى مناطق من العالم الثالث إذا وقع مساس بمصالحها ، وهنالك سوابق ، فستفعل تماما كما تصرفت أمريكا .

... وتـــنــتـــهى فــرنـــسا

ولكن الخطر هنا من الناحية الحضارية هو أن فرنسا الآن قد انتهت كقوة سياسية ، انتهت كقوة عسكرية ، انتهت كقوة اقتصادية ، انتهت كقوة علمية وحتى ثقافية . وهذا برهان ويشهد به الفرنسيون أنفسهم فى كتبهم .

إن فرنسا نفسها ، ومعها مجموع أوروبا ، تعتبر الهيمنة الأمريكية أو ما يسمى Pax Americana وهى منشغلة بالأمن الأوروبى وتعرف ما حصل لتأخذ تعويضا فى المغرب العربى وأفريقيا .. وهذا تعويض للمأساة التى انتهت إليها . وورلان دوما نفسه يشير إلى هذا .. فيوم ١١ مارس ، أى قبل مجيئه إلى المغرب قال :

"La crise du Golfe aura agi comme un révélateur sur l'Europe et fait apparaître ses limites et ses inssufisances " .

هذا كلامه ، وقد نشر فى Le Figaro ليوم ١٢ مارس ١٩٩١ ، وهو يعلن فيه أن أزمة الخليج قد كشفت وأظهرت واقع أوروبا وما هى حدودها وما عجزها وما ينقصها .

إن فرنسا فى أزمة حتى من الناحية العلمية ، ففى مجال الاختراعات سجلت اليابان خلال العام المنصرم ٢٠٠ ألف اختراع جديد ، والولايات المتحدة ٦٠ ألف ، وألمانيا ٣٠ ألف ، وفرنسا ١٢ ألف .

والكل يعرف أن فرنسا فى تخلف وأزمة من حيث البحث العلمى ، وأن التكنولوچيا

فى فرنسا توجد فى أزمة ، وأن اللغة الفرنسية قد انتهت كلغة للعلم والتكنولوجيا .

ومرة أخرى يجب أن نكون واعين بأن هذه الشعوب لم تتعامل معنا بمصداقية .

الشـــارع العـــربـــى

ويحضرنى هنا مقال للكاتب Charles Krauphammer فى مجلة Time Magazine ص ٦٨ من عدد ١٥ أبريل ١٩٩١ . قال : « ما هو رجل الشارع العربى ؟ رجل الشارع خلقه المثقفون الذين أرادوا أن يتخوف الغرب من مواقف الدول العربية ضد الغرب ، وفى الواقع فإن الرأى العام العربى ورأى عام الشارع هو مراقب من قبل أنظمة لها بوليس سرى وشبكات أمنية ولها هيمنة على الإعلام » . تصوروا أننا عندهم حتى شخصيتنا غير موجودة ، وشعوبنا غير موجودة ، ورجل الشارع غير موجود .

الصحـافـــة

وعن الخليج ألقى سؤالا واحدا : من آلاف الصحفيين الذين قاموا بتغطية حرب الخليج ، من منهم كان يتكلم اللغة العربية ؟ ومن كان فى إمكانه أن يتصل برجل الشارع ويعرف منه كيف يفكر وما رأيه فيما يحدث ؟ إننا نعيش أزمة كبيرة ، ونحن مسئولون داخل العالم العربى عن جزء مهم منها .

ويجب ألا ننسى ... ويجب أن يكون عندنا نقد ذاتى ...

لكن هذه الظروف التى جاءت يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠ ، فيها خير من جهة أخرى ، لأنها مثل آلة (سكانير) بينت ووضحت كل شئ ، وأظهرت الأشخاص والمخططات .

البتـــــرو دولار

ويجب أيضا أن نحلل ، وألا نعتمد على العاطفة .. وألا نثق فى هذا السلوك شبه العاطفى الجديد مع فرنسا ومع المساعدات الفرنسية والغربية . فكم يمكن لفرنسا أن تساعد المغرب العربى وهى نفسها تستجدى مليارات الدولارات من دول عربية أخرى ؟ وكيف يمكن أن نعتمد على الاستجداء ...

لكن من الناحية الحضارية ومن حيث العلم والتكنولوجيا ، يجب أن نكون واعين وأن نفهم شيئا جديداً يا إنسان الجنوب ، وهو أن هذا المخطط ليست فرنسا وحدها فيه ... **ففى مرحلة ما بعد الاستعمار ، وهى مرحلتنا الحالية ، أنت من يصرف على هذا الاستعمار .. وفرنسا تمول الآن جزءا كبيرا من هذه الهيمنة الحضارية بأموال عربية ، بأموال خليجية ..**

وبدأنا نرى صحفا جديدة لا نعرف ماذا وراءها . إن عندنا صحفا لها تاريخ وماضيها معروف ، ولكننا نرى كل يوما صحفا جديدة ومجلات جديدة ، وسنرى قريبا أحزابا جديدة .. وكل هذا تخطيط لهيمنة حضارية . وللأسف فإن كل هذه الأموال الخليجية التى مولت من قبل التطرف ، وأظهرت بعد أزمة الخليج من هم المرتزقة ..

ولأن نفس الأموال التى كانت تمول التطرف والتشدد هى التى تمول اليوم العلمانية واجتماعات فى معاهد ومراكز ثقافية فى بلداننا المغاربية ، وهى مراكز نرى فيها أشخاصا جاؤوا ليحاربوا القيم المحلية العربية الإسلامية ، وهم يأتون ضمن بعثات أجنبية كمرتزقة داخل بلداننا ..

وعلينا ألا ننسى ...

ومن أصعب ما أتوقعه هو الخطر المعشش داخل أنفسنا ، وهو انعدام الكفاءة فى التحليل ، وعدم مواجهة الواقع ، وعدم الدفاع عن الحرية الحقيقية وعدم بناء مجتمع مدنى فيه جميع الحريات ، وخاصة منها حرية التعبير ، بدون مراقبة ذاتية وبدون تلاعب ، وبالخصوص من طرف المثقفين لأن هذا وقت خطير ..

ويجب أن نحافظ على الذاكرة .. لأننا بدون ذاكرة لا يمكن أن نتقدم ..

وإن هذه الخطة الفرنسية الغربية ، ويتعاون مع بعض الأوساط المالية الخليجية ، وبعض المثقفين المغاربيين ، وبدون وعى منهم ، تهدف إلى أن تنشئ لدينا ذاكرة ممسوحة . وإذا مولوا صحفا جديدة فمرحبا بهم ، فالتعدد والاختلاف سنة وأجر . ولست ضد أية فكرة كيفما كانت ، لكن من الواجب

أن تكون لنا ذاكرة حقيقية ، ومن الواجب أن أقول عندما ألاحظ انحرافا ، إن هناك الخطر ..

وبهذا، فإن الذكر ينفع لمن أراد أن يتذكر ..

وإذا كانت الحكومات والمسيرون السياسيون ينسون بسرعة من قبل التاريخ ، إلا بعض الاستثناءات ، ولكن الشعوب لا تنسى ، وبالذاكرة الشعبية يكتب التاريخ ويتمهد المستقبل .

هذا الحديث أدلى به د . المهدى المنجرة لجريدة « الخضراء »

يوم الاربعاء ١٠ ابريل ١٩٩١ على الساعة ١١ والنصف ليلا .

« الخضراء » ١٢ و ١٩ أبريل ١٩٩١ .

عندما تهجرنا الكفاءات
الهجرة إلى الخارج .. وهجرة إلى الداخل *

.. الهجرة أنواع ..

لنا هجرة إلى الخارج ، ونحسبها بالجوازات والتأشيرات ..

ولنا أيضا هجرة داخلية .. فحتى الأدمغة التى لم تذهب إلى الخارج ، تهجر داخليا .. فهناك إذن هجرة الأدمغة ، والهجرة داخل الأدمغة .. فعندنا عدد من المثقفين الذين بقوا فى بلدانهم . لهم هجرة داخل أدمغتهم ..

وكم مثقف يفتخر إذ يقول إن آخر كتاب قرأته كان منذ ثلاثة أو أربعة شهور ..

هذا يؤسف له حقا .. فقد وصل حد من العلم ، بحيث أنه مدير عام أو وزير ، وهو ليس محتاجا ، وكان عليه أن يتتبع المعرفة ..

وهذه هجرة للمعرفة ..

وإذن عندنا هجرة إلى الخارج ، وهجرة داخلية ، وهى أن الكفاءة موجودة ويجب أن تبقى فى بلدها وتحارب العراقيل الموجودة وهى مهمشة .. وهناك أشخاص لهم أدمغة أو كانت لهم أدمغة ومعرفة ، وهم الآن فى موقع المسئولية ، ولا يستغلون هذه المعرفة بل أكثر من ذلك يضيعون المعرفة .

والمهم أننا واعون بالإشكالية ..

وأريد أن أركز على قضية (الأدمغة) ، وهى أن العبارة قد استعملت لأول مرة بالإنجليزية .. وأتذكر ، لأن هناك قرارا للجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٣٢٠ (وتاريخه : عام ١٩٦٧) ، وكانت المبادرة من الهند ومصر وإيران والبرازيل

* ٢٤ إبريل ١٩٩١ .

ونيجيريا ، وكنت ممثلا لمنظمة اليونسكو آنذاك ، وكان مطلوبا منى أن ألعب دورا فى هذا المضمار .. وأول دراسة فى الموضوع ظهرت عام ١٩٦٨ ... وبعد ذلك ظهرت دراسات أخرى ..

لكن العبارات مهمة ..

فقد بدأنا بعبارة باللغة الإنجليزية وهى (Brain Drain) ، وكان السؤال المطروح : كيف تُترجم العبارة ؟ وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن الترجمة ليست (La fuite des cervaux) ، ولكن (L'exode des competnces) ، أى هجرة الكفاءات ..

لماذا ؟

لأن الأدمغة لا تهجر الأدمغة .. لكن الكفاءة هى التى ترحل .. بذلك يكون المقصود هو : هجرة الكفاءات ..

هذا هو المهم .. المهم أن عندك كفاءة لكنك لا تستغلها ..

وبقيت فكرة (Brain Drain) إلى عام ١٩٧٤ ولم تعد المسألة مسألة الأدمغة أو الكفاءات ، بل صارت بالصيغة التالية : ما هى نتيجة هذه الهجرة بالنسبة للإقتصاد ؟

ولا داعى للخوض فى التفاصيل ..

وأعود إلى عام ١٩٦٨ .. إن تلك الدراسة التى أنجزناها ، وهذا صلب موضوعنا وهو ليس منهجية التنمية ولكن : النموذج التنموى ..

وأظن أن النموذج التنموى لدول العالم الثالث منذ الستينات تسبب ولا يزال فى عدة مشاكل ، لأنه مبنى على التقليد الأعمى بدون دراسة كافية للمناخ والبيئة والقيم التى يتطور فيها ، وبدون الاهتمام بأهداف الشعوب وانعدام رؤيا للمجتمع .. وانعدام الرؤيا هو أخطر من التخلف ولماذا لا يمكن أن تكون لنا رؤيا مجتمعية اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا .. لماذا ؟

الجواب : من له الحق فى أن يحتكر تكوين هذه الرؤيا ؟

إن هذه الرؤيا لن تكون حقيقية إذا لم تكن رؤيا لكل المجتمع ، رؤيا بمشاكل كل فئات المجتمع .. فكيف تكون رؤيا بدون تعددية ؟ وبدون حرية الرأى التامة ؟

وأقولها وأكررها : ليس فى الإسلام حدود للتعبير عن الرأى .. وأتحدى أى عالم ، كيفما كان ، أن يعطى تفسيرا بأن الإسلام قد جاء بحدود فى التعبير عن الرأى . التعبير عن الرأى مضمون ما دام الإنسان لم يمس حقا من حقوق إنسان آخر .. وهذا موجود فى جميع القوانين .. إن من حق الإنسان أن يعبر عن رأيه .. وبدون ممارسة حرية التعبير لا يمكن أن نتقدم .

فليست عندنا رؤيا .. رؤيا الطالب فى المشاركة .. رؤيا حقوق الإنسان .. رؤيا التعددية .. وهناك مشاكل أخرى ناتجة عن تقليد النموذج التنموى للبلدان الصناعية .. وهى مشاكل ثلاث :

١ - الأمية : فعندنا أكثر من نصف مجتمعنا أمى . والعالم العربى والإسلامى له الرقم القياسى ..

٢ - البحث العلمى ..

٣ - القيم .. وأعنى أن يكون للإنسان اعتبار فى مجتمعه .. وهنا أؤاخذ بعض المثقفين الذين نسمع منهم اليوم لغة غريبة .. إنهم يقولون : إن شعوبنا متخلفة ، ومجتمعنا ليس مستعدا للديموقراطية ، والجمهور جاهل .. أية ديموقراطية هذه ؟ أكان الجمهور جاهلا عندنا كان يحارب فى الجبال من أجل الاستقلال * ؟ عندما كان يموت شهداء فى سبيل تحرير البلاد التى أنت يا مثقف تتصرف فيها اليوم ، سواء كنت فى المغرب أو الجزائر أو تونس أو باكستان أو أندونيسيا .. عندما كان مجاهدا .. أما اليوم ، وقد وصلت يا مثقف إلى الحكم ، تقول : « لا .. المجتمع ليس ناضجا وليس مستعد للديموقراطية » .

كيف يمكن أن نصل إلى عدالة ونؤسس رؤيا لمجتمع بدون هذه المشاركة وبدون معاملة شعوبنا معاملة أخرى غير هذه العجرفة الجديدة لبعض المثقفين التابعين الذين أصبحوا مهجرين داخل بلدانهم ..

وهذا نوع آخر من هجرة الأدمغة .. وهو أن بعض المثقفين بقوا فى بلادهم

---

* أو كان جاهلاً عندما ذهب لصناديق الانتخاب ؟

وأصبحوا كأنهم جاءوا من بلاد أخرى .. هذا مواطن من بلادك ولكن كأنه جاء من الخارج ليشتغل معك ..

هذا نوع من الهجرة ..

لأن هذا قد هاجر قِيَمَهُ .. هاجر مناخه .. صار عنصرا لحضارة وثقافة أخرى وهو معك يقول لك : أنا منك ..

فى السابق ، وأنا أعرف فى الحركة الوطنية ، كانت حرمة للمدرسة ، سواء كانت هذه المدرسة هى (الزيتونة) أو (القرويين) .. ففى المغرب ، عندما يحاول شرطى فرنسى أن يدخل إلى حرم (القرويين) تهتز البلاد كلها . و ٤٠٠ ألف عسكرى فرنسي متمركز هنا وهناك .. البلاد تهتز لمجرد أن حاول شرطى فرنسى واحد أن يدخل إلى مبنى القرويين .. إلى مكان له حرمته .. إلى مكان علم ..

والحرم له شروط من جميع النواحى .. حرم من جهة الشرطة .. حرم من جهة السلطة ... حرم واحترام للعالم نفسه ، وداخل نفسه .. فهذا مكان علم .. وهناك أشياء مباحة وما هو غير مباح ... هناك رقابة ذاتية لاحترام الغير ..

هذا الحرم ليس موجودا .. ويوميا نقرأ فى الصحف أن وزراء مسئولين عن التعليم العالي يعطون تعليمات لتدخل الشرطة .

أما إذا تحدثنا عن البحث العلمى ، فهذا موضوع فيه ما فيه ..

ونأخذ مثلا من بلد كاليابان .. إذا أخذنا ميزانية البحث العلمى وميزانية وزارة الداخلية كلها ، لأن اليابان أيضا فيها مشاكل أمنية ، ولها شرطة خاصة والجيش الأحمر ، نجد أن النسبة هى سبعين إلى واحد .. فكل دولار يذهب إلى شرطى فإن سبعين تذهب فى نفس الوقت إلى البحث العلمى ..

ولا داعى لأن أعطيكم مقارنة مع بلداننا ..*

---

*ميزانية البحث العلمى فى مصر كما صرحت وزيرة البحث العلمى للمصور فى عدد ٢ يونية ١٩٩٥ : ١٦٠ مليون جنيه ، ٨٠ ٪ منها للمرتبات ، بنسبة ٢ ، ٪ من ميزانية الدولة ، فى الوقت الذى أقامت فيه الدولة مدينة إعلامية بعدة مليارات !

ولكن دعونا نتكلم عن جانب آخر من الموضوع .. فبعضهم يقول لنا : لابد من المساعدات الفنية ..

أية مساعدات هذه ؟

تعالوا بنا إلى الأرقام .. وأقدم لكم أرقاما من فرنسا .. عن الأشخاص الذين وصل تكوينهم إلى ما فوق الدكتوراه :

الرقم القياسي للمغرب وهو ٦٥٠ ، ويأتي بعد الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا .. بعد هذه الدول العظمى يأتي المغرب بعدد ٦٥٠ إطار بمستوى ما فوق الدكتوراه .. وبعد إسبانيا وإيطاليا وكندا تأتي الجزائر بنسبة ٥٠٠ . وبعد بولونيا والبرازيل تأتي تونس بنسبة ٤٥٠ .

إن لنا ١,٥٠٠ على الأقل ، وهو عدد لا يحصى الأشخاص الموجودين في الجامعات ... ونحن ليست لنا حتى إحصائيات في هذا المضمار ، ونذهب دائما إلى مكاتب الهجرة بالدول الأجنبية للحصول على أرقام ..*

إننا لا نعطي أية قيمة لمفكرينا وأدمغتنا ولانتابعهم إلا من الناحية الأمنية ... وهاقد تسأل عن فلان ، فيقال لك : « نعم ، نعرفه ، لقد وصلنا تقرير عن آخر محاضراته .. وقد قال في محاضرته ببروكسل كذا وكذا » ..

عندنا هذه القدرة لاستخدام العلوم والتكنولوجيا لمتابعة هؤلاء المفكرين ..

ولكن إذا سألت كم عندنا من الفيزيائيين والكيماويين والمختصين في القانون الدولي . قيل لك : « لا ندر ، وعليك الاتصال بالسفارة الفرنسية أو الإنجليزية ..» .

---

*في نفس عدد المصور ، سئلت الوزيرة : هل لدينا حصر بالعلماء المصريين بالخارج ؟
فأجابت : يتم الحصر حاليا ، ويُساعدنا في هذا الأمم المتحدة !

العرض فى أصله قدم خلال ندوة دولية حول «هجرة العقول» ،

(جمعية «النهضة») ، الجزائر ـ أبريل ١٩٩١

– « المساء » ، ٢٦ أبريل ١٩٩١ .

– « الخبر » ٢٧ أبرل ١٩٩١ .

– « السلام » ، ٢٥ أبريل ١٩٩١ .

– « الخضراء » ، ١٠ مايو ١٩٩١ .

- HORIZONS, 25 - 04 - 1991 .

- EL MOUDJAHID, 25 - 04 - 1991 .

مستقبلنـــا بعـــد الحـــرب

قراءة مستقبلية حول تحديات الواقع

وضرورات المستقبل

ماضى المستقبل

الجزائر وفرنسا والأمم المتحدة *

إن المقعد الذى يمثل الوفد الفرنسى بهيئة الأمم المتحدة ، يشغله الآن وزيرها فى الشئون الخارجية السيد بينو ، فى الوقت نفسه الذى تعرض فيه على منظمة الأمم المتحدة مناقشة قضية الجزائر ، مما يمكنه أن يؤخذ كتحسن فى الموقف الفرنسى ، خاصة عندما نقارن ذلك بالطريقة التى انسحب فيها الوفد الفرنسى من الأمم المتحدة خلال سبتمبر ١٩٥٥ . وقد كان انسحابها رغم كل شئ أكثر شرفا بكثير من أن تبقى صامتة تجاه الاتهامات الموجهة إليها . فى ذلك الوقت كانت فرنسا هى التى فتحت السجال قبل اللجنة السياسية لهذه الهيئة الدولية . وفى كلمة للسيد بينو استمرت خمس ساعات دافع خلالها عن الموقف الفرنسى قبل أن يكون أى اتهام قد وجه لفرنسا بعد .

إن الحل المناسب فى مجموع المناقشات الخاصة بالقضية الجزائرية كان ممكنا فرضه دون الرجوع إلى ضعف المبررات الفرنسية أو إلى الحقيقة الواضحة فى التدخل الأفرو أسيوى .إن ما عندنا هو فى الواقع : ١٠ ملايين شخص قوى يطمحون إلى الحرية والحكم الذاتى . وتمت مقاومتهم من طرف نصف مليون جندى فرنسى ، إضافة إلى قوات الأمن المستقرة محليا هناك بأسلحة أوروبية متطورة ..

وكانت هيئة الأمم المتحدة قد ساعدت آنذاك حركات التحرر الوطنية مثل ما هو الشأن بالنسبة للحركة الأندونيسية أو بتونس أو المغرب ، وتم تفويت القرارات فقط بعد عدد من الصعوبات ، بمساطة فرنسا والأطراف المختصة التى جاءت بإسم السلام ... إن هذه السياسة السلبية فى داخل الأمم المتحدة حالة متخلفة ، يجب إصلاحها طبقا للمقاصد الأفضل ، أى أن بلدا يناضل من أجل استقلاله من حقه أن لا يقدم داخل المنتظم الدولى كمقاومة مسلحة . ففرنسا وكل القوى الاستعمارية لم يسبق لها أبدا فى

---

* فبراير ١٩٥٧ .

تاريخها أن وهبت الاستقلال لإحدى مستعمراتها . وهو وحده شهادة عليها بدءا من سوريا إلى لبنان إلى الهند الصينية إلى تونس والمغرب ، كل هذه الدول نالت استقلالها بعد كفاح مسلح وانتصار عسكرى أو تفاوض على الاستقلال بعد طول مدة التصارع العسكرى .

إن مناقشات الأمم المتحدة رغم تقديرها واحترامها للحركات المعادية للإمبريالية ، فإنها تحتفظ بممثليها وقادة هذه الحركات خارج الأعضاء الممثلة داخل الأمم المتحدة ، وهو ما يمكن نعته بسلوك ذى طبيعة نفاقية ، ولعله درسهم الأول فى الدبلوماسية والشئون الخارجية .

وتجد هناك عددا من الدول تتخذ مواقف ضد حركات التحرر الوطنى ، وتتهم قياداتها بالإرهاب والعصابات [*1] ، ولكن من هذه الدولة التى لم تبعث من هذه الدول ببرقيات إلى زعماء الحركات التحررية عند نيلها للإستقلال ؟

إن مداخلة الوفد الأمريكى على لسان السيد لودج يوم ٦ فبراير أثارت انتباهنا أكثر من غيرها بتحديد التناقضات الرئيسية للأمم المتحدة ، خاصة فيما يتعلق بالطرف الإسرائيلى ـ الفرنسى ـ البريطانى فى العدوان ضد مصر . وقد لقى السيد لودج ترحيب ورضى الفرنسيين خلال مناقشات القضية الجزائرية داخل الأمم المتحدة ، وطرح بوضوح أن وفده يعترض على دخول أى طرف آخر مع الجهود الفرنسية لحل المشكلة الجزائرية [*2] . ولا يمكن تفسير الموقف الأمريكى إلا كدعم للإستعمار الفرنسى بالجزائر . ولكن المحزن أن لا أحد تحدث عن الشباب الجزائرى الذى كان يقتل على مسمع ومرأى من الجميع ، ومن طرف فرنسا القابعة بالأمم المتحدة ، بل إن الوفد الفرنسى حينها تحدث عن هدف « العالم الحر » وتهجم على المساعدات المصرية بدعم الجنود الجزائريين بالأسلحة .

[*1] لاحظ أن وصف الحركات الوطنية بالتطرف قديم قدم هذا المقال الذى كتب ١٩٥٧ ، بل قبل ذلك إتهم الإنجليز مصطفى كامل وسعد زغلول أوائل القرن بالتطرف ، ولم تكن كلمة الإرهاب دخلت القاموس السياسى بعد .

[*2] ما أشبه هذا بأسلوب الحكومة الإسرائيلية ، ومعها الأمريكية حين تعلنا أن حل المسألة الفلسطينية بالتفاوض بين إسرائيل والفلسطينيين ، فتكون إسرائيل خصم وحكم !

إن الخطأ الفادح الذى ترتكبه الأمم المتحدة هو أنها لم تفهم بعد قوة وحقيقة الروابط التى تجمع دول العالم العربى فى نضالها من أجل الاستقلال والتحرر من الهيمنة الأجنبية . وفى اليوم الذى ستفهم فيه الأمم المتحدة هذه الحقيقة ، من الممكن آنذاك أن تكون قادرة على أن تفهم أن لا فرق بين الوطنية العربية فى هذاالطرف أو ذاك ، لأن أهداف وطموحات الحركة التحررية العربية غير قابلة للتقسيم ، وكل ما تبرهن عليه الولايات المتحدة بسياستها الحالية ، يعكس عدم صدق عواطفها « المعلنة » تجاه العالم العربى وفى الشرق الأوسط ...

إن الأمر لا يتعلق بمستقبل الجزائر وحدها ، التى تبدو مهددة بالموقف الذى عبرت عنه الأمم المتحدة ، لأن مستقبل الجزائر واضح للجميع مع قليل من الوعى وقليل من المعرفة للقوى الفاعلة خلال هذه المرحلة من القرن العشرين ، ولكن الخطر على الاحترام والثقة فى تحول الأمم المتحدة إلى « عالم حر » ، الأمر الذى بلغ الآن مستواه القانونى .

- THE ARAB NEWSLETTER, ARAB STUDENTS UNION, IN THE UNITED KINGDOM February 1957, London.

تضامن البلدان الغربية
مع البلدان النامية هو مجرد رياء *

كل هذا الكلام الكثير فى أوروبا الغربية ، عن التضامن مع البلدان التى فى طريق النمو ، لا يعدو أن يكون مجرد رياء . فالمساعدات المقدمة لهذه البلدان تسيئ إليها أكثر مما تفيدها ، كما أن البلدان المصنعة الغنية ، ترفض بشكل مطلق ، مساعدات البلدان التى فى طريق النمو ، فى المجال الذى قد تظهر فعاليته فى المستقبل وهو نقل التكنولوچيات الجديدة والبيوتكنولوچيات .

فى سنة ١٩٨٧ ، سقط فى العالم الثالث من القتلى بسبب الحروب ، أكثر مما فقده الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، دون أن يثير ذلك أقل رد فعل من جانب الأوربيين الغربيين . بل إن هؤلاء يستفيدون من هذه الحروب .

كانت تلك مجموعة من التأكيدات التى أثارت مجموعة من رجال السياسة الاجتماعيين الديموقراطيين والاشتراكيين فى المجموعة الاقتصادية الأوروبية والبلدان الشمالية ، وهم يستمعون إلى البروفيسور المغربى السيد المهدى المنجرة ، خلال مؤتمر حول المجموعة الاقتصادية الأوروبية والبلدان التى فى طريق النمو ، عقد فى مطلع هذا الشهر (يناير ١٩٨٩) بكوبنهاجن .

لقد عمل الدكتور المهدى المنجرة منذ أكثر من عشرين عاما داخل مجموعة من المنظمات الدولية المهتمة بالوضعية فى البلدان التى فى طريق النمو ، وبالرغم من تركيزه على إبراز المشاكل المطروحة ، فقد كان يعزز تأكيداته بأرقام وأمثلة وقد اختتم عرضه بتحذير الشعوب الغربية قائلا : « إن التطور سيكون سريعا جدا خلال السنوات المقبلة وإذا لم تبد الولايات المتحدة وأوروبا الغربية إرادة فى التكيف ،

---

* يناير ١٩٨٩ .

فإنها ستنتكس بسبب تقدم اقتصاديات وثقافات العالم الثالث ».

نزعة مركزية أوروبية

إن أهم عرقلة تحول دون قيام حوار حقيقى بين الشمال والجنوب ، ليست سياسية ولا اقتصادية أو اجتماعية ، يقول الدكتور المهدى المنجرة ، بل ثقافية ، بالأحرى . إن مجموع الحوار تخترقه نزعة مركزية أوروبية . إن السوق الأوروبية المشتركة ـ يضيف الدكتور المهدى المنجرة ـ تمثل اليوم ٦ ٪ من سكان العالم ، وإذا أضفنا إليها الولايات المتحدة ، فإننا سنصل ربما إلى ١٠ ٪ . وسيمثل سكان المجموعة الاقتصادية الأوروبية ، فى سنة ٢٠٠٠ أقل من ٥ ٪ من سكان العالم ، وفى سنة ٢٠٢٥ سيكون الرقم هو ٣ ٪ . « إلى متى ستستمرون فى الاعتقاد ـ يقول الدكتور المهدى المنجرة ـ بأن باقى العالم سيترك قيمه ، خاضعة لهيمنة تقليد يهودى ـ مسيحى ، وتقليد شرعى أوروبى لا يرجع إلا لبعض مئات من السنين ، فى الوقت الذى توجد فيه بلدان فى آسيا تستطيع أن ترجع تقاليدها إلى ٥٠٠٠ سنة إلى الوراء ؟

« إلى متى ستستمرون فى الاعتقاد بأن العالم قد بدأ مع الثورة الصناعية ؟ إلى متى ستستمرون فى وضع كمامات على أعينكم ، أمام تاريخ بلدان أخرى ؟ إلى متى سيظل ٩٠ ٪ من سكان العالم مضطرين لتعلم لغتكم ، وموسيقاكم ، وأدبكم ، وثقافتكم ، فى الوقت الذى لا تبدون فيه أى اهتمام بتعلم ومعرفة لغتهم ، وموسيقاهم وأدبهم وثقافتهم ؟ » .

ولأن موضوع المؤتمر كان هو « التبعية والتضامن المشتركين » فقد واصل الدكتور المنجرة عرضه بقوله : « إن أول فكرة ينبغى أن تتبادر إلى الذهن ، عندما نتحدث عن التبعية والتضامن المشتركين ، هى فكرة : « هذه بتلك » . ينبغى أن نتعلم من الآخرين ، وأن نستمع إليهم ، لا أن نكتفى بمخاطبتهم بطريقة دوغمائية .

وقبل أن يتحقق ذلك ، لا يمكن أن يكون هناك حوار بين الشمال والجنوب .

ليست هناك أية مساعدة فى مجال البيو ـ تكنولوجيا ..

وبخصوص التعاون الاقتصادى المستقبلى بين البلدان النامية والبلدان المصنعة ، قال المهدى المنجرة: إننا فى طور الدخول فى مرحلة انتقالية بين مجتمع إنتاجى ، بدأ

مع الثورة الصناعية ، ومجتمع علمى . فالرأسمال أصبح ثانويا ، أكثر فأكثر ، والكائنات البشرية وكذلك الموارد الطبيعية ستكون لها أهمية أقل فى التطور فى المستقبل . فبعد أقل من ١٠ سنوات ، ستتمكن الشركات المتعددة الجنسيات فى بلدان الشمال ، من وضع أبناك چنتيكية تمكنها من إنتاج عدة أنواع من كل ما يوجد ، وتمكنها من تثوير كل حياتنا ولكن لا يوجد بلد واحد فى العالم الثالث يملك بنكا چنتيكيا . ونحن لا نتوفر حتى على ذاكرة حول كائناتنا الحية . وقد قررت المجموعة الاقتصادية الأوروبية والبلدان الغنية ، أن لا تترك للعالم الثالث حق المشاركة فى هذه التطورات التكنولوچية والبيولوچية . وهى ترفض بكل بساطة التعاون معنا فى هذا المجال.

لقد كانت لى قبل مدة - يضيف الدكتور المنجرة - عدة مراسلات مع المندوب الأوروبى للتنمية ، الاشتراكى إدهار بيزانى ، حول هذا الموضوع ، وبعد اجتماع مع مجموعة من البلدان الأمريكية اللاتينية ، رفضت المجموعة الاقتصادية الأوروبية ، رسميا ، التعاون مع البلدان النامية فى هذا المجال ، « إما لأنها لازالت غير مستعدة لذلك ، وإما لأنها ستصبح منافسة قوية لنا » . فكيف يمكنكم إذن أن تتحدثوا عن التضامن ؟

المساعـدة هـى السيـدا

ولا يبدى الدكتور المنجرة أى تعاطف مع المساعدة التقليدية . (AID IS AIDS) ، المساعدة هى السيدا . ما الذى يميز السيدا ، فى الواقع ؟ إنها تحطم دفاع جهاز المناعة ، وتحطم قدرات الجسم البشرى على الدفاع عن نفسه بنفسه . نفس الشئ تماما يحدث مع المساعدة للبلدان النامية .

هناك دراسات أجريت فى العديد من مناطق العالم تبين وجود علاقة مباشرة بين المساعدات المقدمة للبلدان النامية والمجاعة . فكلما تزايد حجم المساعدة المقدمة ، كلما أصبح الناس الذين نرغب فى مساعدتهم عاجزين وتابعين . إن المساعدة المقدمة للبلدان النامية تكرس وتعزز نموذجا ما فتئ يؤكد فشله باستمرار . وما دامت هذه البلدان لم تأخذ بنمط تنمية مغاير ، فإن هذه المساعدة لن يكون لها أى تأثير إيجابى ، بل إنها لن تؤدى سوى إلى الفساد .

لقد قامت المجلة الأسبوعية الأمريكية « تايم » فى فترة معينة بدراسة فى أمريكا اللاتينية ، بينت أن ٤٠ ٪ من المساعدة ومن القروض الممنوحة لهذه القارة كانت تعود إلى حسابات بنكية ، سرية ، فى الأبناك الغربية . إن المساعدة المقدمة للبلدان النامية أصبحت قضية أعمال .

ضرورة تغيير النظام

وقد بينت دراسة فرنسية أجريت بمبادرة من الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران ، بعد توليه منصب الرئاسة ، أن كل فرنك تقدمه فرنسا فى شكل مساعدة للبلدان النامية ، تحصل مقابلة على خمسة فرنكات فى شكل مبادلات . فمن يساعد من ؟ وعندما يتحدث تقرير براندت عن تحويل الموارد وهو يقصد فى الواقع المال ، أقول : إنه لم يفهم أى شئ فى المسألة .

وعندما يتحدث الاشتراكيون من ذوى النوايا الحسنة فى بلدان المجموعة الاقتصادية الأوروبية عن الزيادة فى المساعدة المقدمة للبلدان النامية، أجيبهم : أدرسوا أولا الأضرار الناجمة عن هذه المساعدة . لماذا يوجد سكان فقراء ؟ إن جوهر المشكل ذاته هو الذى يحتاج إلى حل .

إن الأمر لا يتعلق بتقديم الصدقة ، بل بتغيير مجموع النظام الدولى بشكل يؤدى إلى تقليص الاختلالات والفوارق على المستوى العالمى ، وبالتحديد ، كما حدث فى البلدان الأوروبية المتقدمة . وإذا كنتم ، كاشتراكيين ، تعطون معنى ولو محدودا للتضامن العالمى ، فينبغى عليكم أن تعملوا لصالح مثل هذا التغيير الجوهرى . هذا هو السبب الذى يدفعنى إلى مطالبتكم بمراجعة موقفكم من المساعدة المقدمة للبلدان النامية .

الكرامة

إن التنمية يمكن أن تختزل فى شئ واحد ، هو : الكرامة ، يقول الدكتور المنجرة ، والكرامة هى جزئيا ، إلى أى حد يملك الناس تأثيرا على حياتهم الخاصة ، وعلى تطور مجتمعهم . ولكنها كذلك ، إلى أى حد يمكن للناس أن يسيروا فى الشارع ، فى بلدهم ،

دون أن يخافوا من الشرطة . وهى أيضا احترام حقوق الإنسان ، وحرية التعبير .. الخ .

أين هو تضامن أوروبا الغربية فى هذه القضية ؟ فى أوروبا الغربية ، تنتهك حقوق الإنسان فى صفوف ما يسمى بالعمال الأجانب يوميا ، دون أن يتدخل أى أحد . وخلال ١٨ شهرا تمكنت مجموعة ، أنتمى إليها ، من إنشاء منظمة للدفاع عن حقوق الإنسان فى المغرب ، ولكن إقدام مجموعة من العمال الأجانب على اتخاذ خطوة مماثلة فى بلد من بلدان أوروبا الغربية ، سيؤدى لا محالة إلى ارتفاع صيحات مرائية.

وإذا قارنا لائحة البلدان التى تقدم لها المجموعة الاقتصادية الأوروبية المساعدة ، بلائحة للبلدان التى تنتهك فيها حقوق الإنسان بشكل خطير ، فإننا سنجد نسبة عالية من التطابق . ولكن من يقوم بشئ ما فى هذا المجال ؟ قد تتخذ مجموعة من القرارات داخل البرلمان الأوروبى ، ويعتبر أصحابها فيما يبدو أنهم قد غسلوا أيديهم من المشكلة ، وأنهم فعلوا كل ما فى استطاعتهم !

اللامبالاة إزاء الحروب

فى أوروبا يجرى الحديث كثيرا عن كون أننا فى طريق الدخول فى مرحلة سلمية مع الانفراج الذى تشهده مختلف مناطق العالم . ولكن حاليا يوجد ٢٢ نزاعا مسلحا تجرى كلها كما لو كان الأمر صدفة ، فى العالم الثالث ، وقد أدت إلى مقتل أكثر من ٢,٢ مليون شخص ، فى سنة ١٩٨٧ وحدها . إنها خسائر تفوق بكثير خسائر الحلفاء الغربيين خلال الحرب العالمية الثانية ـ ولكن فى تلك المرحلة كان الأشخاص الذين يموتون يتوفرون على لون آخر ..

والعديد من هذه الحروب تخاض بـ « الوكالة » ، أى لحساب القوى العظمى أو لحساب دولة أوروبية ، كما أن الصناعات المنتجة للسلاح فى هذه البلدان هى التى تكسب أموالا طائلة من خلال تزويد البلدان والحركات الثورية فى الجنوب بالأسلحة . وكل ذلك يتم فى إطار الابقاء على التوزيع الحالى للقوى والنفوذ .فلو أغفلت الدولة الفرنسية على سبيل المثال إرسال شيكات إلى العديد من مناطق العالم ، فى العشرين من كل شهر ، فإن العديد من الحكومات الأفريقية ستختفى من خريطة العالم .

وقد حذر الدكتور المهدى المنجرة رجال السياسة الأوروبيين ، من التحولات الكبرى التى سوف تحدث خلال السنوات المقبلة قائلا .

« بعد عشر سنوات ، سوف لن يعود العالم الثالث فى حاجة إلى البلدان الغنية ! ففى سنة ٢٠٠٠ ، سيوجد المسكون الحقيقيون بزمام السلطة ـ أى الأدمغة ـ أساسا فى رؤوس أشخاص يعيشون فى العالم الثالث أو ينتمون إليه . وقد لفت المركز الوطنى الفرنسى للبحث العلمى الانتباه ، فى تقرير له ، إلى كون ما لا يقل عن ٦٥٠ شخصا من أصل مغربى يرتبطون بالمركز كباحثين . كما كشفت دراسات أمريكية أن « عدد الأجانب الذين يُدَرسون فى الجامعات الأمريكية ، هو من القوة بحيث يمكن وصفه بالمثير للقلق » . وهنا يمكن بل ينبغى بطبيعة الحال أن نوجه انتقادات للمغرب لكونه لم يحسن استغلال هؤلاء الأشخاص بعد أن أنفق دافعو الضرائب ما يقارب الـ ١٥٠,٠٠٠ دولار ، من أجل تكوين كل واحد منهم . ولكن فى بلدان أخرى تحققت خطوات مهمة فى هذا المجال : فالصين والهند ، مثلا أجريا تجربتهما الأولى لشبه الموصلات (Semi-conductors) .

إن جيلاً جديدا يولد فى العالم الثالث ، وهو لن يستمر فى التحدث بلغتكم . ولم يعد هناك سوى القليل من الوقت للتكيف ، والرهان يتعلق بمستقبلكم أنتم فى العالم الغنى . أما نحن فليس لنا ما نخسره ...

بهذه العبارات أنهى البروفيسور المهدى المنجرة خطابه ...

- " الاتحاد الاشتراكى " ، ٥ مارس ١٩٨٩

- "INFORMATION", 31 - 01 1989, Copenhagen

- POLITIKEN,14 - 1- 1989, Copenhagen

- " ALMAGHRIB", 22 - 02 - 1989, Rabat.

الفرنكفونية والعلاقات الدولية *

الكتاب الذى أقدمه اليوم ، والذى يحمل عنوان « المغرب العربى والفرنكفونية» يمكن ـ فى اعتقادى ـ أن تتم قراءته بعدة طرائق ، ولكن أعتقد أنه من الضرورى أن أقدم توضيحا يتعلق بالسياق الذى ولد فيه .

فهو ليس كتابا يتناول اللغة الفرنسية ، ولا الثقافة الفرنسية ، فى حد ذاتها ، بل هو كتاب يتموضع فى مستوى دراسة العلائق الدولية ، فمنذ سنة ١٩٨٦ ظهر نوع من اللقاء السنوى يطلق عليه اسم « القمة الفرنكفونية » ، وقد عقد مؤتمر القمة الفرنكفونية الأول فى فرنسا ، بباريس ، فى فبراير ١٩٨٦ . وهنا ينبغى التمييز بين مؤتمر القمة الفرنكفوني ، والمؤتمر الفرنسي ـ الإفريقى،(مثل الذى عقد مؤخرا بالمغرب) ، وهو مؤتمر سابق للمؤتمر الفرنكفونى . فالمؤتمر الفرنسى ـ الإفريقى هو مؤتمر تلتقى فيه فرنسا مع مسئولى بلدان كانت تتحمل فى الماضى مسئولية علاقاتها الدولية ، أى المستعمرات السابقة ـ بلدان فرانكفونية أخرى . أوروبية ، مثل بلچيكا واللوكسومبورج ، كما يضم كذلك الكيبيك وقد حدث مشكل كبير ـ على مستوى العلاقات الدولية ـ حول ما إذا كان من حق الكيبيك أن تمثل فى مؤتمر دولى ، وذلك منذ عهد الرئيس شارل دوجول .

عمـل جمـــاعى:

إذن ، أريد أن أموضع هذا الكتاب فى إطار مؤتمر القمة الفرنكوفونية ، لأن المؤتمر الفرنكفونى الثانى عقد فى الكيبيك ، وبمناسبة انعقاد هذا المؤتمر نظم مركز العلاقات الدولية بالكيبيك مناظرة حول مستقبل هذا المؤتمر الفرنكفونى . وكان من بين الحاضرين الذين تم استدعائهم لحضوره ثلاثة أشخاص من المغرب العربى ، هم بكار

---

* ١٩٨٩ .

التوازنى ، وهو وزير تونسى سابق للصناعة والتجارة ، يتولى حاليا منصب الكاتب العام للغرفة التجارية الفرنسية ـ العربية (بباريس) ، والسيد سليمان الشيخ ، الذى كان يشغل منصب عميد جامعة الجزائر ، وهو حاليا وزير للتعليم ، بعد التغييرات الأخيرة ، بالإضافة إلى ، أنا شخصيا كأستاذ جامعى من المغرب .

وعلى إثر المناقشات التى جرت على هامش المناظرة المذكورة ، فكرنا فى تجميع أفكارنا ، حول المؤتمر الفرانكفونى أو الفرانكفونية ، وتقديم وجهة نظر مغربية حولها ، وسوف لن أتحدث هنا عن الأقسام الأخرى ، لأننى واحد من المؤلفين ، ولكننى أشير باختصار إلى أن سليمان الشيخ يوضح الطريقة التى تمت بها محاربة اللغة العربية خلال سنوات طويلة فى الجزائر ، ويقول ، بروح جد متفتحة، بأنه من غير الممكن أن نطلب من أناس أن ينسوا ، بين عشية وضحاها ، ١٣٠ سنة ، تعرض خلالها شئ حميمى بالنسبة إليهم ، وهو لغتهم الأم ، لغتهم الوطنية ، لحرب شرسة ، إلى الحد الذى جعلهم يعانون اليوم من شكل من الاستلاب الثقافى لا يرجع إلى وجود اللغة العربية ... وأطروحة سليمان الشيخ هى أنه لا يمكن الحديث عن الفرنكفونية دون التفكير فى هذه السنوات الطويلة التى تمت خلالها محاربة اللغة العربية .

الاشكالية التونسية أقل خطورة ، لأن التونسيين احتفظوا دائما بنوع من الازدواجية اللغوية ، التى تمكن الناس من الانتقال بسهولة من لغة إلى أخرى ، وهى ربما من خصوصيات بلدان المغرب العربى التى لا يعانى فيها الناس من اختلاف فى التوازن ، فهم مرتاحون تماما بلغتهم الأم ، أما الفرنسية فهى بالنسبة إليهم لغة يستعملونها كأداة ثانية ، كما يمكنهم أن يتعلموا لغة ثالثة أو رابعة ...

فيما يخص الدراسة التى ساهمت بها فى هذا الكتاب ، فهى دراسة للعلاقات الدولية ، وأكرر مرة أخرى ، أنها لا تتهم إطلاقا اللغة الفرنسية ـ التى أستعملها الآن أمامكم ـ الشئ الوحيد الذى ألح عليه ، كظاهرة من ظواهر العلاقات الدولية ، هو أنه ليست الفرنسية من جهة، بل مفهوم الفرنكفونية ، وهناك فرق كبير بين اللغة الفرنسية ، والثقافة الفرنسية من جهة ، والفرنكفونية التى يفترض أنها تضم كل البلدان التى تستعمل فيها اللغة الفرنسية ، والثقافة الفرنسية . إذا أقول ، إن مفهوم الفرنكفونية لا يمكن فصله عن سياقه التاريخى المرتبط وراثيا بالمرحلة الاستعمارية ، وكذلك بمرحلة

تصفية الاستعمار التى لا زالت لم تكتمل بعد ، وبالتحولات الإيجابية التى تحملها هذه الأخيرة (تصفية الاستعمار) على المستويين المتوسط أو البعيد .

وبالنسبة إلى ، أقول كأحد هواة الدراسة المستقبلية . بأن مستقبل اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ، فى حد ذاتها ، فى مواجهة الهيمنة الثقافيةالتى تتربص بالإنسانية ، يهمنى كثيرا ، أى أنه حتى بالنسبة لشخص يفكر فى نوع من التوازن الثقافى العالمى ، حيث ينتظر أن تصبح الأسبانية اللغة الأولى فى الولايات المتحدة قبل سنة ٢٠٣٠ ، (قد يبدو ذلك بعيدا جدا ، بالنسبة للبعض ولكن الحقيقة هى العكس تماما) ، فإذا علمنا أن نصف الولايات الأمريكية تستعمل الآن الأسبانية كلغة رسمية فى كل الإدارات وفى كل الوثائق ، وإذا أضفنا إلى ذلك وزن أمريكا اللاتينية ، ونسب النمو الديموجرافى فى أواسط السكان من أصل إسبانى ، فى الولايات المتحدة ، فإن الإسبانية ستصبح على الأقل من حيث عدد الذين يتكلمون بها ، لغة قد تكون مرة أخرى عنصرا للهيمنة الثقافية .. إذن ، ما أريد أن أقوله هنا هو أن ما سوف يحدث للغة الفرنسية أو الثقافة الفرنسية ، يكتسى أهمية كبرى، ليس بالنسبة للغة الفرنسية فى حد ذاتها ، بل بالنسبة إليها كعنصر توازن ، حتى لا يجد العالم كله نفسه مؤطرا بتيار ثقافى واحد ، كيفما كان نوعه ، سواء كان إنجليزيا أو يابانيا أو صينيا أو هنديا أو برتغاليا ...

الفرنكفونية .. واللغة الفرنسية

ما أقصده إذن هو أننى أضع جانبا اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية . لأننى أعتبر أنهما يمثلان ـ فى إطار العلاقات الدولية ـ عنصر توازن . إنهما يتيحان للناس إمكانيات متعددة للانفتاح على الثقافة العالمية ، وليس فقط على تيار واحد تتزايد هيمنته باستمرار وهو التيار الأنجلو ساكسونى .

عندما نأخذ مفهوم الفرنكفونية ، وأنا لا أتحدث هنا مرة أخرى عن اللغة الفرنسية ، بل عن الفرنكفونية ، عندما نأخذ هذا المفهوم كأساتذة جامعيين وباحثين ، فإننا نتعامل ـ كما نتعامل مع أى موضوع كان ـ انطلاقا من مقياس معروف ، وهو أننا لكى نأخذ أى موضوع بجدية ، فى العالم الأكاديمى ، فإن المؤشر الوحيد الذى نتوفر عليه هو عدد الأطروحات والأبحاث التى كتبت حوله . لأن أى موضوع جدى على صعيد

المعرفة ، يشكل ، عاجلا أو آجلا موضوع بحث على المستوى الجامعي .

يوجد في فرنسا نظام أخبار إعلامية ، يسمى تيليتيز ، يمكن استفساره بطريقة المنيتيل ، ليعطيك مواضيع كل الأطروحات التى قدمت فى كل الجامعات الفرنسية من ١٩٧٢ إلى سنة ١٩٨٧، أى طوال الـ ١٥ سنة الأخيرة ... عندما استفسرت بنك المعطيات الفرنسى هذا ، حول ما أنجز فى الجامعات الفرنسية حول الفرنكفونية ، حصلت على بحث واحد ، أنجزه طالب جزائرى يسمى محمد موكول ، وكان موضوعه : « الفرنكوفونية والعربوفونية » . وهو بحث تم إنجازه فى سنة ١٩٧٤ فى جامعة باريس السابعة . كما وجدت رسالتى دكتوراه للسلك الثالث ، الأولى من انجاز طالب يابانى - واليابانيون يفعلون كل شئ - يسمى أودايرا ، عنوانها : « وجهة نظر يابانية حول العلاقات التجارية بين اليابان والدول الفرنكوفونية » كان يريد أن يفهم ماذا يحدث . وكيف تؤثر الفرنكوفونية على السوق . أما الأطروحة الثانية للسلك الثالث ، فقد أعدها طالب إفريقى « امبوسو » حول موضوع « إفريقيا الغربية الفرنكوفونية » ، فى جامعة باريس الأولى ، سنة ١٩٨٦ ، أما رسالة الطالب اليابانى فقد قدمت فى جامعة تولوز سنة ١٩٨٤ .

تعهيــر ثقافــة ولغـــة

ما هو الدرس الأول الذى ينبغى استخلاصه من هذه المعطيات : ليس هناك أى فرنسى ، من أصل فرنسى ، فى مجموع عالم المعرفة وعالم البحث الفرنسى ، وبكل الأموال التى يتوفر عليها المركز الوطنى للبحث العلمى ، وبكل الأموال التى يمنحها عالم الفرنكوفونية من أجل تشجيع اجتماعات التجارين الفرنكوفونيين ، والرياضيين الفرنكوفونيين ، ولاعبى الجولف الفرنكوفونيين ، وكل ما شئتم من الفرنكوفونيين ، (يكفيكم أن تضعوا وراء أى شئ كلمة فرنكوفونية لتحصلوا على المال الذى تريدون من أجل تنظيم اجتماعات وتظاهرات ..) .. إذن بالرغم من كل هذه الإمكانيات ، فإننا لا نجد باحثا فرنسيا واحدا ، تكرم وتفضل باعتبار مجال الفرنكوفونية جديا بما فيه الكفاية لكى يشكل موضوعا لبحث - هذه معطيات موضوعية ، ولا دخل فيها لأى اعتبار ذاتى - والوحيدون الذين كلفوا أنفسهم عناء القيام بدراسات فى هذا المجال كانوا أجانب ، جزائرى ، ويابانى ، وإفريقى ... إذن ، المسألة لا تذهب بعيدا .

فى مجال المعرفة ، وانطلاقا من هذا المؤشر ، يمكن القول بأنهم يوجمون أدمغتنا بهذه الفرنكوفونية ، من الصباح إلى المساء ، مع برامج « إيرفى » ، و« ميدى ١ » و « القناة التلفزيونية المغربية الثانية » التى ستكون فى أغلبيتها فرنسية ، وكل هذا العالم ... ومع ذلك فإن الحقيقة ماثلة أمامنا ، صارخة ، وهى أن الناس الجديين لا يأخذونها بجدية ، بدءا من الفرنسيين أنفسهم وهذا معطى . وهذا الكتاب ، ليس نقدا للغة الفرنسية ، بل هو فى الواقع دفاع عنها ، لأنه من المؤسف حقا أن يتم تعهير (Prostituer) هذه اللغة ، الكونية ، التى ساهمت فى إغناء التراث الثقافى الإنسانى ، وأعطيت الشئ الكثير ، سواء فى مجال الأدب أو العلوم أو الطب أو الدين ... من المؤسف حقا أن يتم تعهيرها ، على المستوى الدولى ، من أجل خلق أسواق ، ومن أجل تكريس هيمنة سياسية ، ومن أجل إبقاء أناس أو رؤساء دول ، فى حكم ، ما كانوا ليستمروا فيه ٢٤ ساعة لولا الفرنكوفونية ... إننى أسمى هذا تعهيرا لثقافة ، وأنا أزن كلماتى جيدا ، واللغة، تستحق أفضل من ذلك .

وأنا أتذكر نقاشا طويلا مع الطاهر بن جلون ، فى سنة ١٩٨١ بباريس ، عبر فيه عن قلقه . وبالرغم من أنه الآن عضو فى المجلس الأعلى للفرنكوفونية ، بعد استدعائه من طرف الرئيس ميتران ، فإنه لم يغير وجهة نظره .لقد انتقد الطاهر بنجلون هذا التصنيف المرتبط بكلمة فرانكوفونية ، حيث أن تسمية شخص ما بأنه كاتب فرانكوفونى ، أو شاعر فرانكوفونى ، لا يعنى أنه كاتب فرنسى أو شاعر فرنسى . لا . هذه فئة خاصة ، إنهم فرنسيون ، أما الآخرون فإنهم كتاب فرانكوفونيون . وهو نفس ما حدث على مستوى الجامعات . ففى الماضى كان هناك تصنيف واحد . أما اليوم فهناك الفرنسيون ، ثم الأجانب الذين يأتون فى الدرجة الثانية. إنهم فئة أخرى .

هذه الحركة الفرنكوفونية ، التى يُزعم أنها تستهدف ـ فى جوهرها ـ تحقيق تقارب بين الناس ، خلقت فى الواقع حاجز بين من يستعملون اللغة الفرنسية ويساهمون فى الثقافة الفرنسية ، وهم فرنسيون ، يتوفرون على جواز سفر فرنسى ، يحمل علامة الانتماء إلى المجموعة الاقتصادية الأوروبية اليوم ، وبين الآخرين ، كل الآخرين ، الذين هم مجرد فرانكوفونيين ، تمنح لهم تارة جائزة الغونكور ، وتارة أخرى جائزة فيمينا ... وهذا شئ رائع ! .. انظروا إلى هذا التسامح الفكرى الذى يجعلنا نقبلهم بيننا . إنهم

جديرون بالتكريم . ولكن حذار ، إنهم ليسوا كتابا فرنسيين ! فالكاتب الفرنسى هو كاتب فرنسى ، وكل كاتب آخر غير فرنسى ، هو كاتب فرانكوفونى ...

إذن ما انتقده ، ليس هو اللغة الفرنسية ، لأننى استعمل هذه اللغة ، وأكتب بها ، كما أكتب بغيرها ، وأنا شديد الاعتزاز بمعرفتها ، ولن يخطر ببالى أن ننتقد لغة قدمت الشئ الكثير لتاريخ البشرية ... لقد قضيت جزءا مهما من حياتى فى التعاون الدولى ، وأعرف ما هى مساهمة الثقافة الفرنسية .. ولكننى أنتقد مفهوما سياسيا ، يكتسى طابعا استعماريا جديدا ، لا يقبل واقع تطور الأشياء ويريد التعلق بشئ نبيل مثل اللغة الفرنسية من أجل استعمالها كوسيلة للتفاوض من أجل إبقاء الوضع القائم على ما هو عليه ، ومنع التغيير فى بعض البلدان ، بل أكثر من ذلك ، استعمالها كوسيلة لمحاربة اللغات الوطنية واللغات الأم ...

لم يحدث أبدا ، بالنسبة لأبناء جيلى ، صراع فى هذا المجال ، ولم يخطر ببالنا إطلاقا - على الأقل بالنسبة لأبناء جيلى - أن هناك تعارضا بين اللغتين . الشئ الوحيد الذى كنا نعرفه هو أن اللغة العربية ، هى اللغة الأم ، هى منبع جذورنا ، والتجسيد الحى لهويتنا ، أما اللغة الفرنسية أو الإسپانية (فى المنطقة الشمالية) فهى تفتح لنا نوافذ على ثقافات أخرى .. لم يكن هناك تناقض أو تعارض على الإطلاق . هذا النقاش الذى نعيشه حاليا حول العربية والفرنسية ، هو مشكل مصطنع ، افتعله أناس يحرصون على الدفاع عن اللغة الفرنسية ، بمنطق الذى لا يقبل شريكا ... أنا أو لا شئ . الفرنكوفونية أو لا شئ . هذا غير معقول !

فى عالم الحرية هناك حد أدنى للاختيار . بالعكس ، إن معرفة لغة ثانية يمكن أن يكون أكثر إفادة ، إذا كنا نسيطر على لغتنا الأم ، إن أفضل علماء التربية فى العالم ، وهو بياجى ، الذى توفى قبل بضع سنوات ، يبين إلى أى حد نسئ إلى طفل ، إلى حدود سن السابعة ، إذا عرضناه للغتين مختلفتين مع أمه فى وسطه العائلى ، وفى المدرسة. فالشخص الذى يتكلم العربية مع أبويه ، ويذهب إلى الثانوية حيث يتعلم كل شئ باللغة الفرنسية ، يتعرض لسكيزوفرينيا (فصم) ثقافية تكتسى خطورة كبيرة . وبالمقابل فإن الشخص الذى يكتسى شخصيته أولا فى المحيط الذى يعيش فيه ، والذى يتوفر ، سواء أردنا ذلك أم لم نرده ، على نسق من القيم ، والذى يتكلم لغة ثانية أو ثالثة

أو رابعة - بعد تثبيت هذه الشخصية - يتوفر أولا على أكبر الحظوظ للسيطرة على اللغات الأخرى ، ويصبح ثانيا ، شخصا متوازنا .

استـلاب ثقـافـي

ولكن في هذا العالم الفرنكوفوني ، نعيش مع أشخاص مستلبين ثقافيا ، سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا ، والملجأ الوحيد أمامهم هو القول بأنهم مع اللغة الفرنسية أو مع اللغة العربية ، وهو نقاش زائف . لأننا لا يمكن أن نكون ضد لغة يتكلمها ٢٥ مليون نسمة* ... في هذه الحالة ما على خصوم هذه اللغة إلا أن يحملوا حقائبهم ويتوجهوا إلى حيث لا يتحدث الناس سوى تلك اللغة التي يعشقونها .. فالأبواب مفتوحة ، وهناك حرية تنقل ، في هذاالبلد ، هناك طائرات ، وأسعار خاصة ، ورحلات . فليذهبوا ... ليس هناك مبرر بالنسبة لأشخاص لا يتملكون ثقافة بلدهم ولا يشعرون بالراحة فيه ، لأن يتعلقوا بمفهوم ثقافي خاطئ ولا علاقة له بحب اللغة الفرنسية أو بالدفاع عنها ، بل بالعكس ، بهذه الوسيلة يتم تحديد مجموعة من المهمشين ، الذى يوجدون خارج السياق العام لبلدهم ، والذين لا يوجدون إلا في هذه الأوساط ، ولا يمكنهم بالتالي أن يقدموا أو يساهموا بأى شئ . وبالخصوص للغة الفرنسية ، لأنني أفضل أن أقرأ لشخص من أصل فرنسي ، يعبر عن اللغة والثقافة الفرنسية ، أكثر مما أفضل القراءة لفرنسي زائف ، اختار هذا النهج كنوع من التعويض - كما يقال في علم النفس - لأنه لم يستطع أن يكون شيئا آخر . إنني أفضل الرجوع إلى النبع . لماذا تريدون أن تفرضوا على كتابا رديئين بالفرنسية ، فقط لأنهم يعتبرون فرانكوفونيين ، وتم تشجيعهم بمنح دراسية ، ويذهبون إلى المراكز الثقافية الفرنسية ، وتفتح أمامهم كل الأبواب ... وهم في الحقيقة ، ليس فقط لا يتقنون لغتهم الوطنية ، بل حتى اللغة الفرنسية ، فنحن إذن أمام سياسة ثقافية تسئ إلى فرنسا ، لأنها لا تهدف إلى تحقيق أهداف ثقافية ، بل إنها تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية .

وإذا أردتم أن تروا إلى أى حد يمكن أن يصل التخريف أو الهذيان ، سأقدم لكم استشهادين مهمين ، في تطور ما يُسمى بالفرنكوفونية ، وهما استشهادان طريفان يمكن

* عدد سكان المغرب في ذلك الوقت .

تأطيرهما وتعليقهما فى مكان ما ، وهما صادران عن شخصين محترمين ، أولهما ليوبولد سنجور ، الذى أعرفه منذ ثلاثين عاما وهو زميلى فى الأكاديمية ، وأحد رؤساء الدول الأكثر مثالية ، لأنه عرف كيف يترك الحكم فى الوقت المناسب ، وهو شاعر قبل كل شئ ، لم يستغل السلطة من أجل مراكمة الثورة ولا من أجل أى شئ آخر .. وهذا شئ نادر ، وهو رجل أحترمه كثيرا ... ولكنه رجل حصل على التبريز فى النحو الفرنسى ، وفى اليونانية وفى اللاتينية ، وعاش خلال عدة سنوات فى سياق معين فى الجمهورية الفرنسية الرابعة ، ووجد نفسه يعين فى قمة السلطة فى بلاده من طرف قوى استعمارية - وهذا شئ أقوله أمامه - ووجد نفسه بالصدفة فى قمة بلد يعتقد أنه لا يمكن إنقاذه إلا بواسطة اللغة الفرنسية ! إنه لا يشعر بالارتياح أمام لغة « الوولوف » ولا أمام لغة « البامبارا » ولا أمام لغة « البول » بل إنه حارب تطور اللغات الأم الأفريقية .

لقد عملت باليونسكو خلال سنوات ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ ، وكنت مضطرا للطواف على مجموع القارة الأفريقية لكى أجد بلدا يقبل استضافة اجتماع حول اللغات الأفريقية الأم ... ، قضية علمية ! . كل الناس فى الحكومات كانوا خائفين ، وقد اضطررنا لعقد الاجتماع فى الكاميرون ، لأن هذا البلد كان فى ذات الوقت بلدا فرانكوفونيا ، وانكلوفونيا ! ..

ولكن أى مساس بفرنسا كان يمثله الذهاب عند سنجور لتنظيم مناظرة حول اللغات الأفريقية الأم ؟!

على كل حال ، سنجور - وربما كان علينا أن نغزو ذلك إلى اندفاعاته الشعرية - عرف الفرنكوفونى بهذه الجملة ، التى تستحق فعلاً أن تحلل ، ليس من طرفى ، بل من طرف محللين نفسانيين ... يقول سنجور معرفا الفرانكوفونية :« الفرنسية (ونحن هنا أمام إسلوب سنجورى صرف ، وسوف ترون كيف ينتقل من المفرد إلى الجمع) ، هم الأرجونات الكبرى الأكثر عنوية ، مثل إبراقات العاصفة . مثل نوبات الناى فى غابات الطام طام ، إن الكلمات الفرنسية تشع من ألف نار ، مثل شهب تضئ ليلنا » .

من حق السيد سنجور أن تكون له أرائه الخاصة ، ومن حقه أن تكون له اندفاعاته

الشعرية ، ولكن عندما نتحدث عن لغة ، وخصوصا إذا كان الأمر يتعلق بشخص حاصل على شهادة التبريز فى النحو الفرنسى ، وبالنسبة لشخص ليس غريبا عن السيميولوجيا واللسانيات ، عندما نصل إلى هذه المستويات فى التعبير والتدقيق ، نبدأ فى التساؤل عن طبيعة الشخص المعنى ! ..

هناك استشهاد آخر ، وهو هذه المرة لشخص فرنسى ، هو « كزافى دونيى » الذى يتحدث عن الفرنكوفونية فيقول إنها مفهوم يمكن نعته بالصوفية (أو الروحانية) mystique ! ـ إنها الصوفية إذن ، ولو تحدث شخص آخر عن نفس الشئ لاعتبر من الإخوان المسلمين أو من المتطرفين ! ـ « هذا الموقف يتميز بإجلال كبير للغتنا » . وبعد ذلك يقول : « إن اللغة الفرنسية تحظى بإجلال كبير فى العالم ، وهذه اللغة تتوفر على نوع من التفوق إزاء كل اللغات المستعملة فى العالم » ! .. هذا الكلام كتب سنة ١٩٨٣ ، فى سلسلة « ماذا أعرف ؟ » (التى تصدرها المنشورات الجامعية الفرنسية PUF) ، فى كتاب يحمل عنوان « الفرنكوفونية » لـ « كزافيى دونيى » !

كيف يعقل أن يكتب شخص فى سنة ١٩٨٣ ، مثل هذا الكلام ، الذى يكشف عقدة تفوق تعبر فى الحقيقة عن مركب نقص ، كيف يعقل أن يكتب أن اللغة الفرنسية متفوقة على اللغات الأخرى ؟! هذا هو المرتكز الحقيقى للفرانكوفونية . إنها مفهوم أو تصور خاص بمرضى ـ وأنا أزن هنا كلماتى جيدا ـ وفى حالة هذا الفرنسى الذى يكتب هذا الكلام فى سنة ١٩٨٣ ، آخذ فقط المنشورات الصادرة فقط فى نفس السنة ، أنظر فقط إلى منشورات المركز الوطنى للبحث العلمى فى فرنسا (CNRS) ، زبدة فرنسا . ماذا أجد ؟ أجد أن ثلثى منشورات المركز كانت بالإنجليزية خلال هذه السنة ! فكيف حدث أن هذه اللغة « المتفوقة » لا يكتب بها باحثان من ثلاثة ، فى فرنسا ؟! إن هؤلاء الباحثين مضطرون ، أولا لكى يتم الاعتراف بهم فى فرنسا ، لأنهم إذا لم ينشروا فى الفيزياء أو الكيمياء أو البيولوجيا أو علوم الفضاء أو المواصلات أو الروبوتيك ... فى مجلة إنجليزية ، فإن الفرنسيين أنفسهم لن يأخذوا أعمالهم مأخذ الجد !

إذن ، فهؤلاء العلماء يجبرون على استعمال لغات أخرى أكثر تقدما . وكيف تريدون فى عصر ، تظهر فيه كل سنة ٤٠ ألف كلمة جديدة فى اللغة العلمية ، ٤٠ ألف كلمة ، أى أكثر من عدد الكلمات الموجودة فى « لاروس » ! أن نقبل مثل هذا الكلام . فى الوقت

الذى نعلم فيه أن الأكاديمة الفرنسية تقضى سنة كاملة فى البحث عن تسع كلمات ؟!

أنا لا أقول أن اللغة الفرنسية أقل قيمة من اللغات الأخرى .. فقد بدأت عرضى هذا بالدفاع عنها . ولكن أن يصل هذا الدفاع إلى حد القول بأنه لا يوجد شئ آخر غيرها ، إنها لغة تحظى بنوع من الإجلال ، وأنها لغة صوفية أو روحانية ! فمعنى ذلك أننا أمام أناس يمكن القول ، بالرغم من أننى لست طبيبا نفسانيا ، أنهم يستحقون علاجا نفسيا . فنحن نتحدث عن أشياء جدية . عن لغة ، وثقافة ، بل عن مستقبل هذه اللغة وهذه الثقافة ... ولكن الأمر يتحول إلى نوع من الأپاراتايد : ليس هناك إلا الفرنسية ، ولا شئ آخر غيرها !

أكتفى بهذين الاستشهادين ، مع أنه يمكننى أن أقدم لكم فقرات للسيد بورقيبة الذى أطلق الفرنكوفونية ، أو السيد حمانى الديورى ... ولكن يكفى أن ننظر إلى ما يحدث لكل الذين يفعلون ذلك ... فهم يستمرون فى مواقعهم طالما استمرت الفرنكوفونية ، التى تدافع عنهم ، وليس عن ثقافة ، وسأقدم لكم الأرقام فيما بعد ، لتعرفوا السبب . وتعرفوا الوسائل المتطورة ـ والعمياء فى ذات الوقت ـ التى استعملت للدفاع عن المواقع فى هذه البلدان ، بالخروج من الباب والدخول من النافذة ، تحت شعار الفرنسية والفرنكوفونية . وعندما تفتح فمك بملاحظة تنعت بقصر النظر ، وبالوطنية المتطرفة ، وغيرها من النعوت ... وهذا غير صحيح ، إننى اعترض على ذلك ، أنا مستعد للدفاع عن اللغة الفرنسية ، فى استعمالها ، وفى اتقانها ، وفى منشوراتها .. ولكن مع أشخاص من أصل فرنسى ، ولا يمكننى أن أهاجم لغة أعطتنى ـ إلى جانب لغات أخرى ـ الشئ الكثير . ونحن نقول هنا فى المغرب : « اللى عندو باب واحد الله يشدها عليه » . فلماذا تريدون الحكم على الناس باستعمال باب واحد ؟ ولماذا تحددون هذا الباب بشكل قبلى ، باعتباره فقط اللغة الفرنسية ؟

لن أتحدث عن التأخر التكنولوچى فى فرنسا، للغة الفرنسية . كل المهندسين ، وكل رجال المعرفة فى فرنسا وفى المواصلات وفى البيوچينيتيك وكل العلوم المتطورة ، يعرفون أن فرنسا تعانى من تأخر يتراوح ما بين ١٠ و ١٢ سنة ، كحد أدنى . وأنها تحتاج إلى خمس سنوات لنشر آخر المنشورات العلمية الإنجليزية ، ولذلك يتوجه الناس مباشرة إلى الإنجليزية ولا ينتظرون قراءة هذه الأبحاث مترجمة .

إذن ينبغى أن نعرف حقيقة الموضوع . ويكفى أن ننظر إلى الأشخاص المجتمعين فى إطار هذه الفرنكوفونية لكى ندرك كل شئ . إنهم كل الأشخاص الذين قاموا بالخدمة الاستعمارية ، وكل قدماء ما وراء البحار ...

وما دام المجلس الأعلى للفرنكوفونية ، الذى يرأسه السيد فرانسوا ميتران قد عقد بالأمس أو أول أمس ، هل تعرفون أن جميع الكتاب الكبار الذين يضمهم هذا المجلس ليسوا من أصل فرنسى ؟ هناك كتاب بلچيكيون كبار وكتاب كنديون كبار وكتاب لوكسمبورجيون كبار وهناك كاتب مغربى كبير هو الطاهر بنجلون .. ولكن هل يتفضلون ويتكرمون باستدعاء كاتب حقيقى كبير ، من أصل فرنسى ، للمشاركة فى المجلس الأعلى للفرنكوفونية ؟ أبدا ... فليستدعوا السيد موريس نوريان ، وليطلبوا منه المشاركة فى المجلس الأعلى للفرنكوفونية ! ليطلبوا ذلك من السيد جان دورمسيون ، ليطلبوا ذلك من كل الأسماء التى تمر فى « ابو ستروف » .. ليطلبوا منهم المشاركة فى المجلس الأعلى للفرنكوفونية ؟ إنهم سيعتبرون ذلك إهانة لهم .. لأنها تعنى تصنيفهم ضمن كتاب الدرجة الثانية . وهم أناس تعودوا على الدرجة الأولى ! فاللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية ، هم الفرنسيون أولا . صحيح أن هناك أجانب يفهمونها جزئيا ، وينبغى أن نبحث لهم عن شئ يؤطرهم و « يحميهم » ولكن اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية تهم الفرنسيين أولا ! ..

سأنهى عرضى بملاحظة أساسية ، نفس الرئيس ميران - حسب صحيفة « لوموند » الصادرة أمس (٩ فبراير ١٩٨٩) - نفس الرئيس الذى استدعى المغنى « تورى كوندا » صرح قائلا « إننى أهيم بكل الفولكلور الذى يساير الفرانكوفونية » ! .. إذن ينبغى أن يكون هناك رسام فرانكوفونى ، ومغنية فرانكوفونية، ولم لا راقصة بطن شرقية فرانكوفونية ... رياضى فرانكفونى !..

وأريد بالمناسبة شخصا يفسر لى ، ونحن على أبواب احتضان ما يُسمى بالألعاب الفرانكوفونية فى بلادنا ، الفرق بين سباق ٤٠٠ متر حواجز فرانكوفونى ، وآخر انكلوفونى ، وثالث عربوفونى ، ورابع ساكسوفونى ، أريد أن أعرف الفرق .. ما هى العلاقة بين الرياضة والفرنكوفونية ؟ منذ متى كانت هناك علاقة بين مفهوم الرياضة ، الذى يرجع إلى الألعاب الأولمبية ، التى يعود تاريخها إلى ما قبل ثلاثة آلاف سنة ،

ومفهوم حديث مثل الفرنكوفونية ؟! .

إننى أؤكد لكم ـ وأنا لا أسخر هنا ـ أنه إذا قام شخص ما غدا بالدعوة إلى عقد اجتماع لبائعى رافعات النهدين الفرانكوفونيين ، أو حمالات البنطلونات ، فإنه سيحتل مرتبة ، وسيحصل من الغرفة التجارية الفرنسية ومن المركز الثقافى الفرنسى ، على مبالغ من المال مخصص لهذا الغرض ! فسواء كنت نجارا أو حلاقا أو أى شئ آخر ، يكفى أن تضيف كلمة فرانكوفونية إلى التظاهرة التى تعتزم تنظيمها لكى تحصل على المال الذى تريده !..

لماذا نتطوع نحن لتنظيم هذه الألعاب الفرنكوفونية ؟.. يمكننى أن أفهم « ألعاب البحر الأبيض المتوسط » لأن الأمر يتعلق هنا بجهة أو منطقة ، يمكننى أن أفهم « الألعاب الأوروبية » أو « الألعاب الأسيوية » أو « الألعاب اللاتينو- أمريكية » أو « الألعاب الأفريقية » الخ ... ففى ألعاب البحر الأبيض المتوسط يشارك رياضيون من الضفتين الشمالية والجنوبية للبحر المتوسط ، وهذا شئ قائم ، فالمغرب دولة متوسطية ، شأنه فى ذلك شأن فرنسا أو اليونان ، وفرنسا دولة متوسطية ، شأنها فى ذلك شأن الجزائر أو تونس أو مصر .. فلماذا يريدون ـ فجأة ـ تعهير (Prostituer) (وأكرر الكلمة . وسأكررها مئة مرة) شئ فى مثل جمال اللغة الفرنسية ، وفى مثل جمال هذه الثقافة التى أعطت الشئ الكثير للإنسانية ، إنزالها إلى مستوى الحانوتى أو البقال أو الشخص الذى يعمل فى سوق البراغيث (الذى تباع فيه السلع القديمة الرخيصة ، التى تكثر فيها البراغيث مبدئيا) ، والذى يحاول بكل الوسائل بيع البضاعة ... إنه شئ محزن ، فعلا . وأنا أكرر أن تحليلى هو تحليل باحث فى العلوم السياسية وفى العلاقات الدولية .

إذن ماذا قال السيد ميتران ، بعد أن غنى السيد تورى بطبيعة الحال ، فى الإليزيه ؟ قال السيد ميتران : « إن الفرنكفونية ليست هى فقط اللغة الفرنسية » . والذى يتكلم هنا هو الشعور الباطن . رئيس الجمهورية الفرنسية ـ يقول ـ (انظر صحيفة لوموند الصادرة بتاريخ ٩ فبراير ١٩٨٩ ، الصفحة ٢) « الفرنكوفونية ليست فقط اللغة الفرنسية » . إذن فهى اللغة الفرنسية ، زائد ... ماذا ؟ ويضيف : « لا يمكن ولا ينبغى فرض سياسة لغوية » ، لكنه يضيف فى ذات الوقت : « إذا لم نتوصل إلى الاقتناع بأن الانتماء إلى العالم الفرانكوفونى ، سياسيا ، واقتصاديا وثقافيا ، يمثل إضافة ، فإننا

سنكون قد فشلنا في العمل الذي بدأناه منذ عدة سنوات » .

إذن لكي تنجح الفرنكوفونية ، ينبغي أولا أن لا تكون « هي اللغة الفرنسية وحدها » ، وينبغي أن لا تكون فقط مجرد مشروع ثقافي ، بل ينفي أن تكون مشروعا سياسيا واقتصاديا .. الذي يقول هذا ، ليس أنا ، بل رئيس الجمهورية الفرنسية الذي صرح بذلك أثناء حفل الاستقبال الذي نظمه بالإليزيه ، قبل ٤٨ ساعة . وقبل أن آتي إلى هنا تكلمت مع الطاهر بن جلون ، بواسطة الهاتف ، وسألته ـ باعتباره عضوا في المجلس الأعلى للفرنكوفونية ـ قائلا : « لقد قرأت هذه الجمل في صحيفة « لوموند » ، هل يمكنك أن تؤكدها لي ، فقال : نعم ، لقد قال ذلك .. بل إنه قال أكثر من ذلك ... » .

قد استعملت جهازي الآلي ، لجمع بعض الأرقام ، التي لم تجمع من قبل ، وسأقدم بعضا من هذه الأرقام ، دون الدخول في التفاصيل ، لكي أبين لكم إلى أي حد يمكن اعتبار الفرنكوفونية أكثر من كوميديا ، وأنا ، بالمناسبة ، مولع بالكوميديات ، ومن منا لا تعجبه كوميديا لبيزانديللوا ، أو دانتي ، أو شكسبير ، أو كوميديا البولفار .. ولكن الأمر هنا يتعلق بكوميديا ، لا نستدعي الناس لمشاهدتها من أجل إضحاكهم ، بل من أجل الضحك عليهم أو السخرية منهم ! .. وفي الحقيقة عندما نسخر من الناس ، ماذا يحدث ؟ يحدث أننا في النهاية نسخر من أنفسنا .

إذن سأقدم لكم بعض الأرقام باختصار :

هذا العالم الفرنكوفوني ، الذي نظم القمة الفرنكوفونية التي انعقدت دورتها الأولى بباريس في سنة ١٩٨٦، وانعقدت دورتها الثانية بالكيبيك في سنة ١٩٨٧ ، توقعت في هذا الكتاب أن آخر قمة له ـ إذا قدر لها أن تنعقد ـ ستكون هي قمة دكار ، التي يشرف السيد عبدو ضيوف ، بكل « عظمته » الجسدية والسياسية ، حاليا ، على التحضير لها ، بكل الاحتياطيات الأمنية التي ينبغي عليه اتخاذها . فبعد الانتخابات المزيفة التي أجراها ، وبعد إطلاقه رصاص المدافع الرشاشة على أطفال المدارس ، وبعد إضاعته لسنة بيضاء لطلبة الجامعات ، يجرؤ على تنظيم قمة فرانكوفونية ! .. كل ما أتمناه له هو التوفيق في مهمته الشاقة ! ..

وحتى لو انعقدت هذه القمة ـ بكل ما تتطلبه ، بطبيعة الحال ، من حضور ومن

مساعدة أمنية ضخمة ، للتأكد من حسن إقامة رؤساء الدول ، ونحن نعلم أن هناك ناسا يتوفرون على تجربة مهمة فى هذا الميدان - حتى لو انعقدت هذه القمة ، فإننى أؤكد - وأنا مستعد للمراهنة على ذلك - أنها ستكون القمة الأخيرة . إنه مفهوم غير قابل للإستمرار . لماذا ؟ ها هى الأرقام .. (هناك نيازك des étoiles filantes) أو أشياء تستمر لمدة سنة أو سنتين ، أشياء عابرة.. وهذا يلائم العديد من الناس ، إنى لا أنتقد فرنسا ، بقدر ما أنتقد مفهوم يساهم فى تأخير التحولات فى القارة التى أعيش فيها ، فإذا كانت أفريقيا تعانى من التأخر ، وتموت من الجوع ومن الأوبئة فإننى أقول بأن أحد أسباب ذلك هو الفرنكوفونية .. لأن هناك نخبة فى الحكم ، منفصلة تماما عن حاجيات السكان . هناك بلدان فى القارة الأفريقية ، إذا لم يدفع فيه المكلفون أجور الموظفين ، فى نهاية الشهر ، بدءا من الدرك ، والعسكريين ورجال الجمارك ، بل والوزراء أنفسهم الذين يأخذون مرتباتهم فى نهاية الشهر ، حتى وأن كانت خزائن الدولة فارغة لأن الأموال التى كانت موجودة فيها قد حولت إلى حسابات بنكية خاصة فى سويسرا ! وإذا وقع أقل تحرك ، فإن الجيش الفرنسى موجود ، بكل قواعده العسكرية ، على أهبة الاستعداد للتدخل ...

هذا هو ما أرفضه ... أن يتم استغلال لغة من أجل تكريس وضعية .. وفى نهاية الأمر تكريس سوق . نعم ، سوق . وهذا هو - بعد البعد السياسى - البعد الاقتصادى للمفهوم .

أحد الفرنسيين من الذين لا يمكن الشك فى نزاهتهم الفكرية ، وهو بورتولو ، استدعاه ميتران بعد وصوله إلى قمة السلطة فى فرنسا ، وهو حاليا الرجل الثانى فى مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة من أجل التنمية (CNUCED) ، فى چنيف ، كان ممكلفا بمركز التوقعات والتخطيط فى فرنسا ، ووضع تقريرا يُسمى « تقرير بورتولو » بين فيه أن فرنسا تحصل مقابل كل فرنك من المساعدة العموميةالتى تقدمها (لأولئك المساكين التعساء الموجودين هناك! ..) على ستة فرنكات من التجارة ! .. هذه ليست أرقامى ، بل هى أرقام تقرير بورتولو ، المنشور من طرف مركز التوثيق الفرنسى التابع للجمهورية الفرنسية ..

إذن إلى متى يستمر الحديث عن المساعدات ؟ .. إن الأمر واضح ، ومن المؤكد أن هناك طبقة معينة تضمن استمراريتها عن طريق الفرنكوفونية . إنها تستمر بفضل الفرنكوفونية لأنه يتم الإبقاء عليها فى السلطة ، وتقدم لها المساعدات الاقتصادية ، بل يتم الانفاق عليها .. ولا يهم ما تفعله هذه الطبقة.. فهو دائما جيد .. لم يحدث أبدا أن انتقدت الانتهاكات التى تتعرض لها حقوق الإنسان فى أفريقيا ! لا حديث دائما إلا عن إسپانيا فى العهد الفرانكوى ، أو الاتحاد السوفيتى .. أما ما يفعله رؤساء الدول فى أفريقيا ، سواء فى الجابون أو النيجر أو السنغال . أو غيرها ، فهو ممتاز ، وليس هناك ما يقال عنه .. أنهم « أصدقاؤنا » أتركوهم وشأنهم ! ..

هذا غير معقول . عندما ندافع عن مفاهيم كونية، ينبغى أن ندافع عنها فى كل مكان وبنفس الطريقة ، عندما تتخذ مبادرات للدفاع عن حقوق الإنسان ، ينبغى أن ندافع عن الإنسان كإنسان ، لا عن السيد « س » أو السيدة « ج » أو « د » تحت ستار الفرنكوفونية . إنها ليست مفهوما للتضامن الإنسانى .. ولا علاقة لها بالثقافة الفرنسية ، التى هى أسمى من ذلك .

والآن سأختتم عرضى ببعض الأرقام :

كل هذا العالم ، ما هو؟ إنه ٣٥ دولة ، تضم ما مجموعه ٢٩٠ مليون نسمة . وعندما آخذ هذه البلدان الـ ٣٥ المشاركة فى القمة الفرنكوفونية - وأنا أعتمد هنا على إحصائيات البنك الدولى ، حول السكان - فأجد أن ناظمى الآلى يعطينى ما يلى : ٣٥ بلدا ، مجموع السكان ٢٩٠ مليون نسمة .

وهذه البلدان الـ ٣٥ تمثل تقريبا خمس أعضاء الأمم المتحدة ، ولكنها على مستوى السكان تمثل نسبة أقل بكثير ... لماذا ؟ لأن هذا العالم الفرنكوفونى هو الأكثر بلقنة . فقد عملت القوى الاستعمارية على تجزئة هذه البلدان ، إلى كيانات لا يتجاوز مجموع سكان بعضها الستين ألف نسمة ! .. فى حين أن المجموعات الحقيقية أو الأصلية كانت أكبر من ذلك بكثير . لقد حرصت القوى الاستعمارية ، قبل مغادرة هذه البلدان ، على تجزئتها ، حتى لا تتوفر على الكثافة الضرورية لتطورها ، وحتى تبقى تابعة طوال ما تبقى من حياتها .

إذن السمة الأولى للعالم الفرنكوفونى هى أنه عالم دويلات صغيرة (micr états) ، فهناك باولو ، وساموا ، إلى جانب أسماء أتحداكم أن تجدوها فى أطلس للجغرافيا ، اللهم إلا إذا استعملتم عدسة مكبرة ! ولكنها موجودة هنا ـ كبلدان أعضاء تساهم فى « إغناء » الفرنكوفونية ، التى تتطور فى الكاريبى !

هذه هى الملاحظة الأولى حول السكان .

الملاحظة الثانية ، حسب المصادر لهذا المجلس الأعلى للفرنكوفونية ، هى أنه من بين هؤلاء الـ ٢٩٠ مليون نسمة ، فإن عدد الذين يتكلمون اللغة الفرنسية لا يتجاوز ـ حسب آخر تقرير صادر عن هذا المجلس فى سنة ١٩٨٨ ـ ٩١ مليون نسمة ! .. هذا هو العدد الإجمالى للأشخاص الذين يتكلمون اللغة الفرنسية ، فى الكرة الأرضية .. لست أدرى أن كان هناك من يتقن اللغة الفرنسية ، فى القمر أو فى المريخ أو الزهرة ، ولكن الذين يتكلمون الفرنسية فى الكرة الأرضية لا يتجاوزون حسب المصادر الفرنسية ـ ٩١ مليون نسمة ! .وهذا يمثل ١,٩ ٪ من سكان العالم .

ولكن علينا أن ننتبه ، لأن المجلس الأعلى للفرنكوفونية وضع معيارا ، فهناك الفرنكوفونيون الذين يتمثلون فى ماسحى الأحذية الذين يقولون لك « ميرسى » بعد حصولهم على « أجرة » « عملهم » ... هؤلاء يعتبرون أشخاصا يتكلمون الفرنسية .

ولكن هناك مفهوم آخر يخص الذين يتقنون اللغة الفرنسية ، ودائما حسب نفس المصدر فإن ٦٢ مليون فقط ، (من مجموع الـ ٢٩٠ مليون نسمة الذين يصنفون ضمن الفرنكوفونيين) ، يتقنون اللغة الفرنسية ! ... أى ١,٤ ٪ من سكان العالم .

ولكن علينا أن ننتبه ! فضمن هؤلاء الـ ٦٢ مليون ، ماذا نجد .... هناك فرنسا ، حيث نجد الفرنسيين ، ٤٥ مليون شخص يتقنون اللغة الفرنسية (هناك ٥ ملايين أجنبى لا يحسبون ضمن هذا العدد) .. وهناك كندا .. وبلچيكا .. وعندما نجمع فرنسا ، وكندا ، وبلچيكا ، نصل إلى ٥٣ مليون نسمة ! فماذا يبقى للإنسانية من الأشخاص الذين يتقنون اللغة الفرنسية ؟ ـ ودائما حسب المصادر الفرنسية ـ : ١٠ إلى ١٢ مليون شخص !! ..

أليس من المضحك ، بل من المثير للسخرية ، أن تثار كل هذه الضجة فى ٣٥ دولة ، حيث يجد كل واحد اتباعه بفضل الفرنكوفونية، ويحصل على ما يريد لأنه من النخبة..

من أجل ١٠أو ١٢ مليون نسمة ، من مجموع ٢٩٠ مليون ممن يسمون بالفرنكوفونيين ، وهو عدد لا يتجاوز ٦ ٪ من السكان الإجماليين للعالم الفرنكوفونى ! ..

ومع ذلك يتم الحديث عن هذه الفرنكوفونية كما لو تكن أى شئ ! وأنا أتحدث هنا بلغة الأرقام ، ولا أقدم سوى الأرقام الرسمية .

والآن وقد وجدنا أن هناك ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ملايين من الفرنكوفونيين ، لنرى شيئا آخر ضمن هؤلاء الـ ٢٩٠ مليون نسمة .. قد يكون من المهم أن تعرفوا أن من بين هؤلاء يوجد ١١٠ مليون مسلم ، يكفى أن تضع مجموع سكان مصر - ٥٥ مليون نسمة - إلى جانب سكان المغرب (أما الجزائر فإنها لا تحسب ، لأنها لم تشارك فى القمة الفرنكوفونية) ، لتجد نفسك أمام عالم فرنكوفونى ، يدافع عن اللغة الفرنسية ، فى الوقت الذى لا يوجد فيه سوى ١٢ مليون شخص يتقنون اللغة الفرنسية ، فى حين أننا نجد فى نفس هذا العالم : أولا ١١٠ مليون مسلم ، أى ٣٦ ٪ من مجموع العالم الفرانكوفونى ، ونجد ثانياً ، ٨٠ مليون من الناطقين بالعربية فى هذا العالم الذى يُسمى بالعالم الفرنكوفونى .

ويمكن أن أذكر أسماء هذه البلدان العربية ، وأبدأ بمصر ، التى دخلت فى المجموعة الفرنكوفونية ، ولست أدرى لماذا ؟ ربما لأنها قوطعت من الجامعة العربية . نفس الشئ بالنسبة للمغرب الذى دخل إلى عالم الفرنكوفونية ربما لأنه انسحب من منظمة الوحدة الإفريقية ! .. هذا هو السبب الوحيد فى اعتقادى .. فعندما خرجت مصر من الجامعة العربية ، ربما كانت الوسيلة الوحيدة التى تمكنها من اللقاء مع الأفارقة هى الدخول فى الفرنكوفونية . والمغرب - وهذه عملية جد ذكية اهنئ المسئولين عن السياسة الخارجية عليها - عندما غادر منظمة الوحدة الإفريقية لأسباب تهمه ، وهى أسباب احترمها كل الاحترام ، بحث عن وسيلة تمكنه من اللقاءات مع كل رؤساء الدول الإفريقية - بالرغم من مغادرته لمنظمة الوحدة الإفريقية - ولم تكن هذه الوسيلة شيئاً آخر سوى الفرنكوفونية .

هذه هى أسباب تواجد بلدان ، مثل مصر والمغرب ، فى إطار القمة الفرنكوفونية ، ولكن الواقع هو أن هناك ٨٠ مليون شخص ناطق بالعربية ، ومع ذلك يسمى هذا عالم الفرنكوفونية ! ولو كنت فرنسيا لقلت :حذار ، إنها أكثر من معجون أفيون . لو حملنا

هؤلاء الناس على محمل الجد ، فإننا سنسقط فى شرك ، لأننا نمثل أقلية ضمن هذا التجمع ! وغدا أو بعد غد سيتفوقون علينا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.. وفى نفس الوقت ، ما هو الموقف الذى نجده ، فى فرنسا إزاء أولئك العمال المهاجرين الموجودين هناك ؟ أليس هؤلاء العمال إخوة لنا فى الفرنكوفونية ؟ ألسنا متضامنين معهم فى الفرنكوفونية ؟ حيث نقتل واحدا منهم كل ثلاثة أو أربعة أيام ... !

لا يمكن أن يكون هناك تناقض إلى هذا الحد .. تناقض فى الأرقام ، أن نكون أقلية وندعى بأن باقى العالم معنا ، وأن اللغة الفرنسية هى الأكثر تطوراً فى العالم ! .. فى ذات الوقت الذى تواجه فيه مثل هذه الأرقام ، وسأكتفى بالحديث عن بلد واحد ، هو مصر ، التى يمثل مجموع سكانها ، لوحدهم ، حوالى ٢٠ ٪ من مجموع سكان العالم الفرنكوفونى ، أى أن واحدا من خمسة من العالم الفرنكوفونى ، مصرى الجنسية .. كم هو عدد الأشخاص الذين تعتبرهم الإحصائيات الرسمية (للمجلس الأعلى للفرنكوفونية) ، فرنكوفونيين ؟ أى الذين يستطيعون أن يبيعوا جريدة أو يمسحوا حذاء أو يسلموك مفتاح غرفة الفندق أو يقومون بمهمة الدليل السياحى ، بفرنسية مكسرة.. حتى هؤلاء لا يمثلون سوى ٤ , ٠ ٪ من السكان المصريين ! كم هو عدد المصريين الذين يتقنون اللغة الفرنسية - حسب الإحصائيات الفرنسية - من مجموع السكان المصريين الذين يصل عددهم إلى ٥٥ مليون نسمة ؟ ٢ , ٠ ٪ .. ومع ذلك فإن السيد بطرس غالى ، وزير الدولة للشئون الخارجية ، يأتى لتمثيل مصر فى مؤتمر القمة الفرنكوفونى - وينبغى الاعتراف هنا بأن مبارك لم يتجشم أبدا عناء التنقل لحضور هذه المؤتمرات - ولا شك أن للسيد بطرس أسبابا أخرى للقيام بذلك ، وأنا لا أريد هنا أن أهاجمه ، ولكننى أعرفه ، كباحث منذ سنوات .. وقد « بحث » ونجح فى الحصول على منصب وزير للخارجية ، وهذا شئ جميل جدا ! ولكنه يحاول الآن إنشاء جامعة فرنكوفونية مع موريس نرويان وغيره .. فى بلد لا يتعدى عدد الأشخاص الذين يتقنون فيه اللغة الفرنسية ٢ , ٠ ٪ من مجموع السكان ! ... ومع ذلك لايخجلون من إظهار العلم المصرى ضمن أعلام البلدان الفرنكوفونية ، وسوف ترون ذلك فى المؤتمر المقبل - إذا انعقد ، وأتمنى أن لا يحصل ذلك - فى دكار ، حيث سيرفع العلم المصرى باعتبار هذا البلد جزءا من العالم الفرنكوفونى بالرغم من أن ٢ , ٠ ٪ فقط من سكانه يتقنون اللغة الفرنسية !

عندما نصل إلى هذا المستوى من التفاهة ـ وهذا المستوى من التفاهة لا يرجع إلى ـ لأن الجزء الخاص بى فى الكتاب لا يتضمن سوى الأرقام ، وأنا أنصحكم بعدم قراءته ، لأنه متعب جدا ، وستجدون فيه إحصائيات وأرقاما فقط ... ولكننى أحب أن أتكلم انطلاقا من الأرقام ، وعندما تكون الأرقام إلى جانبى فإننى أسمح لنفسى ، على غير العادة ، باستعمال اللغة التى أريد ، ويمكنكم أن تنسوا لغتى ، أو تفسروها بطريقتكم الخاصة، ولكن عودوا إلى هذه الأرقام ..

إن الرهان الذى تواجهه اللغة الفرنسية هو رهان جدى ، وهذا يهمنى ، وأنا أؤكد أنه إذا استمرت فرنسا فى هذه السياسة ، فإنها ستعمل فعلا على تهيئ مستقبل ، ليس هو المستقبل الذى تستحقه اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية .. وصدقونى إذا قلت لكم بأنها صرخة حب من أجل هذه اللغة وهذه الثقافة .. ولكن ينبغى أولا أن نعرفهما بما فيه الكفاية ، لكى ندرك أنهما غير قابلين للتقليد ، وأننا مهما حاولنا ، كمغاربة ، لا يمكننا أبدا ، أن نتقن اللغة الفرنسية ، مثل الفرنسيين ـ وعندما أقول يتقن اللغة ، فإننى لا أقصد امتلاكها بواسطة الذاكرة ، لأننا نتكلم لغة بواسطة المعدة ، والهيئة ، والبشرة ، والعينين ، والشعر ، والرئتين ـ فإنه سيكتشف لا محالة أن ذلك مستحيل ، اللهم إلا إذا أراد أن يسقط فى نوع من المحاكاة المطلقة ، التى لا تجعله ولو مجرد كوميدى ، أو مجرد شخص يمارس المحاكاةالإيمانية. ونحن نعلم أنه من الصعب أن يتقن المرء المحاكاة الإيمانية .

الاتحاد الاشتراكى ـ ١٩ و ٢٦ فبراير ١٩٨٩

الجزائر لم تعد كما كانت *

قبل كل شئ ـ يتعلق الأمر بانتصار الديموقراطية التعددية ـ إنها أول انتخابات حرة فعلا فى تاريخ مجموع أفريقيا والعالم العربى ، ولا يتعلق الأمر بالانتخابات فى السينغال أو تونس ولا بانتخابات كوت ديفوار والجابون ، واجهات ونماذج « التعاون » الفرنسى ـ الأفريقى ، إن الأمر لا يتعلق بديموقراطية جاهزة ترافقها الاعلانات الاقتصادية والعسكرية والأبوية المتعالية للمركز .

يجب أن نعترف للحكومة الجزائرية بالاستحقاق لكونها ضمنت لهذه الانتخابات سيرا نزيها لا تدخل فيه ولا تهديد . إن الرئيس الشاذلى بن جديد كان فى مستوى طموح الشعب الجزائرى ، وعشية الانتخابات البلدية فى تونس ، يوم ١٠ يونيو ١٩٩٠ ، أى ثلاثة أيام قبل الانتخابات الجزائرية ، طلب الوزير الأول من الناخبين أن يصوتوا لصالح ٢٢٨ لائحة وحيدة (من مجموع ٢٤٦) « كى يكونوا فى مستوى ثقة الرئيس بن على » . إن المفارقة صارخة .

إنها نهاية الحزب الوحيد وتأميم تضحيات الثورة الجزائرية التى أصبحت ملكا مشتركا لمجموع السكان بغض النظر عن بطاقة حزب جبهة التحرير الوطنى . إنهم قدموا البرهان على نضجهم السياسى وإصرارهم على حرية توفروا عليها لقاء ثمن غال وتم تثبيتها بانتخابات غير مزورة .

إن جيلا جديدا يستعد لتسيير البلاد ٧٠٠ ٪ من الجزائريين اليوم لم يكونوا قد ازدادوا ـ ولدوا ـ بعد سنة ١٩٦٢ ، سنة الاستقلال . وكان ٨٠ ٪ يبلغون من العمر ، ذلك الوقت ، أقل من ١٠ سنوات . وإليكم ، قبل ثمانى سنوات بالضبط (١١ يونيو ١٩٨٢)

* يونيو ١٩٩٠ .

ما كتبته في دراسة بعنوان « المغرب العربي لعام ٢٠٠٠ » .

« إنني أشير دائما إلى أهمية البعد الثقافي والأنظمة القيمية في تطور المنطقة . وغني عن القول أن الإسلام كقوة تجديد سيلعب دورا متميزا في هذه المسيرة . لقد حصل جزر روحي وبالخصوص لدى الشباب . فقد خيب آمالهم تصرف أشقائهم الكبار الذين لم يكونوا في مستوى تقديم مثل أعلى ، وأكثر من ذلك لم يكونوا في مستوى تقديم نمط سلوك ملائم ومنسجم ومحترم . من الطبيعي أذن أن يرجعوا إلى المنابع ليجدوا إلهاما وقواعد تنير لهم الطريق . هذا المستقبل المغاربي الممكن والمرغوب فيه هو أيضا بالتالي مستقبل إسلامي . ويجب أن نضيف أنه عربي وإفريقي ومتضامن كلية مع العالم الثالث » (مجلة Futuribles . عدد ٥٨ ، سبتمبر ١٩٨٢) .

لقد جرى الحديث عن « ضعف » المشاركة في الانتخابات الجزائرية . النسبة بلغت ٦٥ ٪ ، ونسبة المشاركة في الانتخابات البلدية الفرنسية الأخيرة كانت ٧٣ ٪ ، من جهة أخرى ، يغيب عن البال أن الحكومة قررت تنظيم الانتخابات في يوم ليس يوم عطلة على عكس ما يقع في العالم كله وما وقع في الانتخابات السابقة في الجزائر ، ولو لم يكن الأمر كذلك لبلغت نسبة المشاركة بسهولة ٨٥ ٪ ، زد على ذلك أن الديموقراطية تتضمن حق عدم المشاركة كموقف سياسي .

ومع أخذ هذه الأرقام بعين الاعتبار ، فلايجب أن نضخم بإفراط من نجاح المناداة بمقاطعة الانتخابات . فنسبة المقاطعة ضعيفة جدا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوزن « التاريخي » للشخصيات التي وجهت ذلك النداء بدل أن تجابه واقع الإرادة الشعبية .

الديموقراطية هي أيضا غياب « التيار الجارف » ، لأن الجبهة الإسلامية للإنقاذ لم تحصل إلا على ٥٥٪ من الأصوات . إننا بعيدون عن نسبة ٩٥ ٪ إلى ٩٩ ٪ في الأنظمة التسلطية . إن هذه الـ ٥٥٪ تمثل ليس فقط تصويت أعضاء الجبهة الإسلامية ، بل أيضا تصويت العاطفين على « الدعوة الإسلامية » التي يقودها نحناح وبالخصوص تصويت مؤمنين عاديين في بلد مسلم بنسبة ٩٩ ٪ ، وفي الإسلام ما توفر لأحد أن يحتكر الإسلام ، فبالأحرى أن لا يحتكره حزب سياسي .

إن اختزال كل شئ فى « الأصولية » ليس أكثر من نزعة اختزالية وأيضا نزعة عقلانية مبسطة لدى أولئك الذين يتجاهلون قوة القيم الروحية . أولئك أنفسهم الذين يقبلون بها فى حالة أوروبا الشرقية التى انطلقت بها الحركات الاحتجاجية من الكنائس كما وقع فى بولونيا وألمانيا الشرقية وهنغاريا. لذلك فرق فى الوزن، فرق فى القياس أضف إلى ذلك قسطا من سوء النية كبيرا .

إلى أين ستتجه الجزائر ؟ نحو تقوية أفضل للديموقراطية ، وعدالة اجتماعية أكبر ، ونحو إزاحة الانفصام الثقافى بعد ١٤٢ سنة من الاستعمار و٢٨ سنة من التردد والمحاولات فيما يخص الاختيارات الأساسية التى تنسجم مع أغلبية السكان ، لا مع حفنة من المثقفين الذين استأصل الاستعمار جذورهم . وبعدما تمت تصفية الاستعمار على الصعيدين السياسى والاقتصادى ، فقد تمت تصفية الاستعمار على الصعيد الثقافى فى الجزائر . ونتائج هذه الهزات ليست بسيطة بالنسبة لباقى المغرب العربى والعالم وأفريقيا برمتها .

١ - لم تبق الجزائر كما كانت ، فلا يمكن إذن أن نتصور أن اتحاد المغرب العربى سيظل كما كان . وسنلمس ذلك بعد بضعة أيام لما ستتحمل الجزائر مسئولية الرئاسة فى اتحاد المغرب العربى . إن حدا أدنى من الانسجام سيكون مطلوبا وبالخصوص تجاه الحريات العامة (على مستوى الأفعال وليس فقط على مستوى النصوص) والاندماج الاقتصادى والسياسة الخارجية لبلدان المغرب العربى .

٢ - إنى أعتقد أن ساعة « الفرنكوفونية » التجارية فى المغرب العربى وفى باقى أفريقيا قد دقت فى آخر المطاف ، إن حفلة لابول فى الأسبوع المقبل ، ستكون حفلة الوداع . يجب أن نهنئ أنفسنا بتصريح الرئيس ميتران بصدد الانتخابات الجزائرية وهو تصريح ينم عن كثير من الحكمة والاحترام لإرادة الشعوب . وأنا متأكد من أنه سيستخلص من هذه التجربة على المدى القصير والمتوسط ، النتائج التى تفرض نفسها وذلك من أجل مصلحة فرنسا على المدى البعيد . إن ردود أفعال الصحافة الفرنسية فى فرنسا وفى البلدان الغربية تتناقض مع رد فعل الرئيس الفرنسى تناقضا حادا .*

---

* هل كان تصريح ميتران تمويها ؟

٣ - سيتعين على المسئولين المغاربيين والعرب والأفارقة إن يولوا مزيدا من الاهتمام بالحقائق الروحية والثقافية لبلدانهم وأن يعملوا بهدف الحصول على مصداقية أكبر على صعيد التدبير السياسي والاقتصادى وذلك بمحاربة الارتشاء المعنوى والمادى .

٤ - إن الغرب يتوفر على وقت قليل لتجاوز عقدة الخوف تجاه دين يمثل أكبر من ربع سكان الكرة الأرضية ، وهو تخوف يولد شكلا من العنصرية مؤذ جدا . فلن يتم تدبير شئون المستقبل بواسطة الخوف والهلع . وفى هذا المستقبل ، سيضطرد نمو الإسلام ليصل إلى ما يناهز ٤٠٪ من مجموع سكان العالم فى بضعة عقود . وإذا كان بناء « أوروبا الروحية » التى ينادى بها البابا والسيد جاك دولور وقادة أوروبيين آخرون ، إذا كانت أمرا حسنا بالنسبة لإحدى القارات فلماذا لا يكون الأمر كذلك بالنسبة للمغرب العربى ولبقية العالم ؟

٥ - إن أكبر مشكل تعرفه العلاقات بين الشمال والجنوب هو مشكل الاتصال الثقافى الذى يتطلب إرساء علاقات فى كلا الاتجاهين ، وكذلك الاعتراف بالحق فى الاختلاف والتنوع الثقافى داخل البلدان وفيما بينها . ليست عقدة الخوف تجاه الإسلام والعرب هى الوحيدة . فتوجد مثيلتها تجاه اليابان وهى تنهل من نفس الأسباب .

٦ - إن الانتخابات الجزائرية والأحداث التى تعيشها أفريقيا برمتها تؤكد إفلاس نموذج تنموى حاولت البلدان الغربية والمؤسسات الدولية ، ومهما كان الثمن ، أن تبيعه للعالم الثالث . إن المغرب العربى سيتجه نحو تنمية داخلية ومندمجة ، نحو تعاون أكبر جنوب - جنوب ، كما سيحد من سياسته الحالية المبنية على تبعية شبه شاملة لأوروبا ، وسينتهى عهد المساعدة النفعية التى يتم استعادة خمسة أضعافها بأشكال أخرى . وربما يبدأ تلمس وسائل أخرى للتعاون المبنى على احترام الآخر ، وهى وسائل تفرض حتما إعادة هيكلة عميقة للنظام الاقتصادى الدولى .

٧ – سياسة كهاته ستعطى للموارد البشرية قيمتها وستكون أكثر صرامة تجاه التصرفات التى يعانى منها المغاربيون المقيمون بأوروبا ، وأعتقد أنه لا يوجد أى احتمال للنزوح « فى القوارب » انطلاقا من المغرب العربى . على العكس من ذلك أعتقد أنه سيتم التفكير فى استقبال العمال المقيمين فى أوروبا الراغبين فى العودة .

٨ – ومهما يقع ، فإن احترام الحريات العامة وحقوق الإنسان وبالخصوص حقوق المرأة سينتصر لا محالة ، فلا يوجد هناك مشكل « إسلامى » بل فقط مشكل الجهل فى منطقة ٥٥ ٪ من سكانها أميون . إن بلدا إسلاميا يحترم نفسه لابد أن يحاول تطبيق أول التعاليم فى القرآن « اقرأ باسم ربك » .

وفيما يخص الأبعاد الأعم ، فلا يسعنى هنا إلا أن أعرض ما كتبته سنة ١٩٨١ فى مقال بعنوان « أفْرَقَةُ إفريقيا » .

« ... إفريقيا لا تعيش فى عالم مغلق . إنها ستتأثر من أية منطقة أخرى فى العالم ، لكونها الأكثر هشاشة بالهزات السياسية والاقتصادية والثقافية التى ستشمل بقية العالم . ليس للنماذج التنموية المتبعة إلى الآن أى حظ فى أن تجابه وضعية تصبح كل يوم أكثر سوءا . ليس بمقدور أية قوة عسكرية أو دعم أجنبى أو أية مساعدة أجنبية أن تؤجل التحولات الهيكلية التى ستسمح لإفريقيا بأن تتوفر على حد أدنى من العيش الكريم . كل عرقلة ، وكل تعطل لن يفعل سوى تقوية كثافة الانفجار » (انظر Futuribles عدد ٤١ . فبراير ١٩٨١ ـ باريس) .

كلمة أخرى رائجة ضمن ردود الأفعال الغربية : « عدوى » الظاهرة الجزائرية بالنسبة لبلدان المغرب العربى الأخرى ، والعالم العربى وإفريقيا . هل يوجد ما هو أفضل من عدوى الديموقراطية واحترام إرادة الشعوب ؟ إن العدوى ستنتشر لأن قطار التاريخ يفرضها ، أولئك الذين يلم بهم الشك أو الهلع بسبب جهلهم أمام تجدد الإسلام ، أنصحهم بقراءة تصريح الجزائر المصادق عليه يوم ٧ مايو ١٩٩٠ فى نهاية مناظرة دولية هامة حول الإسلام والمستقبل . فربما يفهمون ما جرى فى الجزائر يوم ١٣ يونيو ١٩٩٠ .

نعم ، إن الجزائر لم تبق كما كانت ، والمغرب العربي والعالم العربي وإفريقيا لن يظلوا كما هم اليوم لأنهم بعد قليل سيكتشفون من جديد حقيقتهم ليقرروا في حرية ما يريدون أن يصبحوا عليه .

الرباط ١٤ يونيو ١٩٩

عن : « سيد – ويست »

- " العلم " ، ١٧ يونيو ١٩٩٠

- "SUD-OUEST" , Bordeaux, 16 - 06 - 1990

- "ALGERIE ACTUALITE" , 21 - 06 - 1990

- "REALITES" , Tunis,22 - 06 - 1990

قضايا المستقبل الإسلامى

الدراسات المستقبلية : الضرورة والواقع والآفاق *

إنه لشرف عظيم بالنسبة لى أن أجد نفسى بين رجال ونساء هذا الجمع الكريم ، المتميزين بعطائهم الفكرى ، وسعيهم لتوضيح وحل المشاكل التى يواجهها العالم الإسلامى . نعم ، موضوعنا ذو استراتيجية بالغة بالنسبة لمستقبل العالم الإسلامى ، خاصة فى هذا الظرف الحرج الذى تهتز فيه البسيطة بأجمعها بفعل القطيعات والتحولات التى بشر بها منذ بضع سنين أولئك العاملون بمجال المستقبلية . لذا فإننا على علم بصعوبة مهمتنا فى مواجهة تعقيدات الموضوع الذى نحن بصدده .

فمنذ أزيد من خمس وعشرين سنة وأنا أزاول البحث فى ميدان المستقبلية، وأحسب أنى شاركت في ما يربو على مائتى ندوة وملتقى دولى حول المستقبل . لكنها المرة الأولى ، فيما أذكر والتى يعقد فيها ملتقى دولى مخصص كلية لمستقبل قضايا العالم الإسلامى . إنها لعلامة نضج ، نتمنى أن تتلوها مبادرات علمية على نفس الدرب ، وبرامج بحوث عملية مصحوبة بوسائل ناجحة وإمكانيات كافية .

كما أتمنى أن تتسع الرقعة الجغرافية التى يمثلها المشاركون فى الحلقات القادمة من برنامج المركز ، لتتجاوزحدود العالم العربى الذى يضم ديموجرافيا أقل من ٢٠ فى المائة من مجموع المسلمين . فعلينا حاضرا ومستقبلا تجنب أى شكل من أشكال العرقية التى تتنافى وروح الإسلام ، ذلك الدين القويم الذى لا ينفى التعددية ، ولكن يرحب بها ويدعو لها فى إطار من الوحدة والتكافل . ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات : ١٣) .

---

* «قضايا المستقبل العربى » ندوة الجزائر : ٩ـ١٢ شوال ١٤١٠ هـ : ٤ـ٧ مايو ١٩٩٠م .

إن هذا الملتقى فى نظرى نموذج سيتكرر فى لقاءات أخرى أكثر تمثيلا لواقع وطاقات العالم الإسلامى . فلنتجنب أن نعمم فى غياب هذا التمثيل الخصوصيات المتعلقة بالعالم العربى الإسلامى كمايفعل بعض الباحثين الغربيين عن عمد وقصد . ليس هذا بنقد ، ولكنه مجرد تحفظ على الصلاحية المحدودة لأقوالنا ونتائج لقائنا .

تتطرق ورقتنا لثلاثة مواضيع :

١ - أهمية الدراسات المستقبلية .

٢ - واقع العالم من جهة ، وواقع العالم الإسلامى من جهة أخرى .

٣ - الآفاق المستقبلية للعالم الإسلامى .

ا - اهمية الدراسات المستقبلية

اسمحوا لى بداية ، ما دام الموضوع يتعلق بمستقبل الإسلام ، أن أوضح بعض المفاهيم الإسلامية . ففى الإسلام ، هناك فرق شاسع بين « الغيب » والذى هو من علم علام الغيوب سبحانه وحده ، وبين مفهوم « المستقبل » كما يوظفه الخبراء فى مجال الدراسات المستقبلية . فمفهوم المستقبل حسب هؤلاء انعكاس على الزمن لآثار ونتائج أعمالنا اليوم . وواضح من مضمونه ودلالته أن الأمر لا يتعلق لا بنبوءة ولا بكهانة.

ونشير بداية إلى أن مصطلح « مستقبل » لم يرد فى القرآن إلا فى صيغة « مستقبِل » بكسر الباء ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به ، ريح فيها عذاب اليم ﴾ . (الأحقاف : ٢٤) ، والقرآن الكريم مليئ بالمصطلحات والألفاظ الداعية لإمعان النظر والإعداد للمستقبل . من ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ (الحشر : ١٨) ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شئ ، وأن عسى أن يكون قد اقترب اجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (الأعراف : ١٨٥) ، وقوله كذلك : ﴿ الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ، إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ، ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ،

وكل آتوه داخرين ﴾ (النمل : ٨٦ ، ٨٧) . ففى هذه الآيات كلها وغيرها دعوة للإستفادة من الحاضر ، والعمل فيه مع إمعان النظر فى المستقبل والاستعداد له ، المستقبل الذى هو الآخرة من جهة ، والعمر المقبل من الحياة الدنيا من جهة أخرى .

أما بخصوص كلمة « الغد » ، فقد وردت خمس مرات فى القرآن الكريم :

- ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ (الحشر : ١٨) .

- ﴿ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب ، وإنا له لحافظون ﴾ (يوسف : ١٢) .

- ﴿ ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا ﴾ (الكهف : ٢٣) .

- ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ﴾ (لقمان : ٣٤) .

- ﴿ سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ﴾ (القمر : ٢٦) .

ونلاحظ أنه بقدر ما تدعو الآيتان الثالثة والرابعة جمهور المؤمنين إلى رفض الكهانة التى تريد أن تقدم تاريخا مفصلا للغد ، بقدر ما نجد دعوة صريحة فى الآية الأولى إلى استشراف الغد حتى يتزود الإنسان بالتقوى اللازمة ، ويتجنب المفاجئات الداهمة .

وإذا تمعنا فى مفهوم الآيات التى ذكرناها ، أدركنا أن المنهى عنه تكهن صورة واحدة للمستقبل ، يدعى متزعمها معرفتها سلفا . أما تصور تجلى ذلك الغد فى صور متعددة ، فهذا نحن مطالبون به ، حتى نحشد القوى لدفع الشر الذى نتوقعه ، ونكثف الجهد لجلب الخير الذى نستبشره .

هذا إضافة إلى ورود عديد من الآيات تجسد الترابط المتين بين عمل الفرد والأمة فى الحاضر ، ونتيجة ذلك العمل المحتملة فى المستقبل ، إن خيرا خيرا ، وإن شرا شرا ، لا نرى ضرورة لعرضها فى هذه الورقة .

ومعلوم أن الإسلام فى حد ذاته يشكل نظرة شاملة للعالم الدنيوى الحاضر والعالم الأخروى المقبل ، وهو يحمل فى طياته الصلة التى يقيمها بين العالمين ، ديناميكية أساسها التغيير وحوافزه ، وذلك فى جميع المجالات سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ديناميكية تجعل الإنسان مسئولا عن مستقبله ، مفجرة طاقات التغيير والسعى

نحو الأفضل لدى المجتمع بين حاضره الآنى ومستقبله القريب ، سواء حين التفكير فى إصلاح واقعه الذى يحياه ، أو حين البرمجة لغده الذى يتمناه .

فالتغيير ضرورة ، ولزوم القيام به لمستقبل أفضل يتجلى بوضوح فى قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد ١١) . والتغيير الصائب قوامه الإبداع والإبتكار ، والإبداع بمعنى مخالف للبدعة التى تعنى التبديل والإضافة فى دين الله . فلا يختلف مؤمنان فى أن الإبداع وفق السنن الكونية والتشريعية الراسخة للأصول الإسلامية هو أساس التغيير ، وهو الدافع للحركة ، وكل مادة حية فاقدة للحركة والتغير هى معرضة للموت ، وهى سنة عامة يجرى مفعولها على الفرد والمجتمع .

أما الذى يخافون من التغيير ، خوفا على امتيازاتهم وحرصا على مصالحهم ، فهم يعمدون دوما إلى الخلط بين الإبداع والبدعة ، رغبة فى منع كل تغيير يصب فيما لا يرضونه ولا يطمئنون إليه وعليه .

بل لا غرابة فى أن يعزى التخلف والأمراض الاجتماعية المصاحبة له فى البلدان الإسلامية إلى مثل تلك العقلية المتحجرة ، الرافضة للإبداع والإبتكار ، والمغلقة لباب الاجتهاد . فبطرحنا للسؤال التالى : « كيف نلحق بالركب الحضارى الإسلامى ونستدرك ما فاتنامن الوقت الضائع ؟ » يمكن أن ندرك مغزى ومدى أهمية دراسة المستقبل الذى يمكننا من القراءة والتطلع فى الآفاق ، تلك الآفاق الجلية للحق والمعرفة للنفس ، تمشيا مع الآية الكريمة ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

لقد كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يمضى على نور الوحى نحو المستقبل ، غير ملتفت للوراء ، ولا مكترث بما يحدثه من ضوضاء الراغبين فى منعه من بناء المستقبل . ذلك أن الإسلام دينا ومجتمعا يهتم أساسا بالتطلع نحو الآفاق ، بغية التحفيز على العمل فى الدنيا والآخرة ، وينهى عن الكر إلى الماضى والتقوقع فى دوامة قضايا الواقع المجرد من دوافعه الماضية ، ونتائجه المقبلة .

كان النبى لا يلتفت إلى الوراء متقدما نحو الغد لقوله صلى الله عليه وسلم

« الإسلام يجب ما قبله » ، أى أن دخول المرء فى الإسلام يضفى عليه خاصيتين : الأولى جب ما قام به الفرد من ذنوب أو معاصى قبل اعتناقه ، فلا حاجة إلى الإلتفات إليها إلا بقدر ما يحفز على استغلال الغد ، والثانية المسئولية عن ما بقى ، أى ضرورة عنايته بمستقبله والتطلع لآفاق غده .

وضرورة النظر للغد ، والمتجلية بوضوح فى الآية التى ذكرناها « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » هى التى تتوقف عليها وبها أعمالنا التى نحن مسئولون عنها أمام أنفسنا وأمام مجتمعنا وأمام الله . فكل عمل يقوم به الإنسان أو المجتمع هو موجه بذلك النظر ونتائجه سواء بالنسبة للدنيا أو الآخرة .

هذه المقدمات التمهيدية التى أبديتها تهدف إلى رفع كل التباس ودحض كل تأويل يفضى إلى الجبرية أو الحتمية ، التى تجعل الفرد والمجتمع غير متحكمين فى مستقبلهما . فحتى نستطيع مواجهة تحديات المستقبل ، علينا قبل ذلك القيام بتطهير عقولنا من رواسب التواكل والجبرية كما صرح بذلك شيخنا الفاضل ، محمد بلعربى العلوى منذ أربعين سنة خلت :

«إن رؤوسنا شبيهة بمزبلة كبيرة ، ونحن فى الحاجة إلى الكثير من المساحين والشاحنات لتنظيفها وتطهيرها مما فيها من نفايات » .

إن ظاهرة الدراسات المستقبلية تعد حدثا معاصرا انطلق مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، وكانت الدارسات الأولى من هذا النوع قد تمت على يد شركة « راند » الأمريكية لحساب « البنتاجون » . لذلك يجد الباحث فى هذا المجال المتتبع له علاقة وطيدة بين الدراسات الاستراتيجية والدراسات المستقبلية .

ولم تزدهر دراسات المستقبل ازدهارا ملموسا إلا فى الستينات ، حيث شهدت توسعا وانطلاقا حقيقيين . لكن يبقى أنه وحتى اليوم ، قرابة الثلثين من الأبحاث حول المستقبل يقوم بها إما القطاع العسكرى ، وإما الشركات المتعددة الجنسية . فلا غرابة فى أن نجد الشئ نفسه بخصوص ميدان تمويل البحث العلمى .

لقد عرفت هذه الدراسات ازدهارا واسعا فى البلدان الصناعية ، سواء على صعيد التكوين أو على صعيد إصدار المراجع والمستندات ، أو على صعيد البحث والتطبيقات

العملية . فحوالى ٩٧ فى المائة من مجموع النفقات بخصوص البحث فى ميدان المستقبلية يتم من طرف هذه الدول ، أما العالم الثالث فهو يشارك بأقل من ٣ فى المائة فى هذا المجال ، علما أنه يضم ٨٠ بالمائة من مجموع سكان العالم !

فالتهوين من الأهمية الاستراتيچية للدراسات المستقبلية سمة حادة من سمات التخلف . وإنه لصعب باستمرار أن تفهم قاعدة هى فى غاية البساطة مفادها أن المشكل بقدر ما يكون خطيرا وعويصا وملحا ومستعجلا ، بقدر ما يتطلب حله نظرة بعيدة الأمد ، لذلك كان التطور لا يسرى فى شعب إلا إذا مكن نفسه من وسائل التفكير فى المستقبل ، باحثا عن الاتفاق وسبله حول مشاريع الغد التى تهم المجتمع .

والمستقبلية ليست علما قائما بذاته ، وإن استعانت مناهجها بالعلوم الحقة والعلوم الاجتماعية . أما موضوعها فهو الدراسة لوضع معين بشكل مفتوح على البدائل والخيارات لتفحص جميع التطورات ، واستقراء النتائج الممكنة المترتبة عن هذا القرار أو ذاك على هذه التطورات . لهذا يتكلم عن « مستقبلات » بصيغة الجمع فى ميدان الدراسات المستقبلية ، وليس عن المستقبل بصيغة المفرد . والغاية الأساسية من هذه الدراسات هى تحديد الأهداف المتوخاة ، وإمعان النظر فى جعلها ممكنة فى المدى المتوسط أو البعيد من خلال التأثير على الحاضر ومجراه .

تحضرنى هنا قولة للعالم الألمانى ألبير أنشتاين ، لما سئل عن ماهية تعلقه بدراسة المستقبل فأجاب : « ذلك أنى أنوى أن أقضى به بقية عمرى » .

فالمستقبلية هى مجموعة من الأبحاث حول التطور المستقبلى للإنسانية تمكن من استخلاص عناصر التوقع . ولا يتعلق الأمر هنا بتقمص نبوة زائفة ، أو إصدار تكهنات أو أحلام حول المصير المقبل للإنسانية . كما أنه لا يتعلق الأمر كذلك بعلم حقيقى ، ومن هنا جاء الرفض لمصطلح " Futurologie " عند خبراء المستقبلية. فالمستقبلية منهج يسمح بدراسة التطورات المختلفة المحتملة لوضع معين ، فى وقت محدد ، وتطويق نتائج هذا القرار أو ذاك على هذه التطورات . ويتميز منهجها بالشمولية ، وتعدد التخصص ، والسلوك الدائم لسبيل مفتوح يعتمد التفكير فيه على دراسة خيارات وبدائل .

أما الكلمة المفتاح فيها فهى « الإشكالية » ، تلك التى تنتج عن الروابط بين مختلف

أنواع المشاكل . فمثلا من السهل تصور العلاقة الآنية الموجودة بين المشاكل ، مثل مشكل السكان أو الصحة أو التربية أو الغذاء أو الطاقة أو التلوث وهكذا . لكن هذه العلاقة ستبرز بشكل أكثر ديناميكية عندما نقوم بإسقاطها ودراسة توقعاتها على مدى العشرين أو الثلاثين سنة المقبلة .

مهمة الدراسات المستقبلية هي قبل كل شئ مهمة بيداجوجية ، تسعى لتحميس الجمهور والمسئولين لموضوع اختيارات المستقبل ، ويتعلق الأمر أولا بدراسة المشاكل البارزة حينما نكون عاجزين عن مواجهة التغيير والتأقلم مع عالم الغد .

وتخطيط مندفع في مرحلة زمنية محدودة (من ثلاث إلى خمس سنوات) دون تبصر بالاتجاهات التطورية الكبيرة والخيارات المستقبلية يوشك أن يزيف تحليل المشاكل . ولهذا وجب أن يرتكز التخطيط على توقعات طويلة المدى (من ١٥ إلى ٣٠ سنة) . وللمجتمع الإنساني نظام لدق ناقوس الخطر ، يندلع كلما باشر الخوض في منعطف صعب ، لكن قلما ينبه لتحذيراته !

ثم إن دور المستقبلية لا يكمن في إصدار نبوءات ، إذ يتجلى هدفها في تحديد الاتجاهات ، وتخيل مستقبل مرغوب فيه ، واقتراح استراتيجيات لتحويله إلى مستقبل ممكن . فالأمر يتعلق بتسليط الأضواء على الاختيارات قصد مساعدة صانعي القرارات للتوجه نحو الأهداف الطويلة المدى ، مع إطلاعهم على التدابير الواجب اتخاذها في الحين ، قصد الوصول إليها .

والمستقبلية لا تدعي عصمة في توقعاتها ونجاحها ، بل على العكس من ذلك ، الشئ الوحيد المؤكد ، هو أن أيا من هذه التوقعات لا يبدو صحيحا على الإطلاق . والنظرة المستقبلية متعددة بطبيعة الحال إذ بالإمكان تصور عدة أوجه ممكنة للمستقبل ، وذلك لكون الإنسان البشري يتوفر على وسائل لصنع مستقبله .

ثم إن المستقبلية تبرز من العدم الظرفي ، بل إن مقاربتها مع التاريخ أمر حيوي جدا ، فكثيرا ما اتجهت بلدان العالم الثالث إلى جعل التاريخ غاية في حد ذاته ، بدل أن تواكبه وتتوقع ماله . وما أكثر ما عمدت هذه البلدان إلى الرجوع إلى التاريخ لتبرير الجهود الضائعة ، وخيبات الحاضر الحاصلة .

ولطالما أشرت بكيفية ملحة إلى أهمية البعد الثقافى وأنظمة القيم فى التنمية ، وبديهى أن الإسلام كقوة للتغيير والإبداع سيلعب دورا طليعيا فى هذا التطور ، إذ هناك عودة ملحة إلى الروحانيات اليوم . خاصة عند الشباب الذى أصابه اليأس من جراء سلوك من هم أكبر منه سنا ، والذين لم يكونوا فى مستوى إعطاء نموذج سليم للحياة ، أو على الأقل قدوة ملائمة فى السلوك منسجمة ومحترمة .

وطبيعى أن يرجع الشباب المسلم إلى الأصول للعثور على الأنماط المثالية التى تقود خطواته ، لأن المستقبل الممكن والمنشود للعالم العربى والإسلامى يتركز أساسا على تجديد الإسلام ، وإسلام الإجتهاد وليس إسلام التقليد ، ذلك الداء الذى كان وراء سقوط حضارة ابتعدت تدريجيا عن مهمة الخلق والإبداع اللذين واصلهما المسلمون إلى يوم أعلن فيه بعض الفقهاء جزافا إغلاق باب الإجتهاد . إن الإسلام دين متفتح يترك للفرد مبادرة كبرى وحرية فى التكييف والتغير وتوقع التحولات . فلو أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته لم يتوقعوا المستقبل فى فجر الإسلام ما كان هناك اليوم مليار و ٢٠٠ مليون من المسلمين .

٢ - الواقع المعاصر

٢ ـ ١ - الواقع العالمى

هناك ظواهر عديدة تميز العالم اليوم نعرض لأهمها فيما يلى :

١) سرعة حركة التاريخ ، فالمعرفة الإجمالية العالمية تتضاعف اليوم كل سبع أو ثمان سنوات . وفى كل دقيقتين يصدر مقال علمى فى جهة ما من العالم . ويمكننا القول بأن الإنفجار المعرفى يعد من الظواهر الأساسية والبارزة المميزة للواقع العالمى المعاصر .

٢) التعقيد المتصاعد لعديد من القضايا بفعل هذا الانفجار ، فبقدر ما تتسع المعرفة فى ميدان ما ، بقدر ما تتسع شجرة المعارف والتخصصات فى هذا الميدان ، مستلزمة تأطيرا مضاعفا واستثمارا مكثفا ، وبقدر ما تكون نتائج ذلك وانعكاساته على الواقع متعددة المسالك ، مستعصية فى حجمها وتعقيدها على المدارك .

٣) تضايق المكان والزمان ، فالإنفجار المعرفى فى مجال المواصلات والإتصالات ساهم من جهة فى تقارب الأمكنة وتقليص المسافات بشكل يوحى بتضايق وتقلص المكان ، ودفع من جهة أخرى إلى تضخم برامج الأعمال ومصارعة الوقت بشكل يوحى بتضايق وتقلص الزمان .

٤) الإنتقال من مجتمع إنتاج إلى مجتمع معرفة أضحت فيه الموارد البشرية أهم من الموارد الأولية (انقصت هذه الموارد بـ ٢٥ فى المائة سنة ١٩٨٩) ، وأصبح فيه رأس المال غير مجد دون موارد بشرية وأدمغة مبدعة . وحتى نجلى بوضوح مبدأ سرعة حركة التاريخ وسرعة التغيير وانعكاساتهما على مستوى الموارد البشرية مثلا ، يمكن أن نكتفى بالرجوع إلى الدراسة التى قامت بها وزارة التعليم الإسبانية ، والتى يستفاد منها أنه لا وجود لتكوين فى مراحل ما بعد الثانوى يستجيب لنصف المناصب المحتاج لها سنة ٢٠٠٠ .

٥) الدور المتنامى للثقافة ، فمنذ ١٢ سنة ، حين انعقاد المائدة المستديرة الأولى حول الشمال والجنوب المنظمة بروما من طرف الشركة الدولية للتنمية فى مايو ١٩٧٨ ، كنت أكدت على أن الجانب الأكثر سياسة وأبلغ أثرا فى العلاقات بين الشمال والجنوب هو النظام الثقافى ، لأنه يعنى بالقيم وقلت :

« علينا أن نولى الأسبقية لمنظومة القيم للتدليل على أن الأزمة المعاصرة بين الشمال والجنوب يستحيل تجاوزها بمجرد التكيف ، فالأزمة أزمة نظام بكامله . وكل حل للأزمة يشترط فى حقه الأخذ بتحديد جديد للأهداف والوظائف والبنيات ، ويلزمه إعادة توزيع السلطة والموارد حسب سلم للقيم مخالف لسابقه ، الذى كان السبب فى اندلاع الأزمة وانهيار النظام الحالى » .

٦) النمو الديمجرافى وشباب سكان الجنوب واستقرار أو انخفاض السكان مع كهولة واضحة فى الشمال . ففى العالم الإسلامى خمسون فى المائة من السكان يقل عمرهم عن ١٦ سنة، وأكثر من الثلثين يقل عمرهم عن ٢٠ سنة .

٧) الدور الفاعل للتكنولوجيات المتقدمة ، وخاصة فى ميادين تقانة الإعلاميات وعلوم الاتصال ، وعلوم الآلية ، والذكاء الصناعى ، وعلوم الفضاء ، والبيوتكنولوجيات ، والمواد الجديدة . إن أصحاب الصناعة فى هذه الميادين ينفقون ما بين ٨ فى المائة

و ١٢ فى المائة من مداخيلها فى البحث العلمى ، وقرابة ذلك لتكوين العاملين .

ولطالما نبهنا إلى أنه لا جدوى من الأمل فيما يسمى « نقل التكنولوچية » ، فما يتم نقله تحت غشاء هذا المصطلح هو مجرد مواد عفاعليها الزمن وبأثمنة لا مبرر لها . أما التمكن من التكنولوچيات فهو نتيجة عمل وبحث ذاتي ، وذلك مسار يستحيل بيعه أو شراءه ولا سبيل للوصول إليه إلا باكتساب المعرفة وتنشيط الابتكار .

٨) الدور الجديد المهيمن للإعلام والإتصال . هذا القطاع الجديد الذى يمثل اليوم ٤٠ فى المائة من الإنتاج الصناعى العالمى ، ويضم أزيد من ٦٠ فى المائة من اليد العاملة فى العالم الصناعى . فمازلنا نعانى من التفاوت الصارخ بين الشمال والجنوب فى هذا الميدان . فالشمال يتحكم فى حوالى ٥٨ فى المائة من نشاطات هذا القطاع مع ما يترتب عنها من انعكاسات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، والتى بدأنا بمعاناة ندرك وقعها .

٩) الإندماج الإقتصادى وانبثاق التكتلات الكبرى ، ويرجع ذلك لاستحالة ولوج مشرف للقرن الحادى والعشرين لمجموعة اقتصادية تضم أقل من ١٥٠ مليون من السكان . من هذه التكتلات مثلا : أوروبا الكبرى : ٣٥٠ مليون ، أمريكا الشمالية : ما يقارب ٣٠٠ مليون ، الجنوب الشرقى من آسيا : ٣٥٠ مليون .

١٠) الثقافة بمفهومها الواسع ، وهى عامل أضحى اليوم الأهم استراتيجيا فيما يخص العلاقات بين الدول . فالمشاكل المترتبة عن الاتصال الثقافى قد تتوالد عنها دوافع الصراع وأسبابه فى المستقبل أكثر مما قد ينتج من صراعات عن المشاكل الإقتصادية والإجتماعية .

١١) بطلان المعادلة المدعية أن الحداثة يرادفها التغريب ، وتجربة اليابان هى خير دليل على هذا البطلان . فلقد نشر المعهد اليابانى لتقدم البحث تقريرا هاما سنة ١٩٨٩ بعنوان : « جدول أعمال اليابان للتسعينات » جاء فيه :

« من اليوم ، علينا أن نرى العالم بشكل مغاير ، وأن نضع جانبا ذلك الحكم المبتذل القاضى بإرساء نظام عالمى تحت نفوذ

الإمبراطورية الأمريكية . ذلك أن النظام العالمى الجديد ، الذى يمكن أن ننعته بعصر تعدد الحضارات ، يرتكز على تعايش عديد من الحضارات ...فإذا كان للغرب فضل فى تقديم العالم على الصعيد المادى ، فإن حداثة اليابان تشهد على ضرورة التمييز بين الحداثة والتغريب » .

١٢) لا مادية المادة ومادية اللامادة ، فالمواد الصناعية أصبحت تتطلب أقل فأقل من المواد الأولية ، وأكثر فأكثر من القيمة المضافة فى شكل ذكاء وفطنة . ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها على هذه اللامادية لجوء العالم الصناعى المعاصر إلى الألياف البصرية ، والتى قلصت بحجم كبير المواد المستعملة من النحاس ، وإلى التصغير المستمر للآلات والأدوات المصنعة ، وإلى الجزيئات الإلكترونية الدقيقة . من هنا أصبح استعمال مصطلح « لا مادية الإقتصاد » شائعا .

من جهة أخرى وبفضل التقدم الحاصل فى العلوم الجديدة مثل فيزياء الهتامات (particules) ، وبيولوچية الجزئيات ، وفزيولوچية الجهاز العصبى... أضحت فيزياء نيوتن الكلاسكية محل إعادة نظر لأنها ميكانيكية أساسا ولا تتجاوز فى شرحها الظواهر المنظورة على مستوى الكون . وعلى نفس السياق . أضحت عقلانية ديكارت عائقا للفهم العلمى للعديد من الظواهر التى لا تخضع لصلابة المنهج العقلانى . هكذا انعدمت تدريجيا الحدود الفاصلة بين المادى واللامادى الذى ترسم معالم إدراكه فى المستقبل البعيد .

ولمزيد من التوضيح لهذه الاتجاهات الجديدة يمكننا الرجوع إلى « بيان ڤانكوڤر » الصادر عن ندوة « العلم والثقافة فى القرن الحادى والعشرين : برنامج من أجل البقاء » المنظمة من طرف اليونسكو فى ڤانكوڤر بكندا بين ١٠ إلى ١٥ سبتمبر ١٩٨٩ ، وجاء فيه « ضمن هذه النظرة العلمية الجديدة ، تزداد القيم الإنسانية اتساعاً ... ففى إطار الصور المتقاربة للإنسان الناتجة عن تطور العلم والثقافة ، أصبحنا نبحث عن نماذج لمستقبل يمكننا من ضمان بقاء الإنسان كريماً منسجماً مع محيطه ... هذه الآراء تغير المنظور والمكانة للإنسان فى الطبيعة وتدعو إلى تغيير جذرى فى نماذج التنمية ... » .

١٣) التراجع الروحى ، والذى كان متوقعا ـ بل ضروريا ـ فى جميع أنحاء العالم نظرا لتجاوزات المادية الفلسفية الشيوعية والمادية

الملموسة للرأسمالية . هذا التراجع كان فى صميم التقلبات التى شهدتها أوروبا الشرقية ، كما كان مصدر هزات عنيفة فى المجتمعات الإسلامية ، والتى بحكم الأمية السائدة فيها ، وضعف مستواها العلمى والثقافى لم تستطع أن تستغل هذه الانطلاقة العالمية نحو غايات أبعد . فكل ذلك لن يكون له أثر فى الأمد البعيد على عطش المجتمعات للقيم الروحية فى وقت يجتاز فيه العالم أجمع أزمة أخلاقية وأدبية .

٢ ـ ٢ - واقع العالم الإسلامى

٢ ـ ٢ ـ ١ - وضع متردى ومجتمع متخلف :

لنتحدث الآن عن الدول الثلاث والأربعين المكونة للعالم الإسلامى ، فالمقياس الموضوعى المتوفر لدينا فى هذا الشأن يتمثل فى انخراطها التلقائى فى « الإسيسكو » . والموجود من الإحصائيات يشير إلى أن عدد السكان الإجمالى ١٠٠٠ مليون نسمة بمعدل ٢٢ مليون لكل بلد ، وأن عدد سكان ٢٢ بلدا يقل عن ٥ ملايين نسمة . فى حين أن معدل البلدان الأعضاء فى الأمم المتحدة يفوق ٣٠ مليونا ، وبهذا تتجلى لنا بوضوح بلقنة العالم الإسلامى . وتضيف هذه الإحصائيات أن أكثر من ٣٠٠ مليون مسلم يقيمون فى بلدان لا تنتمى لا إلى « الإسيسكو » ولا إلى « منظمة المؤتمر الإسلامى » ، وإن العالم الإسلامى يمثل أكثر من خمس سكان المعمورة ، وثلث سكان العالم الثالث .

أما على الصعيد العالمى ، فيعتبر العالم الإسلامى أفقر أمة ، وأقلها تعليما ، وأكثرها تبعية فى ميدان التغذية . كما أن متوسط أجل الحياة فيه منخفض جدا . إضافة إلى أن المسلمين لا يستثمرون إلا الشئ القليل فى حقل البحث العلمى ، ولا ينتجون إلا نسبة ضئيلة من الكتب . ولا يقرأون إلا قليلا . وحصة الابتكار عندهم جد ضعيفة ، أما الإبداع فشبه منعدم . يضاف إلى هذا الوضع المزرى للحياة الاجتماعية ، فمشاركة أفراد المجتمع فى الدفع بعجلة التقدم قليلة، والاعتداء على الحريات العمومية وعلى حقوق الإنسان فادحة ، والرشوة متفشية ، والمرأة مهضومة الحرية ، والشباب مهمش لا تخطيط لمستقبله ، وهلم جرا ...

ومن جهة أخرى ، فإن العالم الإسلامى يشكو أضرارا بشرية واجتماعية من جراء الصراعات الداخلية الناتجة عن تقسيمه ، كما أنه أكثر تضررا من اختلال العلاقات بين الشمال والجنوب . فالعالم الإسلامى يواجه أكبر حملة تشنها وسائل الإعلام الغربية ضد قيمه الثقافية والروحية ، كما أنه يعتبر أكبر مستورد للأسلحة بالنسبة للفرد الواحد . وفى الوقت نفسه ، تفوق ودائعه المالية الموجودة فى الخارج مديونيته الدولية . هذه حقائق مرة لابد من التفكير فيها وأخذها بعين الاعتبار فى المستقبل .

فكيف يمكن أن نعتبر أنفسنا مسلمين على وجه الأرض ، إذا لم نكن قادرين على الامتثال لأمر الله عز وجل ، الأول ، الذى جاء به القرآن الكريم فى قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » (العلق : ١) ؟ هل يمكن القول بوجود مجتمع إسلامى إذا لم تكن أغلبية أعضائه قادرة على فهم وتفهم القرآن الكريم بشكل تلقائى وبدون واسطة ؟ ألم تكمن قوة الإسلام فى كونه ألغى كل وساطة بين الإنسان وربه ، جاعلا الإنسان العابد فى صلة مباشرة ومستمرة مع الله ؟ ثم لنا أن نتساءل ، هل الأمية ناتجة عن قلة الإمكانيات اللازمة للقضاء عليها ، أم أن استفحالها انعكاس لغياب أى إرادة سياسية فى هذا الاتجاه ؟ أم هو تخوف مما يمكن أن يأتى به المجتمع المسلم المتعلم من تغييرات فى تسيير دفة الحكم وإنجاز الحضارة ؟

٢ ـ ٢ ـ ٢ – ظواهر التردى والتخلف :

تطغى على الواقع الإسلامى ظواهر دالة على التخلف ، نورد أغلبها فيما يلى :

أ) انعدام المعطيات الاقتصادية والإجتماعية ـ الثقافية حول العالم الإسلامى . والأدهى فى هذا الباب ، هو أن أحسن مراكز التوثيق والمعطيات حول العالم الإسلامى توجد فى البلدان المصنعة ، وعدد منها بتمويل من بلداننا ، وغريب سباتنا عن حقيقة مرة تدل على ضخامة غفلتنا ، ومدى اهتمام غيرنا الذى يعلم ويعى قدراتنا وقواتنا لو استيقظنا ، هى أن الفاتيكان هو أول من قدر عدد المسلمين فى العالم ، أول من أقدم على نشر بحوثه الإحصائية فى أوائل الثمانينات إثر جهد جهيد قام به ٦٠٠ خبير فى ٢٠٠ بلد طوال ١٠ سنوات .

ب) خضوع تاريخنا وحاضرنا للاستعمار ، فلايزال تاريخ ماضينا القريب كابحا تحت نير الاستعمار ، وقسط كبير من حاضرنا منفلت من أيدينا ، بل حتى مستقبلنا أصبح مرهونا بدراسة الآخرين ، وبسيناريوهاتهم التى تعودنا الثقة فى صحتها ـ هذا لو سمح لنا بالإطلاع عليها ـ دون أدنى شك أو تردد فى صحتها . وفى مثل هذه الحالة ، يوشك مستقبلنا أن يكون نسخة مشوهة وغير صالحة لماضى الآخرين . والحقيقة المرة الوحيدة التى تفرض نفسها فى الوقت الحالى هى أن العالم الإسلامى لا يتحكم فى مصيره ، وأن استقلاله ما زال شكليا على عدة مستويات . فالتخلص الحقيقى من الاستعمار مايزال موضوعا واردا ضمن برامج عملنا التى ينبغى أن تحظى بالأولوية ، وقد يستغرق إنجازه عشرات السنين .

ويكفى أن نشير للدلالة على غيابنا فى مجال صناعة رؤانا المستقبلية ، الذى هو نتيجة طبيعية لغياب أى دور مستقل لنا فى الحاضر ،أنه قبل ١٠٨ سنة ، نشر المستشرق الإنجليزى « و . ك . بلونت » بلندن كتابا عنوانه « مستقبل الإسلام » ، وكان علينا أن ننتظر ١٠٣ سنة بالتمام والكمال ليقوم عالم مسلم من باكستان هو ضياء الدين ساردار بإصدار كتاب حول نفس الموضوع فى ١٩٨٥ .

ج) انعدام بعد النظر ، فلعل أكبر أزمة يعانى من ويلاتها العالم الإسلامى هى غياب وجود رؤيا واضحة لما تريد أن تقدم عليه القيادات الحاكمة ، وانعدام بعد النظر كلية عندها لجهلها المطبق بالواقع ومجراه وتياراته السائدة من جهة ، ولخوفها وتحفظها من كل إقدام تقوم به فئات من المجتمع خشية الإضرار أو التقليص من سلطتها ونفوذها من جهة أخرى .

فهناك التقليد الأعمى لما تمليه الجهات الغربية صاحبة النفوذ ، وهناك الإمتثال لما تنصح به المخابرات الأجنبية ، وما يدعو له مستشارو الدولة الغربية أو الشرقية الحامية، وهناك الغياب لكل استشارة شعبية أو تعبير جماعى عن طموحات ورغبات المجتمع ، ولا أدنى مشاركة فعلية وشريفة لصياغة برامج العمل ورسم الخطى لمواجهة التحديات وتحقيق المستطاع من الطموحات ، وبناء مجتمع مدنى صالح . فالنخب الحاكمة منشغلة بمعارضيها وحركاتهم ، طائفة

أن غفلتها عنهم ستودى بحياتها على أيديهم ، وقضايا المجتمع تعالج بشكل مركزى مستبد بالقرار حسب ما بقى من الوقت وما فضل من الإمكانيات ، والنظر ببعد شاسع لما يحمله المستقبل لا داعى له ، لأن المالكين زمام الأمور ببلداننا يوهمون أنهم لا تخفى عليهم خافية ، فمتى حصل تغيير كانوا أول الشاعرين به ، وسيعالجونه فى حينه .

د) انتشار الأمية ، فمعدلات الأمية بالعالم الإسلامى هى الأعلى فى العالم ، وتجاوز ٨٠ بالمائة فى بعضها ، كما أن القليل جدا منها هو الذى يتوفر على معدل للأمية أقل من ٥٠ فى المائة ، إذا أضفنا إلى هذا الوضع الخطير غياب أى برنامج فعلى لمحو الأمية ، وانتشار نوع جديد من الأمية فى صفوف غير الأميين يتمثل فى محو ذاكرتهم وجهلهم التام بما يجرى فى بلدانهم ومحيطهم أدركنا مكمن الداء فى العالم الإسلامى ، ولا مستقبل لهذا العالم بدون المبادرة بمحو الأمية التى لن تستلزم أكثر من ٥ سنوات لو صدقت النيات وشمرت سواعد الجد لمحوها وإزالتها .

وطبيعى فى وضع مثل هذا أن تكون معدلات التمدرس ، ووجود المدارس والجامعات ، وتوفر الأطباء والصيادلة ، وبناء مرافق التطبيب والصيدلة ، والعناية بالمكتبات ونشر الكتب ، وغير ذلك من العوامل الدالة على وجود الإهتمام بالعلم وفوائده ، جد ضعيفة وفى مستوى نسبة التعلم إن لم يكن أفظع من ذلك .

هـ) غياب البحث العلمى ، وهذا أمر طبيعى لدى الشعوب الأمية ، لأن البحث العلمى يحتاج إلى جانب حرية الرأى وتمتع المواطنين بالحقوق ، إلى مناخ علمى ، وإلى أسس تربوية تحفز على الإبداع ، وتشجع على الإبتكار . فالبحث العلمى لا يحظى بالاهتمام فى بلدان العالم الإسلامى ، ولا يستثمر فيه نظرا لانعدام مناخه والرغبة فى التشجيع عليه مثل بقية العالم المتخلف . وينتج عن ذلك نزيف مستمر للعقول المبدعة التى تجذبها العناية والإمكانيات بالخارج ، ويرهقها تفسخ المجتمع وسيادة الرأى المستبدفيه ، المانع لكل جو علمى .

وأشير هنا إلى أنه لا مجال للبحث العلمى ، وبالتالى للتقدم ، دون فتح لباب الاجتهاد على مصراعيه ، وتبنى مفاهيم معاصرة للاجتهاد والجهاد ، تحافظ على لب

الإسلام ، وترمى جانبا بالمعوقات والمستحدثات التى كبلت الأمة ورمت بها فى براثين التخلف والإنحطاط ، مع ما يصاحب ذلك من ضرورة وجود تعددية سياسية حقيقية ، وحقوق مكتسبة للإختلاف وتعدد الرأى وحريته التامة .

و) استفحال أزمة القيم الاجتماعية والثقافية ، فمصداقية المسئولين مهزوزة ، وتعاملهم مع قضايا الإقتصاد الوطنى مخترق بالعديد من التهور والمحسوبية واللامبالاة ، واستفحال الرشوة بينهم وبين أعوانهم أصبح ظاهرة يعترفون هم أنفسهم بها ، وتحويل المبالغ الضخمة إلى الخارج أضحى أمرا « مشروعا » يضمن به المختلسون إمكانية استمرار النفوذ عن بعد ، ويرونه حماية لهم ولمستقبلهم من كل تقلبات يفاجئهم بها الدهر . هذا إلى جانب المحسوبية والظلم الإجتماعى وانهيار نظام الأخلاق والقيم داخل المجتمعات الإسلامية .

ز) عدم ملاءمة الأنماط التنموية المستوردة ، وذلك أمر طبيعى حين يكون النمو موجها من ونحو الخارج ، فالمخططات التنموية عندنا تنطلق من التقليد الأعمى للغرب ، وتقوم على التبعية له فيما يخص المساعدات والإعانات . من المؤسف له أن تجد لدى صائغى المخططات التنموية فى عالمنا الإسلامى مفاهيم للتنمية مهمشة لدور كل من العلم والتكنولوچيا . فالتنمية ليست برنامجا لتوزيع الدخل وتأمين الخدمات ، بل هى العلم حين يصبح ثقافة كما قال « ما هو » المدير السابق لليونسكو .

ح) غياب دولة القانون وضمان الحريات العامة ، فبلداننا الإسلامية تتميز بالاستبداد والانفراد بالقرار مع ما يصاحب ذلك من مصادرة الرأى وخنق الأنفاس . فكيف يمكنك فى مثل هذا الجو المشحون بالقمع ، والإعتداء على الحريات ، وإلغاء كينونة الإنسان ، والدوس على كرامته ، إن يتوفر لديك مناخ البحث العلمى الضرورى لكل نهوض تنموى وبناء حضارى ؟ فحرية التعبير ، وحرية الإبداع ، وحرية الإبتكار ، وحرية الإختلاف ، وحرية النشر لا سبيل لتوفيرها إلا من خلال احترام حقوق الإنسان وسيادة دولة القانون. ولقد ساهم غياب ذلك فى بلداننا فى هجرة واسعة للعقول والطاقات التى حيل دونها ودون التعبير الحر عن أفكارها وآرائها ، ومنعت من المشاركة فى بناء مجتمعها والدفاع علما وعدلا وتقانةعن أوطانها .

ط) هشاشة مكانة المرأة ، وعدم الإعتراف بدورها الأساسى والهام فى بناء المجتمع .

فنحن لم نقتصر فقط على عدم تطوير إمكانياتها البشرية . بل علاوة على ذلك ، نسمح لأنفسنا بتعطيل تحرير نصف المجتمع ، أى نقوم بجريمة تعطيل طاقات وعقول ما يفوق ٥٠٠ مليون نسمة .

فالتخلف والانحراف السائدان اليوم فى المجتمع يرجعان فى جزء كبير منهما إلى تهميش دور المرأة وإلغاء كينونتها . ومادمنا نتكلم عن الإسلام ومستقبله فإنه ضرورى أن نشير أنه من العار علينا أن نجتر إلى اليوم أكاذيب قرون الضعف والوهن فى المجتمعات الإسلامية ، وترهات أزمنة الفوضى وصراعات السلاطين والخلفاء على كراسى الحكم ، القائلة بأن المرأة أحبولة الشيطان وطريق إبليس ، ولا دور لها إلا الأنس فى الفراش والإنغلاق بالبيت .

فلقد رجعت إلى أهل الاختصاص ، وتعرفون أننى لست براو للحديث ولا بمتخصص فى فنونه ، فاستفدت منهم أن عديدا من واضعى الحديث ومختلقيه قد صاغوا نصوصا مازال يرددها زمرة من « الشيوخ » إلى اليوم ، يفسدون بها صورة الإسلام ، ويمنعون من خلال ترسيخ مفاهيمها ومضامينها المستقبل الزاهر لمجتمعاته . من ذلك مثلا الأكذوبة القائلة : « شاوروهن وخالفوهن » ، فأهل الإختصاص يشهدون أن هذا الحديث لا أصل له ، ومكذوب على رسول الله صلى عليه وسلم . ومنه كذلك حديث مكذوب روج له الراغبون فى تعطيل طاقات هذه الأمة من مستبدى الحكام وجهلة « العلماء » ، مفاده أن بنت النبى سألت أباها عليه الصلاة والسلام عن أى شئ أصلح للمرأة فقال : « ألا ترى رجلا ولا يراها رجل » ، وهو حديث مكذوب موضوع كما يقول أهل الفن لا يمكن أن ينسب للرسول قطعا ، هذا إلى جانب مخالفته الصريحة والواضحة لنصوص القرآن .

فلو رجعنا إلى كتب الحديث ورجاله ، لوجدنا أن عديدا من النساء كن فقيهات ، وراويات للحديث ، ومجاهدات مشاركات فى الحروب ، وغير ذلك من المهام إلى جانب إخوانهن من الرجال ، منهم مثلا لا حصرا « كريمة بنت أحمد المروزية » إحدى راويات صحيح البخارى باكمله ، والتى نوه بحفظها شارح وخادم صحيح البخارى الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه « الفتح البارى » .

لا أريد المزيد من البسط فى الموضوع بقدر ما أريد من العلماء الأجلاء الحاضرين

تنوير ندوتنا بالعديد من التوجيهات النبوية الداعية إلى تكريم وتعزيز المرأة ، واعتبارها شقيقة الرجل فى العبادات والمعاملات . والدلالة على تهميشها غيابا بشكل ملموس فى هذه الندوة . ولكم ألحت على منظميها أن تكون المرأة مشاركة بنسبة معادلة ، لأن الأمر يتعلق بالمستقبل ويتعلق بمستقبل الإسلام الذى استشرف رسوله مستقبله قبيل موته فقال فى حجة الوداع وهو يوصى أمته : « أوصيكم بالنساء خيرا » . فهل من الخير تكبيلها وتجهيلها والتنقيص من دورها ، بل إلغاؤها والحكم ببطلان عملها ؟

وأنبه إلى أنه لا مستقبل للإسلام بدون مشاركة فعالة للمرأة ، ولا مستقبل للمجتمعات الإسلامية التى تتبنى سياسة معادية للمرأة التى منحها الدين كل حقوقها . ونحن نرى أن هذا المشكل الإجتماعى الذى يلزم أن يحظى بالأولوية القصوى إذا كنا بالفعل جادين فى التفكير فى مستقبل المجتمع الإسلامى ، وأردنا تفجير جميع طاقاتنا البشرية وتشجيع ابتكارها لفهم وحل الإشكاليات المعاصرة والمستقبلية .

وتجدر الإشارة إلى أن وضعية المرأة هى وضعية عالمية ، فالمرأة مهانة شرقا وغربا ، مع تفاوت بين الدول ، وحالها بالبلاد المتخلفة خير دليل على العلاقة المتينة بين النمو الثقافى والإجتماعى والإقتصادى وبين وضعية الإنسان والدفاع عن كرامته وحقوقه . والعالم الإسلامى كما أشرت يمثل الجهة الأكثر تخلفا فى ميدان التربية والتعليم والثقافة والاقتصاد ، وخاصة منه الجزء العربى .

فيجب علينا أن نعلم أن مشكل المرأة يواجهنا بتحديات ، ويتطلب منا تحليلات اجتماعية ، ونقدا ذاتيا صارما ، واجتهادا حاسما ، وأن نعيد الرجوع إلى القرآن دراية وقراءة لنفهم ونعى بصدق ووضوح المقاصد والغايات والأولويات ، ونتمكن من إيجاد الحلول فى الأمد القصير والمتوسط لما يترتب عن وضعية المرأة من مشاكل ، وما تمليه من التحديات المتفاقمة بفعل الحركة السريعة للتاريخ .

وفى اعتقادى ، أن مشكل المرأة فى العالم الإسلامى هو من أعظم المشاكل التى نواجهها ، نحتاج عاجلا إلى إيجاد الحلول الناجعة لها بأنفسنا ، وانطلاقامن ذاتنا ، وبمساهمة جميع الفاعليات فى مجتمعاتنا ، بدون قيد ولا شرط على المرأة ، شأنها فى ذلك شأن أخيها الرجل .

٢ ـ ٢ ـ ٣ – مشكلات تستعجل الحل :

أ) مشكلات الأقليات الإسلامية : فهناك أقليات تصارع داخل مجتمعات مهيمنة من أجل البقاء ، فهى إما استمرار لتلقيح حضارى إسلامى لم يتوسع ، وإما بقية صامدة بعد أفول الحضارة الإسلامية وغياب الدعم الإسلامى ، أو مجموعات بشرية هاجرت من أجل لقمة العيش بعد أن أصبحت الغربة خارج الأوطان أهون واقعاً فى الأفراد من الغربة داخلها . نجد ضمن هذه الأقليات العمال المهاجرين فى أوروبا الغربية ، وسكانها الجمهوريات الآسيوية فى الاتحاد السوفيتى ، وعشرات الملايين من المسلمين الموجودين بالهند والصين والفلبين ، وعلينا إذا كنا نرغب فى مستقبل راق للعالم الإسلامى أن نفكر جديا فى مصير هذه الأقليات ومستقبلها ، وأن نعمل على حمايتها من الذوبان والإندماج المشوه .

ب) القضية الفلسطينية : وهى قضية استراتيجية داخل العالم الإسلامى ، فتحرير فلسطين من الصهاينة واجب أكثر من ضرورى ولازم ، وإعداد القوة بمختلف أشكالها أمر لا مفر لنا منه ، إذا كنا راغبين فى التحرير ، والذين يظنون أن الطريقة الدبلوماسية على شاكلة « كامب دايفيد » ستفضى إلى جلاء المغتصب واهمون . فإسرائيل تثير الرعب والقمع داخل صفوف الفلسطينيين فى جميع التراب الفلسطينى ، وخاصة داخل القدس ، وما يريدوننا أن نسميه بالأراضى المحتلة حتى يضمنوا اعترافنا التلقائى باحتلالهم لباقى أجزاء فلسطين العربية الإسلامية . والمتتبع لبرامج وخطط العدو الصهيونى يدرك أن إسرائيل يتملكها الفزع من المستقبل ، وأنها لا يهدأ لها بال إلا بإزالة أنياب كل دول المنطقة، يدل على ذلك تحكم الإسرائيليين فى علوم الذرة والفضاء ، إلى جانب غفلتنا عنها رغم أن العالم الإسلامى يحتوى على ٤٥ فى المائة من احتياط الأورانيوم فى العالم .

٣ - الآفـــــاق

لعل ما يميز النظام الدولى الحالى هو اختلال توازنه بين شمال وجنوب . فأقل من ٢٠ فى المائة من سكان المعمورة يمتلكون أكثر من ٨٠ فى المائة من الثروات المادية ، وهذا إجحاف فى حق الضعفاء لا يمكنه أن يدوم إلى الأبد . وبالتالى فإن هذه النسبة ستنخفض فى العشرين سنة المقبلة لتعادل ١٠ فى المائة أو أقل منها بعد ٣٠ سنة .

ثم إن نمط التنمية الصناعية المعاصر لا يمكنه بدوره أن يستمر حتى ولو دام العالم الثالث على وضعه المتردى الحالى . كما أن الشمال مجبور بأن يقلص من استعمال الطاقة بنسبة ٢٠ فى المائة فى العشر سنوات المقبلة ، لأن استعماله المبدد للمحيط الحيوى يبلغ حاليا ٤٠ فى المائة ، والأمر هنا يتعلق بوجود البشرية وبمصير الكرة الأرضية . وبالرغم من أن الجمعية العامة الطارئة للأمم المتحدة حول التنمية قد تبنت قرارا حول المساعدة من أجل التنمية مؤخرا ، فإن هذه السياسة سبق لها وأن برهنت على آثارها السلبية وعدم جدواها ، بعد تجربة دامت ٣٠ سنة .

كنت أود فى دراستى هذه أن أشير إلى ما أسميه بالنفاق الدولى ، والذى يشترك فيه كل من الشمال والجنوب لتحقيق المصالح الخاصة ، وإلى التعاون جنوب - جنوب والتبعية الذاتية الجماعية ، وإلى دور المسلمين فى الدراسات المستقبلية ، لكن أرانى قد أوجزت فى عرضى أهم تحديات المستقبل التى تواجهها الأمة الإسلامية . مقدما فى آخر هذه الدراسة (انظر الملحق) معطيات إحصائية حول العالم الإسلامى توحى قراءتها بالكثير ، وتفرز للمتمعن فيها نوع التحديات وحجم التطورات فى المستقبل إذا لم نبادر بالعمل فورا .

فعدد السكان بالعالم الإسلامى يتراوح اليوم بين ٩٥٠ ومليار و ١٠٠ مليون نسمة ، وقد يصل هذا العدد سنة ٢٠٢٠ إلى ما بين مليار و٦٢٥ مليون ومليار و ٨٥٠ مليون نسمة .

إضافة إلى هذه المعطيات الديموجرافية التى ترعب الغرب على وجه الخصوص ، أريد أن أشير إلى نقطتين هامتين :

الأولى : أن عدد المسلمين فى تزايد مستمر مقلق للغرب والراصدين لتطور العالم

الإسلامى بالفاتيكان ، إذ فاق عددهم ابتداء من ١٩٨٥ عدد الكاثوليك ، وحتى ندرك أهمية هذا العامل الديموجرافى ونفهم لماذا يثير الرعب فى قلوب المتربصين الدوائر بالأمة الإسلامية ، نشير إلى مقارنات ثلاث :

– إن عدد المسلمين اليوم يفوق عدد سكان العالم حين بداية الإجتياح المكثف لديار الإسلام من طرف القوات الإستعمارية سنة ١٨٣٠ .

– بعد ٣٠ سنة من الآن سيعادل عدد المسلمين عدد سكان العالم فى مطلع القرن الميلادى الحالى .

– فحسب إسقاطات من مصادر غربية ، كان حجم التيار اليهودى المسيحى يمثل ٣١ فى المائة ، والتيار الإسلامى ١٧ فى المائة ، وفى سنة ٢٠٢٥ ، ستنخفض نسبة التيار اليهودى ـ المسيحى إلى ٢٥ فى المائة ، وسترتفع نسبة التيار الإسلامى إلى ٣٣ فى المائة . أما توقعات نفس المصادر لآخر القرن الواحد والعشرين ، فتشير إلى أن نسبة التيار اليهودى ـ المسيحى ستكون أقل من ٢٠ فى المائة ، والإسلامى أكثر من ٤٠ بالمائة . وعلى هذه الوتيرة ، يمكن أن نؤكد أنه بعد أربعة أو خمسة أجيال من الآن ، ستكون نسبة المسلمين أكثر من ٥٠ بالمائة من سكان العالم .

الثانية : النسب الكبيرة للمسنين بالغرب ، ما سيضطره فى السنوات العشر القادمة لمكافحة هذه الشيخوخة الديموجرافية إلى استقدام المهاجرين وتبنى مزيد من الأجانب ، خاصة من ذوى العقول والمبدعين الأذكياء حتى يحافظ على نموه الاقتصادى . ومما يزيد من تخوفه شباب سكان العالم الإسلامى الذين إن غفلنا عن إعدادهم ضاع المستقبل .

٤ - خلاصة

إن أزمتنا هى قبل كل شئ أزمة نظرة ناتجة عن عدم وجود مشروع جماعى ، وغياب فئة مسيرة قادرة وكفأة ، ونخبة من المفكرين النيرين بحيث أن أغلب هؤلاء هم مغتربون ثقافيا ، ويمارسون نوعا من الرقابة الذاتية على أقوالهم وكتاباتهم ، كما يذهب البعض منهم إلى حد بيع نفسه لمن يقدم له المزيد .

إنها كذلك أزمة روحية وأخلاقية ناتجة عن حيرة من حيث الانتماء إلى قيم متنافية ،

تتأرجح بين نظام قيم جامد ، لم يعرف كيف يتطور لمواجهة التحديات الجديدة من جهة ، ونظام قيم مستورد فى شكله الخام يتلاءم مع واقع صانعيه ومشاكلهم الحقيقية لا مع واقع ناقليه من جهة ثانية . ولعل هذا ما يفسر فقدان الثقة لدى الشباب .

والحصيلة أن هناك فراغا كبيرا تحاول عدة تيارات غير إسلامية سده ، ومنها الدين الجديد المسمى بالفرنكفونية فى منطقتنا المغاربية ، الذى يريد أن ينسخ لغتنا وحضارتنا ويفرض عليها لغة لا ينطقها سوى أربعة بالمائة من سكان العالم . مما يدعونا للمبادرة بعلاج أوضاعنا والتفكير بإمعان وحزم فى مستقبلنا ، فالطبيعة كما يقال تكره الفراغ ، والأمر كذلك بالنسبة للمسلمين غربا وشرقا وللإنسانية أجمع .

الجزائر : ٧ شوال ١٤١٠ ـ موافق ٣ مايو ١٩٩٠

التقرير الختامي للندوة

تدراس المشاركون في ندوة قضايا المستقبل الإسلامي البحوث المقدمة خلال ثلاث عشرة جلسة ، وكانت أهم التوجهات التي أفرزتها البحوث وما جرى حولها من مداولات ما يلي :

١ - هناك حاجة ماسة إلى تعميق المفاهيم المستقبلية خاصة لدى القيادات العلمية والإدارات كما أن هناك حاجة ماسة إلى العناية بالدراسات المستقبلية وتطويرها في المؤسسات العلمية في المجتمعات الإسلامية ، وغني عن القول أن الدراسات المستقبلية الإسلامية لا يمكن أن تتم بصورتها المثلى إلا إذا تمت من خلال مراكز البحوث العلمية المتخصصة، ولذلك فإن الحاجة ملحة إلى العناية بالبحث العلمي والباحثين المتخصصين وتوفير جميع الامكانات والوسائل التي تضمن للبحث العلمي الإسلامي مكانته اللائقة ضمن النشاط العلمي العالمي .

٢ - مستقبل الأمة الإسلامية مرهون إلى درجة كبيرة بمدى قدرة المسلمين من خلال مؤسساتهم وهيئاتهم وحركاتهم على جعل الإسلام المحور والمرتكز لوجودهم بكل جوانبه ، ومدى قدراتهم على إحياء قيم الإسلام الكبرى وبثها في حياتهم بكل أوجهها .

٣ - من أخطر ما تعاني منه بعض المجتمعات الإسلامية ويهدد مستقبلها ، غياب العدالة وتفشي مظاهر الظلم والاستبداد السياسي والإداري والاقتصادي ، ولذلك فإن أهم وأول مطلب إسلامي هو إقامة العدل في المجتمعات الإسلامية ومحاربة الظلم والاستبداد بكل أصنافهما وجميع مستوياتهما .

٤ - من أهم ما بنيت عليه الرسالة الإسلامية القيم والمثل الأخلاقية التي ينبغي أن تسود

الحياة البشرية . ومن أهم ما أصيبت به البشرية هو غياب أو ضعف هذه القيم ، ولذلك فإن على أمة الإسلام تطبيق هذه القيم فى مجتمعاتها والسعى لتأصيلها فى المجتمعات الإنسانية بكل ما هو متوافر لها من إمكانيات ووسائل .

٥ - إن حماية حرية الإنسان وصيانة الكرامة الإنسانية من أهم المطالب الشرعية ، ومن الشروط الكونية التى لا يمكن أن تستقيم الحياة البشرية بدونها ، وأن مستقبل المجتمعات الإسلامية مرهون بمدى قدرتها على تحقيق واجبها الشرعى فى صيانة كرامة الإنسان ورعاية حريته .

٦ - إن من أهم ما تعانى منه الأمة ويعوق مسيرتها المستقبلية تخلفها فى معظم جوانب الحياة وعلى رأسها التخلف الفكرى . ولكى يكون المستقبل خيرا من الحاضر فإن على الأمة مواجهة هذا التخلف بجميع مستوياته الفكرية والمعرفية والسياسية والاقتصادية والصناعية والتقنية والاجتماعية .

٧ - إن واقع المرأة المسلمة بوجه عام لا يزال دون ما يرتضيه الإسلام لها بكثير . وعلى المسلمين عامة والحركات الإسلامية بوجه خاص إعادة الاعتبار للمرأة المسلمة ورفع ما وقع عليها من مظالم بسبب الجهل وسوء فهم الإسلام ، والتيقن أن مستقبل أجيال الأمة مرهون بضمان ممارسة المرأة لدورها الكامل فى الحياة شقيقة للرجل وشريكا له فى الاستخلاف ومسئولية عمارة الكون . والأمل معقود فى المرأة المسلمة على أن تعى دورها وتتحمل مسئوليتها وتتصدى لكل أنواع التحديات التى تواجهها .

٨ - إن الخطر الصهيونى على الأمة لا يقتصر على اقتطاع جزء غال من بلاد الإسلام ، وإنما يتعدى ذلك إلى تهديد الوجود العربى الإسلامى كله ، بل الإنسانية بوجه عام وأنه أعظم تحد خارجي تواجهه الأمة فى حاضرها ومستقبلها ، ولن تتجاوزه إلا بالارتقاء بمستوى مواجهتها له وجعل هذه المواجهة عقائدية وعلى مستوى الأمة كلها .

٩ - إن من أعظم التحديات المعاصرة والمستقبلية التى تواجهها الأمة الهجرة اليهودية إلى فلسطين التى تشكل مرحلة متقدمة من التآمر على الأمة وحلقة جديدة من حلقات المخططات الاستعمارية للمنطقة الإسلامية بأسرها . ومن المؤسف أن رد

الفعل العربى والإسلامى لم يتجاوز الشجب اللفظى والمواقف الشكلية المكررة وعلى جميع القيادات الفكرية والحركات الإسلامية توعية الشعوب الاسلامية بخطورة هذا الغزو وحجم تهديده لمستقبل الأمة ، وبذل كل إمكانتها للتصدى له على جميع المستويات وبكل السبل .

١٠ - هناك حاجة ماسة لأن تقف الأمة الإسلامية موقفا حازما تجاه ما تلاقيه المناطق والأقليات الإسلامية فى الغرب والشرق من اضطهاد ومصادرة للحريات وحرمان من الحقوق الإنسانية الأساسية وحرية ممارسة الشعائر وإعلان المعتقد . كما أن هناك حاجة إلى تضافر جهود المؤسسات الإعلامية فى العالم الإسلامى لفضح المؤامرات التى تحاك ضد هذه المناطق والأقليات وتعرية مواقف النفاق التى يقفها الغرب من قضاياهم .

١١ - ما يواجهه جنوب السودان من غزو لا يقتصر على تهديد السودان وحده ، وإنما يهدد الوجود العربى الإسلامى فى القارة الإفريقية كلها . وهو جزء من المخططات ضد الإسلام والأمة الإسلامية . وعلى المسلمين شعوبا وحكومات أن يهبوا لمواجهة هذا الخطر الداهم والتحدى الكبير قبل أن يفوت الأوان .

١٢ - أن الوحدة الإسلامية مطلب مستقبلى للأمة ، وهى واجب يفرضه الإسلام ، ورصيد ضخم لن تتمكن الأمة من مواجهة ما يكتنفها من أخطار إلا به ، وعلى الأمة بجميع فئاتها أن تجعله من أهم مرتكزات مشروعها الحضارى المستقبلى وأن العناية باللغة العربية والسعى لجعلها لغة العالم الإسلامى من جديد واجب مستقبلى لن تتحقق الوحدة الفكرية والثقافية ولن تتحدث الهوية الحضارية للأمة إلا به .

١٣ - إن من أهم واجبات المجتمعات الإسلامية والتيارات الإسلامية فيها بوجه خاص التصدى لمشاريع التغريب والعلمنة التى تواجهها معظم البلاد الإسلامية ، وتشكل تحديا حضاريا لمستقبلنا ، ومن أهم سبل مواجهتها تخليص مشاريع وخطط التنمية فى البلاد الإسلامية من كل أشكال التغريب والتبعية بجميع مستوياتها .

١٤ - أن التغيرات التى تشهدها الساحة الدولية خاصة فى الكتلة الشرقية وأوروبا الغربية وما تنبئ به من تحولات فى مراكز القوى والتكتلات العالمية يوجب على المجتمعات الإسلامية والأنظمة الحاكمة فيها بوجه خاص إعادة النظر فى موقفها والسعى الحثيث لمواجهة هذه التحولات سواء باستثمار ما تهيؤه من فرص وإمكانات جديدة ، أم بالاستعداد لما تبعثه من أخطار جديدة .

١٥ - على الرغم من الإيمان الكامل بضرورة حماية البشرية من جميع أنواع الأسلحة الفتاكة التى تهدد مستقبل الانسانية والإيمان الكامل بأن الإسلام دين سلام ورحمة للبشرية ؛ إلا أن الواقع العالمى وما يتوقع أن يحمله المستقبل من تحديات عسكرية للأمة الإسلامية يفرض على المجتمعات الإسلامية امتلاك مقومات الدفاع عن نفسها وحماية وجودها المهدد ، والواجب على الدول الإسلامية التعاون الوثيق فى هذا الجانب درءا لتكرار الجهود بتبديد الطاقات .

١٦ - إن الفجوة المتعاظمة فى المعارف والتقنيات الصناعية الحديثة بين المجتمعات الصناعية وما تنبئ به التوقعات المستقبلية عن ذلك ، خطر مستقبلى شديد لابد أن تتضافر جهود جميع فئات الأمة الرسمية وغير الرسمية لمواجهته بما يليق به من استعدادات وإمكانات . ولابد من استنبات التقنية فى المجتمعات الإسلامية وبناء استراتيجيات التنمية فى هذه المجالات على ذلك . لا يمكن أن تحقق المجتمعات الإسلامية طموحاتها فى الحياة إلا بالتحرير الكامل من كل هيمنة أجنبية مهما كان نوعها ومهما كان مستواها ، وبدون هذا الاستقلال فلن يكون هناك مستقبل حقيقى للأمة .

١٧ - من أعظم ما يهدد مستقبل الأمة الإسلامية هجرة العقول العلمية ، والواجب على جميع الدول فى البلاد الإسلامية اتخاذ الأسباب وتهيئة الظروف التى تحول دون هذا النزيف لطاقات الأمة كما أن عليها العمل على استعادة ما يمكن استعادته من العقول المهاجرة .

١٨ - إن هناك حاجة ماسة إلى العناية بفقه الوحدة وفقه الاختلاف وتطويرهما ونشرهما فى جميع أوساط المجتمعات الإسلامية . كما أن هناك حاجة ماسة إلى فتح أبواب الحوار بين جميع الفئات سواء بين المسلمين بعضهم بعضا ، أو بين المسلمين وغيرهم ، وإن هذا الحوار ليس ضرورة يفرضها الواقع ويتأثر بها المستقبل فقط ،

وإنما هو قبل كل ذلك واجب شرعي ينبع من رسالة الإسلام وعدالته .

١٩ - إن هناك حاجة ماسة إلى تطوير العلاقة بين القوى الشعبية والأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية ، وإلى تطوير وسائل الحوار وأساليبه بينها ، ويتجاوز مرحلة التجاهل والتصادم والصراع التي لم يستفد ولن يستفيد منها إلا أعداء الأمة .

الجزائر - شوال ١٤١٠ (مايو ١٩٩٠)

اختلال موازين الغرب في ميدان حقوق الإنسان *

إذا نظر الإنسان إلى الأحداث التى وقعت فى أوروبا الشرقية فى نهاية ١٩٨٩ ولا تزال تطوراتها جارية، من زاوية إنسانية ، لا يمكن له إلا أن يعرب عن ارتياحه لكل ما من شأنه أن يجسم حقوق الإنسان وكرامته ويزيد فى حريته وإمكانياته الخلاقة وهو جانب إيجابى لتلك الأحداث ، فإذا أردنا أن نحلل بدقة ما وقع وحدث فى أوروبا الشرقية فإن ذلك يتطلب منا بداية أن نتساءل :

أولا - ما هى درجة المفاجأة فيما حدث بأوروبا الشرقية ؟

لقد كانت الأحداث مفاجأة للذين يتابعون الأحداث يوميا وينظرون للأمور بنظرة قصيرة المدى أما بالنسبة للذين يحللون التطورات برؤية مستقبلية وبالانطلاق من معطيات الماضى والتاريخ ، فقد كانت هنالك مفاجأة ، ولكنها ليست بنفس الدرجة . ففى يونيو (حزيران) من عام ١٩٨٠ وأثناء مقابلة لى مع برنامج تلفزيونى فرنسى مشهور « ملفات الشاشة » طرح آنذاك عقد الثمانينات للتأمل والتوقع قلت إن هذا العقد سيكون عقد الانقطاعات وإن تسارع الأحداث التاريخية سيؤدى إلى بعض التغييرات الجذرية ، ولا أقول هذا للإدعاء بأننى توقعت ما حدث الآن ، فليس هذا هو المهم . إن المهم ، هو أننا نعيش عصر المعرفة والعلم والتكنولوجيا وهى أشياء تؤثر على التطورات العالمية ، ولكن « الانقطاعات » التى حدثت بأوروبا الشرقية حصلت بوتيرة أسرع ، وهو ما يجعلنا نتساءل أيضا : لماذا بدأت فى أوروبا الشرقية بالذات ؟

---

* فبراير ١٩٩٠ .

بعدما أشرنا للسلبيات ضمنيا من خلال التطورات والدفاع عن حقوق الإنسان وغيرها ، ينبغى أن لا ننسى ، أن الأنظمة الشيوعية فى أوروبا الشرقية بقطع النظر عن النواحى السلبية وهو أمر أكرره ، كانت لها عوامل إيجابية ، هى التى هيأت المناخ الملائم للتطور الذى عشناه أخيرا .

ويمكن تحديد تلك العوامل فيما يلى :

١ - منطقة أوروبا الشرقية تغلبت على البؤس والفقر ، ولس هناك فيها أى نوع من الفقر أو البؤس كما نعرفه فى أغلب دول العالم الثالث .

٢ - أن أنظمة دول أوروبا الشرقية نجحت فى ميدان محو الأمية ، حيث نجد نسبتها لا تتجاوز الخمسة بالمائة من السكان وهذا يعنى أن مستوى المعرفة مرتفع ، إذن مستوى معين من المسئولية .

٣ - هذه منطقة نشرت المعرفة والثقافة بوسائلها وشجعت أيضا البحث العلمى .

٤ - من الناحية الصحية وفقت الدولة فى سياستها فى مجال الصحة ، إلى درجة معينة ، حققت بها معدلا لمتوسط الأعمار تجاوز السبعين عاما ، وهو رقم يعادل الأرقام المسجلة فى البلدان الصناعية الأخرى .

إن السلبيات التى عانت منها أوروبا الشرقية تضاف إليها الإيجابيات التى ذكرناها دفعت وأعطت للشعوب فى هذه المنطقة قدرة وقوة ، لتواجه بمعرفة وبوعى سياسى مشاكل الضغط الناتجة عن الأنظمة الشيوعية ، لكن ينبغى أن نسجل فى الوقت نفسه أن تلك الأنظمة واجهت « الانقطاعات » والتحولات بطريقة ، يمكن القول عنها أنها سلمية أو شبه سلمية ، لأن الأرواح والدماء التى سالت أثناء أحداث أوروبا الشرقية ، قليلة بالقياس لما نعرفه فى الثورات الحقيقية تاريخا ...

ثانيا : كيف يمكن أن ننظر لهذه التطورات من الناحية العالمية ؟

أعتقد أن التغيرات الى وقعت بأوروبا الشرقية ، أصبحت الآن جزءا من الحضارة المعاصرة ، وينبغى أن نفهم أنه مع تطور الزمن فإن أمراً طبيعيا سيطفو ، وهو أن كرامة الإنسان هى الأساس .

ويعتبر موضوع حقوق الإنسان حاليا عاملاً أساسيا فى التحركات الدولية ، ويكفى أن نذكر بأن المنطقة الأولى من جدول أعمال أولى الإتصالات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية فى السنوات الأربع الأخيرة ، كانت موضوع حقوق وكرامة الإنسان . ويمكن القول بأن هذا تيار عالمى ، وقد رأينا بعض نتائجه بطريقة درامية فى أوروبا الشرقية ، وهى بداية سنرى تطورات مماثلة لها فى العالم وبالخصوص فى العالم الثالث فى عقد التسعينات .

ثالثا : ما هى الخصوصية فى أحداث أوروبا الشرقية ؟

إن كون التطورات الحاصلة فى أوروبا الشرقية لها طابع عالمى ينفى عنها خصوصيتها . فبالإضافة إلى العوامل التى ذكرتها سلفا ، والمتصلة بأوروبا الشرقية ، ينبغى أن لا ننسى دور القيم وبالخصوص القيم الدينية ، التى كان لها تأثير ، وهو التأثير الذى فشل النظام الشيوعى فى محوه .

وينبغى أن لا ننسى كذلك بأن الأحداث والتغيرات التى حصلت بأوروبا الشرقية ، انطلقت منذ زمن ، بالمشاكل مع الكنيسة وخاصة الكاثوليكية ببولندا ، وما وقع مع لاش فاليسا ، بالإضافة إلى دور البابا فيما حدث . كما ينبغى أن نتذكر أن أول ما وقع بالمانيا الشرقية انطلق عندما خرجت عشرات الآلاف من المواطنين متظاهرين من الكنيسة البروتستانتية فى مدينة براست ، ووقعت أحداث مشابهة فيما تبقى من دول أوروبا الشرقية التى بدأت فيها مظاهرات ذات طابع دينى وهو ما وقع فى براغ وصوفيا ..

وهو أمر ينبغى التركيز عليه ، لأن القيم الروحية والدينية هى التى دفعت المنطقة إلى هذا الانقلاب ، وأدت إلى مساعدة وتفهم وعطف كبير من بقية دول العالم والغربى بالخصوص . من ناحية ثانية يكفى أن نقول بأننا رأينا من التفرقة ما يؤلم كل من ينظر لتطور الإنسانية بكيفية عالمية حقيقية ! .

رابعا : كيف تفاعل الغرب مع الأحداث ؟

لقد عشنا الأحداث ... دقيقة بدقيقة فى رومانيا الشرقية وجدار برلين .. وتتبعنا تفهم وتعاطف الغرب لما يقع ، فماذا حدث عندما انفجرت أحداث مشابهة فى المنطقة نفسها ، أعنى ما وقع بأذربيجان ؟

لقد كان رد الفعل من نوع ثان .. حيث انحسر العطف ، وأصبح تحليل الغرب لأحداث اذربيجان أنها « مسألة انفصالية » وكعمليات دينية محض قام بها متطرفون كما أشير إلى « خطر الإسلام » .

والحقيقة أن المراقب للتطورات فى العالم وبالخصوص فى مجال حقوق الإنسان ومن زاوية إنسانية وعالمية ، يصعب عليه أن يفهم التحيز الذى اتسم به الغرب فى تناوله لهذا الموضوع . فمثلا لاحظنا أن جورباتشوف صرح إبان ثورات بلدان أوروبا الشرقية ، أنه لا يتوقع استعمال الاتحاد السوفيتى للقوة أو الجيش ضد إرادة أى شعب ومهما كان .

وفعلا لم يتدخل الجيش السوفيتى عندما انفجرت الأحداث فى جمهوريات ليتوانيا واسطونيا ، رغم إقدام تلك الشعوب على اتخاذ قرارات خطيرة ، مثل انفصال الأحزاب الشيوعية لتلك البلدان عن الحزب الشيوعى السوفيتى .

ولكن عندما وقعت أحداث أذربيجان لاحظنا أولا تعاطفا عالميا من قبل رئيس الولايات المتحدة ووزراء السوق الأوروبية المشتركة بالإضافة إلى وسائل إعلام الغرب ، وقدمت مشكلة أذربيجان كقضية دينية بمفهوم ضيق ، والمقصود من ذلك تخويف الرأى العام من التيار الإسلامى ، ولكى أبرهن على هذه النقطة ، التى اعتبرها أساسية ، وتتمثل فى تمييز الغرب عند دفاعه عن حقوق الإنسان لمناطق عن أخرى ، آخذ مثالا رمزيا على ذلك : « جاك دولور » لما أعرفه عنه منذ وقت طويل عندما كان أستاذا فى جامعة باريس ، وهو الرجل الذى أقدره كثيرا ، ولكننى أعتقد أنه وتحت تأثير الرأى العام ، وقع فى نوع من التناقض فى هذا الموضوع .

ففى برنامج تلفزيونى فرنسى مشهور « ساعة الحقيقة » بث يوم ٢٣ يناير (كانون الثانى) تحدث « دولور » عن الأحداث فى أذربيجان .

وتجدر الملاحظة فى هذا السياق بأن هذا البرنامج يتلقى أسئلة مباشرة من

النظارة ، وتبين بالأرقام أن أهم سؤال كان يشغل بال النظارة ، يتعلق بأذربيجان . وقد رد « دولور » على الأسئلة بطريقة ركز فيها على موقف وزراء السوق الأوروبية المشتركة المؤيد لجورباتشوف مستعملا عبارة تعجبت منها شخصيا ، حين قال : ما يقلقنى فى مرتبة ثانية هو عدم التسامح الإسلامى بأذربيجان، والذى هو فى نفس الوقت مشكل يهمنا جميعا ، ينبغى التفكير فيه .

تطرق أيضا إلى مسألة الحجاب التى شغلت الفرنسيين لمدة أسابيع ، وأعتقد أنه قال ذلك الكلام ، نظرا لموقعه لدى الرأى العام الفرنسى ، ومن المعلوم أن « جاك دولور » هو الشخصية التى تتمتع بشعبية كبيرة ، ولكى يحافظ على شعبيته كان من اللازم بالنسبة له أن يشير إلى كلمتى « الإسلام غير المتسامح » ، « ومسألة الحجاب » رغم تراجعه عن هذا الموقف فى نهاية البرنامج ليقول كلاما واقعيا ، عندما أشار لضرورة تحديد المقصود من الإسلام ، إذ قال بأنه يوجد إسلام متسامح ، وينبغى تشجيع الدراسات لفهم هذا الإسلام ، كما أشار إلى أن نجاح الإسلام والحركات الإسلامية أمر ناتج عن الأوضاع الاجتماعية فى البلدان الإسلامية .

و« وجاك دولور» الذى تحدث يوم ٢٤ يناير ١٩٩٠ عن الروح اللامتسامحة فى الإسلام ، كان يوم ١٧ أكتوبر ١٩٨٩ أى قبل تسعة وثمانين يوما فقط قد حضر اجتماعا دينيا هاما عقده فى « لورد » بفرنسا القساوسة الكاثوليك الفرنسيون حيث صرح مركزا على مسألة القيم فبعد أن رأينا « أوروبا التجار » ها نحن الآن نرى « أوروبا القيم » . وأضاف : « إن الكنيسة تضع أوروبا موضع سؤال ولها مبررات ، إن أوروبا لا يمكن لها أن تكون مادية فقط » ، ويضيف دولور متوجها للكنيسة بأن « تدفع » أوروبا فى هذا الاتجاه .

ثم قال « دولور » ولقد جئت إلى لورد ـ بلد الروحانيات ـ لأن أوروبا محتاجة إلى مزيد من الروحانيات .

وفيما يعلق بالإسلام قال كلاما مشرفا ، ينسينا كل ما قاله أخيرا فى البرنامج التلفزى المشار إليه ، ولكننى أريد التركيز على بعض النقاط التى أشار إليها « دولور » فى خطابه بلورد فى الخريف الماضى ، خاصةقوله : إن المؤمنين بالإسلام حركيون أكثر ، وأكثر جرأة ، إنهم لا يخجلون من إعلان إيمانهم ولا يخشون رفع « رايتهم » .

وهنا لا نرى « جاك دولور » المتفهم فقط بل الذى يقدم للأوروبيين الإسلام كمثال ولو قال مسلم هذا الرأى لاتهم « بالأصولية » أو « التطرف » !!

خامسا : بقى أن نشير إلى صلة أحداث أوروبا الشرقية بالغرب :

من الناحية الاستراتيجية : إن ما نسميه بالغرب والعالم المنتمى حضاريا إلى المسيحية واليهودية ، يبلغ مجموع سكانه اليوم مليار نسمة موزعة على ثلاثة أجزاء متساوية تقريبا :ثلث فى أمريكا الشمالية والولايات المتحدة وكندا وثلث فى أوروبا الغربية وثلث فى أوروبا الشرقية التى يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ مليون نسمة تقريبا ، يمثل الاتحاد السوفييتى الثلثين فيها .

ومن الناحية الچيوسياسية وبعدما حدث فى أوروبا الشرقية ، سيصبح وزن المجموعة الأوروبية ٧٠٠ مليون نسمة تقريبا ، فهل سيصبح الصراع بين أوروبا وأمريكا ؟ أم أن استراتيچية العلاقات بين موسكو وواشنطن ستبقى هى المؤثرة فى مجرى الصراع ، وبالتالى سيستمر نوع من التوازن بين الدول الأكبر وتبقى أوروبا أقل شأنا ؟

لقد بدأنا نلاحظ بعض المظاهر التى تدفع إلى التأويل الثانى ، كنت أشرت إلى طلابى فى العلاقات الدولية منذ سنوات ، إلى أن أحسن مثال أعرفه فى تاريخ العلاقات الدولية، كمثال ونوع من « شهر العسل » هو ما يقع بين موسكو وواشنطن منذ عقد ونيف ، بصرف النظر عما كنا نلاحظة فى الصحف والتصريحات الرسمية ، فقد كان الاتصال الحقيقى هو بين قوتين عظميين تتصرفان فى العالم كما تشاءان ، يؤكد أن هناك اتفاقا ضمنيا ولو كانت الأزمة قائمة فعليا على مستوى شرق - غرب لما وقع ما نلاحظه الآن بين حلفى وارسو والأطلسى .

والعجيب فيما حصل أخيرا بعدما بدأت بعض دول أوروبا الشرقية بجلاء الجيوش السوفيتية أن أول تخوف لم يأت من موسكو ، ولكن جاء من « الناتو » وجاء من الولايات المتحدة ، ومرجع هذا التخوف هو أن سرعة إجلاء القوات السوفيتية ستخلق مشاكل كبيرة بالنسبة للتوازن ومفاوضات نزع السلاح بين واشنطن وموسكو .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن ألمانيا التى تتمتع بوزن كبير داخل أوروبا الغربية ، تتجه الأمور فيها إلى التوحد بين « الشرقية » و« الغربية » بل إنها أصبحت واقعية

وأتوقع أن لا يتجاوز تاريخ إعلان الوحدة أربع سنوات أو خمسا على الأكثر .

وعلى عكس التوقعات التى ذهبت إلى أن توحد الألمانيتين سيدعم موقع « الناتو » عالميا ، فإن تصريحات مسئولى البلدين توضح أن ألمانيا إذا توحدت ستنسحب من « الناتو » وهذا أمر له تأثير كبير على المشاكل الاستراتيجية فى أوروبا والغرب .

ويمكن أن نتساءل فى هذا السياق عما إذا كانت الأحداث التى شهدتها أوروبا الشرقية أخيرا ، هى نتيجة ما يسمى بالحرب الإيديولوجية بين الشيوعية والرأسمالية ؟ وهل ما تقدمه لنا وسائل الإعلام الغربية من أن نتائج هذه الحرب كانت لصالح الإيديولوجية الرأسمالية ، أمر مقنع أم لا ؟

إن تحليل الأمور من الوجهة الغربية ، يجعلنا نقول إن هنالك نوعا من الغلبة لنموذج على آخر . ولكن إذا حاولنا فهم ما وقع ، من بعيد برؤية موضوعية ، فماذا سنجد ؟

بالنظر للتاريخ الحديث من الناحية الحضارية والثقافية ، فإن القيم والإنتاج الفنى والثقافى للنمطين من الأنظمة ، تؤكد أنه لا يوجد فرق بينهما ، وإنهما نتاج لمصدر واحد هو ما يمكن أن نسميه بالحضارة اليهودية ـ المسيحية ، وهى عبارة استعملها بكل احترام واعتراف لما قدمته هذه الحضارة من تطور للإنسانية وبالخصوص خلال القرنين الماضيين ، وهو أمر لا يمكن تجاهله ، ولكن ينبغى التأكد فى ذات الوقت على أن النظامين سليلان لأسرة واحدة .

وإذا كان الغربيون يعتبرون أن ما يقع فى أوروبا هو « نزاع عائلى » داخل « العائلة الغربية » فماذا يعتبره الإنسان من خارج هذه العائلة ؟

إن النظامين مبنيان على المادة ، والنموذج الغربى الرأسمالى والشيوعى هو نموذج مادى أدى إلى سلبيات كبيرة تتمثل فى نموذج اقتصادى مبنى على درجة من الإنتاج أدت إلى ما نشاهده من تلوث وحياة مبنية على الضياع والتبذير. وتسجيل الأرقام أن مليار من سكان العالم ، وهو الغرب : العالم اليهودى والمسيحى الذى لا يمثل سوى الخمس من سكان الكرة الأرضية ، يستهلك أكثر من ٨٠ بالمائة من المنتوجات والموارد الطبيعية والمادية لهذه الكرة الأرضية !!

سادسا : بقى أن نتساءل أخيرا عن انعكاسات أحداث أوربا الشرقية على العالم الثالث والعالم الإسلامى ؟

ينبغى الرجوع كذلك إلى الأرقام التى تسجل بأن بقية سكان العالم يبلغون أربعة مليارات ، فما هو مستقبل علاقات هذا المجموع مع المجموعة الغربية التى تشكل المليار الخامس ؟

إن أهم نقطة بقيت أعيرها أهمية خاصة منذ سنة ١٩٧٩ عندما عقدت أول مائدة مستديرة فى إطار حوار شمال جنوب ، قلت آنذاك « ليس هنالك أى أمل فى أى نوع من الحوار شمال - جنوب إلا إذا تجاوز الشمال ما أسميته بالعراقيل الثقافية والحضارية » لأن أكبر مشكلة نواجهها الآن فى العالم - وأعتقد أن مسألة بقاء الإنسانية فوق الأرض لها علاقة بهذه المشكلة - هى التى أسميتها بالتأصل الثقافى .

لقد وصل الغرب إلى درجة من العجرفة حضاريا وثقافيا، نظرا لما حققه من رقى وتقدم تكنولوجى الأمر الذى جعله يشعر بأنه القوى دائما . والعجرفة ملازمة للقوة .

ويمكن القول بأن عراقيل التعاون بين الشمال والجنوب مستقبلا، هى ثقافية وحضارية ، وإذا كان العالم الإسلامى وحده يعادل وزنه مجموعة العالم الغربى اليهودى والمسيحى ، فكل واحد منهما يساوى مليارا ، فالمليار الغربى يستولى على ٨٠ بالمائة من مقدرات العالم كله ، بينما لا يتجاوز نصيب العالم الإسلامى الخمسة بالمائة منها .

إن العنصر الديمجرافى يبرر تخوفات الغرب ، ويمكن أن نتناول مثالا بسيطا ، يؤكد أهم الاختصاصيين الديمجرافيين بإجماع - بما فيهم الغربيون - أن المليار الغربى سوف لا يتغير كثيرا خلال المائة سنة القادمة ، وبالعكس سيتجه العالم الغربى ديمجرافيا إلى مرحلة الشيخوخة ، لأن معدل الأعمار فى تلك البلدان سيرتفع وبالتالى سيكون شعبا كهولا .

ويشير « جان بورشوا » الديمجرافى الشهير ضمن ارتساماته الاسقاطية بشأن التيارات الروحية والدينية ، خلال الفترة ١٩٨٠ - ٢٠٢٥ « أن التيار المسيحى اليهودى الذى مثل ٢١ بالمائة سنة ١٩٨٠ ، بينما سوف لا تتجاوز هذه النسبة ٢٥ بالمائة فى حدود سنة ٢٠٢٥ » .

أنها مسألة ينبغى التفكير فيها ، ومن خلالها نفهم ردود الفعل الأخيرة ضد الإسلام من قبل الغرب ، الذى قالت مصادره الدينية (الكنيسة) فى عام ١٩٨٥ ، أن عدد المسلمين أصبح يتجاوز الكاثوليك !

فى الأخير ، ينبغى أن نؤكد على أهمية تناول الأحداث التى تقع فى العالم ، من منظور المنطقة التى تقع فيها الأحداث فى محيطها ، ومن زاوية ذاتية وداخلية . كما ينبغى تناولها شموليا وعالميا من زاوية مصالحنا . وفى هذا السياق ، أعتقد ـ من خلال ما نعيشه فى معظم بلدان العالم الثالث ـ أن المسئولين لم يبرهنوا عن أية إرادة لتغيير جذرى بخصوص هذا التيار العالمى المتعلق بحقوق وكرامة الإنسان ، الأمر الذى يجعلنا نتخوف من حجم الثمن الذى سيدفعه العالم الثالث خلال السنوات القليلة القادمة ، وأعنى بذلك الثمن الذى لا يمكن تفاديه .

والمسألة المطروحة للتساؤل هل سيأتى هذا التغيير بروح سلمية ، وروح مشاركة ، أم سيكون بعنف وبمعارك دامية؟

إن الأمر المقلق هو أن العالم الثالث الذى كان مقصد الحركات التحريرية التى كانت تدافع عن كرامة الإنسان وحقوقه ضد الاستعمار أصبح اليوم يتلقى دروسا فى حقوق الإنسان من الغرب المجرم الأول فى هذا الميدان . لقد « حققت » الثلاثون سنة الماضية من استقلال دول العالم الثالث سجلا طويلا خرقت فيه كرامة الإنسان فهل انقلبت الآية ؟

(الرباط ، فبراير ١٩٩٠)

– " الشرق الأوسط " ١٧ فبراير ١٩٩٠

– " العقيدة " ، الجزائر ٣ أبريل ١٩٩٠ .

الديموقراطية وحقوق الإنسان
فى مواجهة الفرنكفونية *

س – عُرف عنك أنك ضد الفرنكفونية ، مع أن دراستك الأولى كانت بالفرنسية لماذا ؟ وما صلة خصومتك مع الفرانكفونية بإيمانك بتعريب التعليم والحياة العامة فى المغرب ؟

ج – أنا ضد الفرانكفونية ، هذا لا يعنى أن هناك نزاعا بين شخص ولغة ، لأن هناك فرق ما بين لغة - سواء كانت العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية أو الإسپانية - وبين فهم آخر للغة كالفرنسية ، مثلا : عندما نقول الفرانكفونية فليس هناك مثلا من يتحدث عن الانجلوفنية ولو أن اللغة الإنجليزية الآن هى اللغة الأولى على الأقل فى المجال الثقافى والحضارى المعاصر ، وليس هنالك من أحد يتكلم عن « الإسپانوفنية » ولو أن اللغة الإسپانية لها دور اليوم فى العالم أكثر من الفرنسية ، ليس هنالك من يتكلم عن « العربوفونية » إلا فى المغرب ، فى محطة إذاعة مدى طنجة التى تتحدث صباح مساء عن النشرة الفرنكفونية والنشرة العربوفونية .

فموقفى فى هذا الميدان موقف واضح ، ذلك أن اللغة والحضارة لهما قيمة خاصة ، وأنا لست ضد اللغة الفرنسية ، ولكنى أحارب أية لغة تريد استعمال نفسها واستعمال التعاون الثقافى لأشياء أخرى خارجةعن نطاق الحضارة والفكر ، والذى نجده بخصوص الفرنكفونية أردنا أم لم نرد ، هو أن قوة فرنسا ووجودها تعرف تناقصا يوما بعد يوم على مستوى عالمى ، وبالتالى فإن اختراع فكرة الفرانكفونية جاء كوسيلة استعمارية ثقافية ، واستغلال الدول التى كانت تحت الاستعمار الفرنسى قبل كل شئ

* ١٩٨٩ .

كاسواق ، والذى أحارب هو هذا الاستعمار الضمنى الفكرى باستغلال لغة ، إنه ليس لى مع اللغة الفرنسية فى حد ذاتها أى مشكل ، أتكلم بها وأكتب بها مثلما أكتب وأتكلم باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية ، فالذى أحارب هو استغلال هذه اللغة لأغراض أخرى ، فمثلا لم أفهم ما هى الألعاب الفرانكفونية ؟ صعب على فهم بعض الأشياء مثلما نأخذ مباراة فى الجرى لخمسة آلاف متر ، ونقول هذه ٥٠٠٠ متر فرانكفونية وهذه عربفونية وهذه أنجلوفونية ؛ فليس لذلك أى معنى ؛ أو نأخذ رياضة من الرياضات ككرة القدم ونقول نفس الشئ ، إذ ما الفرق بين كرة القدم الفرانكفونية وكرة القدم الأنجلوفونية أو الإسپانوفونية ؟

لذلك هناك نوع من الاستغلال ، وهو استغلال سياسى ، وهو فى الحقيقة نوع من الدفاع عن دور معين كان لفرنسا . الفرنسية لها مستقبلها خاصة فى الميدان الثقافى والحضارى ولكن لنا ماضى كنا فيه مستعمرين من طرف فرنسا ، وهذا الاستعمار لم يكن هدفه تطور اللغة الفرنسية فقط ، بل كان فى الواقع محاربة اللغات المحلية ، والاستعمار الفرنسى حارب اللغة العربية وهو أمر لا نقاش فيه فى المغرب وفى الجزائر وفى تونس وفى مجموعة الدول العربية ، كما حارب اللغات الأفريقية واللغات الأم مثل « الولوف » و« الغمبلا » و« الهاوزا » .

وإذن فالتطور فى المستقبل هو التعددية ، فمثلما هنالك تعددية سياسية فى الأحزاب وتعددية فى الميدان الثقافى فأيضا تعددية فى ميدان اللغات ، وأنا أشاطر الذين يقولون أنه فى المستقبل غير ممكن أن نتعامل بلغة واحدة،لكن لا يمكن لأى أحد أن يتقن لغة أجنبية إلا إذا أتقن أولا لغته الأساسية ، وأنا أظن بأن التعريب أساسى جدا وهو شرط لتفهم ودراسة اللغات الأخرى ، ولكن إذا كان اختيار بين مختلف اللغات ، فأنا أقول بأن الفرنسية لم يعد لها اليوم الوزن الكافى ولا أريد أن أستعرض بعض الإحصائيات ، وقد كتبت عدة مرات فى هذا الموضوع ، فثلثان من الباحثين الفرنسيين فى مجالات العلوم ينشرون أبحاثهم بالأنجليزية : أهم مجلة علمية بفرنسا « مجلة باستور » أصبحت تصدر بالأنجليزية منذ سنة تقريبا فى فرنسا نفسها .

ولما نرى التوقعات المحتملة فيما يخص استعمال اللغة الفرنسية داخل المجموعة الأوروبية ، ونرى خبراء مثل العالم الفرنسى المشهور « منك » يعتبر بأن الحل الوحيد

للمجموعة الأوروبية هو استعمال الإنجليزية كلغة ، ولما نرى تطورات اللغة الإسبانية ، وفى هذا الظرف الراهن الذى عرفت فيه إسبانيا زيارة صاحب الجلالة ، ولما نتفهم تاريخ اتصالنا بإسبانيا حضاريا ، أقول بأن هناك نوعا من النسبية وأن الاختيار أولا للغة الوطنية ، وهنا أعود إلى تجربة اليابان وأسباب نجاحها ، التى تبدو جد بسيطة ، ذلك أنها قبل آخر القرن الماضى تغلبت على الأمية تماما ، ثم أهتمت بأقصى درجة باللغة اليابانية وترجمت إليها كل ما يكتب خارج اليابان فى الميادين العلمية، وهذا هو سر نجاح اليابان .

أنا أستغرب لحالة المغرب ، فنحن فى حاجة إلى مثل هذا النقاش ، لكنه وبكل صراحة غير موجود : وأكبر استعمار يواجهه المغرب الآن هو الاستعمار الثقافى والحضارى ، وجود نخبة معينة درست فى فرنسا وهى الآن تستولى على القرار فى كل مكان ، ولكن مع التطور الموجود ولله الحمد، الآن ، فقد أتسع عدد المغاربة المتكونين فى دول أخرى وبلغات أخرى مثل الإسبانية والإنجليزية والألمانية والروسية ، بل إن لنا طلبة فى الصين ، وهذه التعددية ستعطى نتائج فى المستقبل ، وأملى الوحيد هو أن نقاشا مثل هذا لا يجب أن يكون له مكان عندنا بعد عشرة أو خمسة عشر سنة ، لأنه مشكل يدخل فى ماضينا الاستعمارى ، ولذلك فموقفى من الفرانكفونية هو أنى أعتبرها رمزا لمتابعة الاستعمار بطرق أخرى ، وبما أنى حاربت الاستعمار منذ بداية حياتى فى أى مكان كان وليس فى المغرب فقط ، لهذا أتابع نشاطى الفكرى والعلمى لمحاربة كل العناصر شبه الاستعمارية ، لأن العلم نضال ولأن النضال علم هو أيضا .

اجرى الحوار : المصطفى الرزرازى

العلم ـ الأحد ٨ أكتوبر ١٩٨٩ .

استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي*

عقدت هذه الندوة في القاهرة لمناقشة تقرير اللجنة التي شكلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لإعداد استراتيجية لتطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي. وهو التقرير الذي نشره مؤخرا مركز دراسات الوحدة العربية . وشارك في الندوة وبحسب الحروف الهجائية :

- أسامة أمين الخولي : المدير العام المساعد للعلوم والتكنولوجيا ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- حسام عيسى : أستاذ في كلية الحقوق في جامعة عين شمس ـ مصر .
- انطوان زحلان : باحث ومستشار في السياسة العلمية والتقانية .
- عادل ثابت : وكيل وزارة البحث العلمي في مصر سابقا .
- المهدي المنجرة : أستاذ في جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المغرب ؛ ورئيس جمعية المستقبليات ـ باريس .

أدار الحوار وأعد تقرير الندوة : أسامة أمين الخولي .

الخولي : باسم مركز دراسات الوحدة العربية ، أرحب بالزملاء ، وألاحظ بداية أن اثنين قد شاركا في إعداد التقرير الذي نحن بصدد مناقشته ، وأن أحدنا قد قدم عرضا مستفيضا ونقدا للتقرير صدرا مؤخرا في « المستقبل العربي » [1] ، واقترح أن

* ١٩٩٠ .

١- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لجنة استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي ، « استراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي ـ التقرير العام والاستراتيجيات الفرعية » . مراجعة عادل أحمد ثابت « المستقبل العربي » ـ السنة ١٢ ، العدد ١٣٢ (شباط / فبراير ١٩٩٠) .

نبدأ بالزملاء الذين لم يشاركوا فى إعداد التقرير أو التعليق عليه.

المنجـرة : أريد أن أؤكد بداية على ما تحقق فى الوطن العربى فى العشر سنوات الأخيرة ، لقد نشر حوالى ٢٥ إلى ٣٠ ألف صفحة تناولت بشكل أو بآخر أوضاع العلم والتقانة فى الوطن العربى ، وهذا إنجاز طيب لم يتحقق من قبل ولم يكن متاحا مثلا عندما انعقد مؤتمر كاستعرب فى الرباط عام ١٩٧٦ . وعلينا الآن أن ننكب على تحليل هذا الكم الهائل من الدراسات والتعرف على البيئة والمناخ اللذين تشكل فيهما منظور المستقبل العربى والرؤى والمشاهد الذاتية للوطن العربى كما صاغها مفكروه .لقد قرأت شخصيا الاستراتيجية وقمت بتحليلها ـ وكان السؤال الذى ألح على خاطرى هو : من سيقرأ هذه الدراسة الهامة التى تقع فى أكثر من ستمائة صفحة ؟ هل كانت هناك ردود أفعال لنشرها ؟ هل كاتب أحد المنظمة العربية أو المركز فى شأنها ؟ هل عقدت ندوات محلية للتعريف بها ومناقشتها ؟ هل اهتمت الصحف بالموضوع ، وصدرت حوله مقالات فيها ؟ إن هذا أمر لا علاقة له بالدراسة نفسها ، ولكن بوسائل التبليغ داخل بلداننا . وقد يتساءل البعض ماذا نريد من مثل هذا التقويم ؟ أظن أن الذى نحتاجه أكثر من أى شئ هو أن تصل الرسالة إلى متخذى القرار فى القطاعين الخاص والعام .

إذا علينا أن نفكر فى صدور نوع من التلخيص لهذا الجهد ولأمثاله ، تخليصا لا يشوه النتائج العلمية للدراسة ولكنه يعرضها فى إيجاز ووضوح . فنحن نستطيع أن نقول اليوم ما لم يكن من حقنا أن نقوله منذ عشر سنوات مضت فى شأن وصول الإنتاج العلمى العربى إلى مستوى لائق ، وفى شأن قيام شبكة حقيقية من الاتصالات بين أعداد غير قليلة من العرب يعرف بعضهم بعضا . ولكن هناك مأزقا فى شأن الاستفادة من كل هذه الدراسات . وهنا علينا أن نتذكر مثلا أن ٨٥ بالمائة من البحث العلمى المصرى ممول من أربع هيئات أجنبية ، ويداخلنى الشك فى شأن دوافع هذا الانفاق الأجنبى على البحث العلمى فى هذه الدولة الكريمة . لا أريد أن يداخلنى الشك فى أن الباحثين فى مصر يخدمون أجهزة المخابرات الأجنبية . مرحبا بهم لو كانوا فى خدمة المخابرات المصرية . أقول هذا لأن مصر تهمنا جميعا وهذا موضوع استراتيجى وقد أذهب إلى حد القول بأننى أفضل ألا يكون لدينا بحث علمى مادامت أجهزة الدولة لا تعطى المصداقية والأولوية له ، ومادامت لا تعتبره ضرورة استراتيجية . وإذا كان لا حياء

فى الدين ، فالأولى ألا يكون هناك حياء فى العلم . وإذا كنا نتحدث عن الاستراتيجية ، فلابد من أن نعرف أولا ماذا نفعل بمثل هذه الاستراتيجية ولمن نوجه الحديث .

الخـولـى : إن لدى كل منا فكرة واضحة عن هذه الوثيقة ، وأقترح أن تدور مناقشتنا حول عدد من الموضوعات الرئيسية . وقد اقترح ، على سبيل المثال ، أن يدور النقاش حول تساؤلات مثل : هل هذه الوثيقة كاملة ، أم تنقصها أشياء ؟ وما الذى ينقصها ؟ وهل الطريقة التى أعدت بها مناسبة ، أم أن لنا عليها ملاحظات ؟ وما هى الخطوات التالية لصدور هذه الوثيقة ؟ وكيف يتم التبليغ بها ؟

المنجـرة : ليس هناك وزير أو كاتب دولة أو مدير فى أى جهاز حكومى فى بلادنا قد قرأ هذه الوثيقة ، وربما قرأوا عنها مقالات بسيطة فى أحسن الأحوال .

الخـولـى : كانت اللجنة قد أعدت ملخصا للكتاب بقصد الإعلام بالاستراتيجية ولكنه لم ينشر .

ثـابـت : الكتاب بالغ الإرهاق والتعقيد حينا ، وبالغ التبسيط أحيانا أخرى .

عـيسـى : أسلوب الكتاب بالغ الصعوبة ولغته العربية ليست سلسة وفيه تكرار ، فالصفحات الخمسون الأولى كان يمكن اختزالها إلى حوالى خمسة عشر صفحة على الأكثر . وأهم جانب فى قضية العلم والتقانة هو كيفية طرحها ، والكتاب لا يعتبر نموذجا جيدا للعرض .

الخـولـى : لا شك فى أنكم لاحظتم أن فى الكتاب قدرا من الإحصاءات المحدثة لم يتوفر منذ زمن طويل فى أى مرجع ، وهذا جهد لابد من أن يتواصل ويستمر حتى لا تفقد هذه الإحصاءات الهامة قيمتها .

المنجـرة : دعونا نناقش العملية نفسها قبل مناقشة النتيجة . لقد كان هناك فرص عمل ، وجهد منظم لجمع المعلومات وتمحيصها وحشد لعدد كبير من الخبراء ، وتقسيم منطقى للعمل ، وهذه كلها أمور جديدة وجيدة ، ويجب أن يعرف المسئولين أننا وصلنا إلى درجة يمكن معها الاعتماد على هذا المستوى ، ولو أن الكتاب صدر عن مؤسسة كارنيجى أو فورد لتهافت الجميع على قراءته .

ثابت : هذا الوضع يرتبط أساسا بأسلوب عمل اللجنة وطريقتها فى إعداد التقرير . فلو أن العمل سار بأسلوب مختلف لكان حل كثيرا من المشاكل المتعلقة بالإعلام بنتائجه ، ولكان له تأثير واضح على الصعيد العربى . وقد أكرر هنا بعض ما ذكرته فى مراجعتى لهذا العمل الضخم والتى نشرت فى « المستقبل العربى » . لقد كان أسلوب عمل اللجنة هو أولى النقاط التى أثارت اهتمامى . لا شك فى أن المجموعة التى قامت به فى منتهى الكفاءة وجيدة التمثيل للقطاعات المختلفة من العلم والمعرفة، جيدة التمثيل للأقطار العربية المختلفة، ولا شك فى أن لأعضائها خبرة عميقة فى موضوعات العلم والتقانة ، ممارسة وعلما ، إذ قاموا بدراسات كثيرة بلغت حوالى سبعين أو ثمانين دراسة اشترك فيها كثيرون . ولقد كانت هناك أيضا بعض الندوات والكفاءات شارك فيها عدد لا بأس به ، وذلك إضافة إلى المراجع التى استفادت منها اللجنة . وكان لابد من أن ينتهى هذا كله إلى شئ هام ، فعلاً فإن صلب العمل شئ قيم جدا .

فى تقديرى إنه لا يمكن أن تكون هناك نتيجة جدية حقيقية للوطن العربى ما لم تتحقق أوسع مشاركة من جميع المختصين . هذا الخطأ لم تقع فيه « اليسكو » فى هذه الاستراتيجية وحدها ، وإنما وقعت فيه أيضاً فى الاستراتيجيات السابقة ، وإن كانت الخطة الشاملة للثقافة حظيت بتمويل سخى أعطى فرصة لمشاركة أكبر ، ولكنها كانت على مستوى فردى ، بينما يجب أن تكون المشاركة على مستوى مؤسسى ومستوى قطرى . فمن غير الممكن ألا تدعى أجهزة العلم والتقانة فى البلاد العربية المختلفة للمشاركة منذ البداية فى هذه الدراسة ، أو على الأقل ، أن تعرض على تجمع علمى فى كل قطر عربى ، وعلى مستوى قومى عربى للتدارس . وغير مقبول ألا يرتكز تقويم التجربة المصرية أو السورية أو السودانية أو العراقية أو المغربية على مشاركة الأجهزة العلمية المسئولة فى هذه البلدان . بالتأكيد هذا سيخلق دراسة أفضل كثيرا ، وذات أبعاد واقعية قائمة على التجربة أو الممارسة الفعلية ، من ناحية ، كما سيولد وعيا عاما لدى الأجهزة المسئولة والمجتمع العلمى على امتداد الوطن العربى بالمشروع ، من ناحية أخرى . والنتيجة الآن هى أن الاهتمام بهذا الموضوع مفتقد نهائيا فى الوطن العربى ، لدرجة أننا كثيرا ما نتساءل فى لقاءات علمية عربية عن هذا الذى يحدث ولا أحد يستطيع أن يجيب إلا إذا تصادف وجود أحد أعضاء اللجنة أو ممثل الإليسكو . شكليات

إرسال المسودات إلى اللجان الوطنية للتعليق عليها لا قيمة لها ، وغياب المشاركة المؤسسية والفردية على أوسع نطاق هو السبب فى الوضع الراهن .

زحلان : وجهة نظر عادل أساسية وقد فكرت كثيرا - وأنا لا أدافع هنا عن اللجنة - ولكن كما تعرفون كانت هناك عدة أعمال جماعية سابقة أعدتها المؤسسات الوطنية ، ومن أهمها التقارير الوطنية التى أعدتها كل دولة تمهيدا لعقد مؤتمر كاستعرب الثانى ، وكان هناك اجتهادان سابقان لاتحاد مجالس البحث العلمى العربية واجتهادات لمركز البحوث الجامعية فى دمشق ، وغير ذلك كثير . لقد جمعنا حصيلة كل هذه الجهود والاجتهادات ، ولكن المشكلة التى لاحظناها هى أن ممثلى المؤسسات يعبرون عن وجهات نظرهم الشخصية ، والنتيجة هى أن المؤسسة العلمية العربية نفسها كانت تعبر عن مواقف متناقضة فى الاجتماعات المختلفة طبقا لوجهة نظر من يمثلها فى كل اجتماع ، ومن سوء الحظ أنه فى أحوال كثيرة لا تتوافر لدى المندوب معرفة كافية بالقرارات والاجتهادات السابقة ، ولا حتى بمواضيع البحث فى الاجتماع الذى يمثل بلده أو مؤسسته فيه . أنا شخصيا أحبذ أسلوب العمل المؤسسى ، وهو مريح لمثل هذه اللجنة . ولكن لسوء الحظ فإن الوضع الحالى الذى وصفته هو أهم الأسباب فى أنه لا توجد لدينا حتى الآن استراتيجية معتمدة ومنفذة ، وفى أنه لا يوجد تطور علمى راسخ .

الخولى : سؤالى لعادل هو : ما تقديرك لما كان سيحدث لو اتبع الأسلوب الذى تقترحه ؟ أنت لك باع طويل فى العمل العربى .

ثابت : أذكر زحلان بتجربته فى إعداد دراسة المركز العربى لنقل التقانة فى السبعينات ، والذى اتبع هذا الأسلوب ، إذ نوقشت الدراسة التى أعدها زحلان مع عشرات المؤسسات الوطنية .

الخولى : لقد عرضت الدراسة من قبل وفود فنية على ٢٢٠ مسئولا عربيا ، وتكلف هذا عشرات الألوف من الدولارات ، فماذا كانت النتيجة ؟

ثابت : لم أكمل كلامى . لقد عرضت الدراسة على مؤتمرين عربيين حضرتهما الهيئات العربية والدولية . والتناقضات التى أشار إليها زحلان ليست نتيجة مواقف فردية بل مواقف مؤسسية . والدول هى التى قالت فى النهاية لا نريد هذا المركز . وكان هذا قرارا سياسيا

للمجلس الاجتماعى والاقتصادى لجامعة الدول العربى . واليوم يطالب كل تجمع علمى عربى بإحياء الموضوع ، ولم أحضر اجتماعا إلا وأثير فيه الموضوع .

الخولى : ممثلو الدول هم الذين أقروا مشروع المركز فى المؤتمر الثانى ، والدول هى نفسها التى عارضت تنفيذ المشروع فى المجلس الاقتصادى والاجتماعى لاختلافات لا علاقة لها بصلب الموضوع ، ولكن بمقر المركز وجنسية من يتولون المسئولية فيه . ولى هنا ملاحظتان : نحن نتكلم الآن عن وثيقة ليس مطلوبا بشأنها قرار سياسى بإقامة كيان مؤسسى جديد . ثم إن الهدف الأساسى منها هو التوعية والتثقيف وتوفير نوع من الخطوط الإرشادية ، والفرق كبير بين الأمرين . ومن واقع خبرتى الشخصية المباشرة فى أعمال اللجنة ، فإن محاولات استدعاء مشاركة المؤسسات العلمية الوطنية لم تنجح ، وكانت الاستجابة ضعيفة جدا ، فعندما أرسلت مسودة التقرير مباشرة ، وليس عن طريق اللجان الوطنية ، إلى جميع هذه المؤسسات وإلى كبار المسئولين فى كل قطر ، لم تتلق اللجنة سوى إجابة واحدة فقط من الوطن العربى كله . وبدون الإقلال من أهمية المشاركة على أوسع نطاق ، تبقى هذه كلها ظواهر لا يمكن تجاهلها ويجب أن تؤخذ فى الحسبان .

المنجرة : هذا فى جوهره عمل سياسى ، ولكنه لا يحتاج إلى قرار سياسى جماعى يبدأ ، كما أكدت اللجنة فى أسلوب التنفيذ الذى تقترحه .

زحلان : هذا العمل هو مجرد دليل إرشادى .

الخولى : عندما نواجه مثل هذه الظواهر ، فليس من المفيد إصدار أحكام عليها إنما الأهم هو فهم الأسباب التى أدت إليها . لماذا لا تنفذ مثلا السياسة التقانية فى مصر مع أنها نوقشت على أوسع نطاق واعتمدت من أعلى السلطات ؟ لا شك فى أنها قد أغفلت عوامل معينة مؤثرة وقوى معينة لها وزنها ، أى أنها لم تفهم الواقع الذى تسعى إلى تغييره فهما كاملا .

المنجرة : يذكرنى هذا بقرار إنشاء الصندوق العربى للتنمية العلمية التقانية الذى صدر عن مؤتمر كاستعرب الأول . لقد كان قرارا سياسيا ، ولكن أين كانت المشكلة ؟ لقد تعثر المشروع لأسباب تافهة جدا مثل مقر الصندوق أو شخصية من سيكون أمينا له . وهذا هو التخلف بعينه . لقد كانت الأموال موجودة ، والسعودية والكويت كانتا مستعدتين

لتوفير ٣٠٠ مليون دولار فورا دون قيد أو شرط . هذا هو الواقع الذى يجب أن نأخذه بعين الاعتبار ، ولكن ، لنكن إيجابيين ، فما هى وسائل التغلب على هذه المشاكل التافهة التى تواجهنا ؟

الخولى : أنت يا حسام من رجال العلوم الإجتماعية وبعيد عن ممارسات العلم « الجامدة » ، فما هو تقويمك كرجل له نظرة فى الأبعاد الاجتماعية لهذه الظواهر ؟

عيسى : لأن هذا نوع من التقييد لا تقبله سياسة الانفتاح بشكلها الفج . ولقد قال لى مسئول كبير فى هيئة الاستثمار ، هاك مشروع القانون ، أدرسه كشئ نظرى ، لكن إياك أن تعتقد أنه سيصدر ! نقطة البداية هى تغيير استراتيجيات التنمية القائمة . ليس هناك اليوم بلد عربى واحد لديه ذرة من هذه التوجهات . لا أحد مستعد أن يتحدث عن تغيير سياسات التصدير مثلا وسياسات التنمية للتصدير كما يروج لها . تقول إنها وثيقة الصلة بنقل التقانة ، مع أنها فى الحقيقة ليس فيها أى نقل حقيقى للتقانة . الرأى السائد كان أنه ما دام الإنتاج من أجل التصدير ، فليس من المهم استخدام مكونات محلية . إن هذا يهدم السياسة القومية للتقانة من أساسها ، بينما الكتاب يتحدث فى صفحة ٧٦ عن فك الحزمة التقانية وعن سياسة التصدير واستخدام المكونات المحلية . وقضية الدواء الشهيرة كان فيها سبعة مكونات لدواء الكبد ليس فيها سوى واحد فقط لقيمة علاجية . والكوريون يقولون إن فك الحزمة التقانية كان عنصرا أساسيا فى عملية التجديد . باختصار ، صعب جدا قراءة هذه الوثيقة ، وسيعتبرها الناس كلام « مثقفين » ، وعندما استفسر أحد المسئولين عن الفترة التى يستغرقها تنفيذ السياسة التقانية المقترحة فى مصر ، وقيل له إنها حوالى خمس وعشرين سنة ، كان رده : نحن نريد أن نطعم الشعب غدا ، فهذه هى مشكلتنا الملحة .

الخولى : لى سؤال مباشر : هل يمكن أن تساعد هذه الوثيقة إذا ما صيغت بشكل مناسب ، أو اختصرت ، فى تغيير المواقف ، فكما قال المنجرة : نحن لدينا - وربما لأول مرة - حصيلة جهد منهجى منظم لم تتوفر من قبل .

المنجرة : أقترح أن نبدأ بـ « اجتماع رؤساء » خاص بالعلم والتقانة فى الوطن

العربي فقط ، ولو ليوم واحد ، لتأكيد أن هذا موضوع هام وله أولوية ، ولدينا في تجربة الدول الصناعية السبع الكبرى سابقة .أليس من الممكن على أقل تقدير أن نجند مفكرين وسياسيين حتى نصل إلى قناعة حقيقية بأن مشكل العلم والتقانة يستحق أن يناقش على هذا المستوى باعتباره أمرا استراتيجيا هاما يجب أن تكون له مصداقية . فكما نعلم فإن مصداقية الأشياء عندنا لا تتحقق إلا بقرارات رؤساء الدول .

ثابت : في الواقع هذا موضوع أثير عدة مرات . ولقد كانت قمة الرباط عام ١٩٧٤ هي أول مرة يذكر فيها العلم والتقانة ، وأحاديث الرؤساء والوثائق المختلفة كلها تتحدث في هذا . ولكن المشاهد الآن هو تحجيم جامعة الدول العربية ومنظماتها ، وأظن أن مصير قمة عربية للعلم والتقانة لن يختلف كثيرا عن مصداقية قمة عمان للعمل الاقتصادي المشترك . ولكن هناك ظاهرة جديدة هي تواترالحديث في الوطن العربي عن تكتلات الدول الصناعية ، وعن التغير العالمي المقبل وأثاره في الوطن العربي ، وعن دور التقدم العلمي ـ التقاني المذهل في تشكيل هذا العالم الجديد . إن احتمالات تحول البلاد العربية إلى كيان هامشي لا مكان لها فيه وسط هذه التغيرات قد بدأت تثير لأول مرة دول ذات قواعد علمية ـ تقانية صغيرة بأن تتقدم في بعض المجالات بسرعة وكفاءة .

زحلان : دراسة خبرات أوروبا وكوريا واليابان تدل على أنه كان هناك دائما دافع للتقدم العلمي ، وأن المؤسسة العامة أو الخاصة لا وجود لهما أبدا في الوطن العربي . لقد أمضيت خمسة وعشرين عاما وأنا أكتب وأتحدث عن السياسة العلمية ، ولا أحد يسمعني أنا وزملائي . **خذ مثلا قطاع الإنشاءات الذي هو أكبر قطاع تنجزه شركات أجنبية ، بينما نحن نملك الكفاءات الأساسية ، وإن كان ينقصنا التدريب وحسن الإدارة والتمويل المنظم** . اتحاد المقاولين العرب طلب مني إعداد دراسة عن طرق تطوير إمكانات القطاع وزيادة حصة أعضائه في السوق ، وأنجزت الدراسة ، ولكن المشكلة هي أن الاتحاد ضعيف بينما أمثاله في الخارج يضم خبرة العاملين في القطاع . أما الاتحاد العربي فلا يحضر اجتماعاته المقاولون القياديون مكتفين بإرسال أشخاص ليسوا أصحاب لمصلحة أو القرار .

المنجرة: الأرقام التي جمعها زحلان تدل على أن لدينا في الوطن العربي ٥٠٠ ألف مهندس ، منهم ٢٥٠ ألف مهندس عربي خارج الوطن

العربى ، أى أن عدد المهندسين العرب أكثر من عدد المهندسين فى ألمانيا أو فرنسا . ولكن الحضارة تقوم على الانتاجية والمعرفة والمعلومات والعقل البشرى . إن العجز عن استغلال هذه الطاقات هو التخلف الحقيقى وهو نوع من الانتحار الاقتصادى . وإذا ما كان الأمر مفتقرا منذ خمس عشرة سنة مضت ، فإن أحد الأخطار المحدقة بنا الآن هو خطرنا نحن على أنفسنا ، وليس الخطر الخارجي وحده . ولدى سؤال استراتيجى لأسامة له علاقة بهذه الدراسة : فى إطار الأوضاع العربية الراهنة ، ألا يوجد أمل عن طريق أساليب تربوية وبالتوعية فى أن تغير بعض الأوضاع فيما يتعلق باتخاذ القرار ؟ هل يمكن أن نغير الرأى العام ؟ مسئولية العلماء اليوم أن يقولوا صراحة أن لا أمل ما لم تتغير الوضعية السياسية ، فما هى وسائل التغيير بالاعتماد على التقانة ؟ هل هناك أمل فى أن يفسح لنا مجال للتأثير فى الرأى العام حتى يسمع الحكام صوت الرأى العام ، وليس صوت العلميين وحدهم ؟ أما إذا لم تكن هناك وسيلة سوى فرض سيناريو التغيير من بين سيناريوهات الدراسات المستقبلية الثلاث المعروفة ، إلا وهى سيناريو اللا أمل ، وسيناريو حشد الرأى العام ، وأخيرا سيناريو التغيير .

الخولى : أغلب ما يكتب للرأى العام عن العلم والتقانة يساعد تماما على تغريبهما وتأكيد أن لا دور لنا فى تطويرهما ، ولا فرصة لدخول هذا المجال لأن الآخرين وحدهم هم المؤهلون لتحقيق الانجازات فيه . وحتى عندما نتحدث عن بعض الإنجازات المحلية ، فإننا نفعل هذا بطريقة غوغائية لا تربط هذه الإنجازات بحركة المجتمع وتوجهاته . وإذا ما استطعنا إيجاد نوع من الإعلام العلمى يقوم على أساس غير الانبهار بما يجرى فى الخارج ، فسنكون قادرين على إيصال الرسالة . وربما كان كتاب زحلان الصغير الذى أصدره مركز دراسات الوحدة العربية [1] والذى يناقش القضية بأسلوب سهل الفهم يستعرض أبعادها التاريخية على مستوى المثقف المتوسط نموذجا لما يمكن أن يكون عليه الإعلام العلمى الفاعل والمستنير .

عيسى : هل من الصعب أن نبدأ بالمؤسسات العسكرية فى الوطن العربى ، إذ أنها تقوم فعلا بإحداث تطوير تقانى بقدر ما بحكم ظروفها ، كما يحدث الآن فى العراق

---

١ - انطوان زحلان، العرب والعلم والثقافة، سلسلة الثقافة القومية : ١٩ (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٨) .

وكما حدث فى مصر ؟ هل يمكن أن يكون لها تأثير فى تكوين مجموعة ضغط تناصر قضية العلم والتقانة ؟

الخولى : لقد حدث هذا بالفعل فى مصر فى الأيام الأخيرة، ففى اجتماع عقد فى إطار المنظمة العسكرية كانت هناك مطالبة . بإعادة النظر فى التنظيمات العلمية فى مصر بأسرها ، ولاشك فى أن نظرة المواطن العراقى للعلم اليوم مختلفة تماما عنها منذ عشرين عاما بفعل الحرب ، فدور العلم فى الدفاع عنه جعله أمرا ليس غريبا عنه .

ثابت : كما قال حسام ، المؤسسات العسكرية بحاجة إلى تطوير الأسلحة ، ولقد حدثت بالفعل تطويرات كثيرة فى المؤسسة العسكرية المصرية لأنها أكثر انضباطا ودقة فى تحديد الأهداف وفى أسلوب الإدارة ويسرا فى التمويل . ولاشك فى أن البحث العلمى العسكرى يفيد القطاع المدنى ، ولكننى مازلت أرى أن القطاع المدنى أهم . ففى المنطقة العربية مشكلة غذاء حقيقية لابد من أن يساهم العلم العربى فى حلها .

عيسى : أنا لا أقول إنهم وحدهم القادرون ، وإنما هم أقوى إحساسا بالمشكلة وحساسية للاعتماد على الذات ، وهم لن يستعينوا بإسرائيل مثلا فى حل مشاكل الزراعة فى مصر .

المنجرة : هل هناك حل آخر ، إذا ما كان هذا الأسلوب فى التوعية غير ميسر أو مقبول ؟ أليس من الضرورى قبل هذا أن نتوجه إلى العلميين العرب أنفسهم ؟ أليس عليهم أن يناقشوا سلبيات الدراسة وإيجابياتها وأن يعتبروها حلقة فى سلسلة عمل مستمر ، وأن يساهموا فى جهد التوعية الأقل داخل نطاق عملهم ؟ لماذا لا نناقش هذه الدراسات فى جامعاتنا مع طلبتنا وزملائنا ؟ فليس من الممكن الآن تغيير الأمور عن طريق العلم فى الوطن العربى . هذه هى الخطوة السابقة لإحداث التغيير من الشارع . إذا ما أردنا الآن أن يحدث التغيير بطريقة علمية موضوعية هادئة وبتخطيط على امتداد ١٥ ـ ٢٥ سنة، فليستمر الباحثون على الأقل والدارسون فى المختبرات وحلقات الدرس فى هذا الجهد ، ولتكن هذه الدراسة موجهة إليهم .

ثابت : من المهم طبعا أن يعرف المشتغلون بالعلم الموقف بالضبط ، ولكن المشتغل بالعلم فى بلادنا ـ خصوصا فى مصر ـ مشحون بمشاكله الشخصية ، لا مختبرات ، ولا

منح للسفر إلى الخارج ، ولا توجهات بحثية واضحة مرتبطة بالتنمية الوطنية ـ دع عنك صعوبة تدبير احتياجاته الشخصية هو ومن يعول .

الخـولـى : إذا لم يدرك المشتغلون بالعلم أن السبب الرئيسى لمشاكلهم هو أن المجتمع غير مقتنع بأنهم يقومون بدور هام فى تلبية احتياجات التنمية ، فسيظل الوضع على ما هو عليه . عليهم أن يساهموا فى تنوير مجتمعاتهم بما يمكن أن يقدموه ، وباحتياجاتهم للقيام بدورهم . لقد سميت هذا التقاعس « الفريضة الغائبة » . لا يكفى أو ينفع أن يتقوقع العلميون ويتشاكوا من أن المجتمع لا يهتم بهم ولا يوفر لهم احتياجاتهم ، فهم خدام مجتمعهم لا أسياده ، ولا بد من أن يقوم بينهم وبين المجتمع حوار بناء لتحقيق تفاهم ضرورى .

عيـسـى : القطيعة من الجانبين .

زحـلان : ثلاثة منا هنا أمضوا حياتهم منذ الخمسينات يخاطبون المجتمعات العربية ، فى قضية العلم ودوره فى التنمية . نحن رافضون للنظام القائم ، ولكننا نعمل داخله من أجل تغييره .

المنجـرة : ما خلصت إليه شخصيابعد أن تعرفنا إلى هذا العمل ، هو أن نعتبره ، بسلبياته وإيجابياته ، بداية لمشاركة أوسع وأوسع للمشتغلين بالعلم ، وأن ننظر إليه على أنه مشروع مستمر لتبادل الأفكار والآراء والمعلومات ولتحسين أبحاث أخرى مكملة دون الحاجة إلى مؤسسة أو تنظيم . ويهمنى بالذات أمر تجديد هذا الكنز من المعلومات الذى لم يتوافر مثله من قبل . الحوار يجب أن يتوافر كله إلى كيفية إحداث التغيير فكريا بطريقة سليمة موضوعية علمية . إن لم يتم هذا فسيأتى التغيير من الشارع. والسؤال هو : هل نحن أفضل حالا عم كنا عليه منذ عشرين عاما من حيث انتشار الوعى العلمى ؟

الخـولـى : وضعنا الاقتصادى التنموى قد لا يكون أفضل ، ولكننا أعمق فهما ووعيا بإشكالاتنا ، وربما قلت إن لهذه الوثيقة شيئا من الفضل فى هذا .

ثـابت : نحن نعيش اليوم فى عالم بالغ التعقيد، ولابد لنا من صدمة تخرجنا من الحديث المتكرر عن ربط البحث باحتياجات المجتمع وما تعلمناه من أساتذتنا الأجلاء عن أن العلم للعلم ، والعالم يعمل فى مختبره ولابد من أن تدخل نتائج عمله حيز التطبيق

بشكل تلقائى ، وعليه أن يستمر فى نشر أبحاثه العلمية لكى يتقدم فى السلك العلمى . فى أى مركز للبحوث يجرى البحث من أجل الترقية ، لا من أجل التنمية .

عيسى : دون قيادة سياسية تتبنى هذه القضية ،لا أمل ، فنهرو كان رئيس المجلس الأعلى للعلوم والتقانة ووزير العلم فى الهند .

ثابت : هذا تقليد قائم فى الهند حتى لآن ، فرئيس الوزراء هو وزير العلم ووزير البيئة ووزير الطاقة الذرية . هكذا كانت أنديرا غاندى ، وكان راجيف غاندى ، والهند أول دولة نامية سنت قانون للسياسة التقانية .

المنجرة: ليس الأمر أمر تشاؤم أو تفاؤل . ونحن لو كنا متشائمين لما اجتمعنا هنا اليوم ، إذ إننا مؤمنون بالتغيير وضرورته ولأننا متفاءلون على الأمد البعيد ، فإننا متشائمون فى المرحلة الراهنة لأن قضية العلم والتقانة صارت مسألة بقاء أو فناء . هل سنكون مهمشين فى المستقبل ، أم سنبقى مجموعة حضارية إنسانية فاعلة ؟ لو أن المجتمع العربى بكل رؤسائه أو وزرائه قرر أن يحدث التغيير ، فسيستغرق هذا ما لا يقل عن خمس عشرة سنة ، وعلينا نحن معشر الباحثين والعلماء أن نتحمل مسئوليتنا إزاء مجتمعاتنا وعملنا وأن يتحمل الآخرون مسئولياتهم . الدراسات المستقبلية تتحدث عن مستقبل مرغوب فيه ، ومستقبل ممكن ، ونحن نريد للمستقبل المرغوب فيه أن يكون هو الممكن ، أى أن يكون لنا الطموح الكافى لتحقيق هذا .

ثابت : أقترح أن يشترك مركز دراسات الوحدة العربية واليونسكو فى الدعوة إلى مؤتمر موسع على شكل تظاهرة تشد الانتباه إلى مناقشة القضية ، فهذا أكثر تأثيرا من المطبوعات ، وحتى الدراسات الكثيرة التى جرت فى إطار الإعداد للاستراتيجية لم تنشر حتى الآن لأنها مكلفة ، ولذا ، فلم يطلع عليها أحد .

الخولى : نحن فى حاجة إلى مختصر قصير سهل القراءة يكون واسع الانتشار ليخاطب الجماهير العربية والمجتمعات العلمية ، ويدعو إلى التفاعل بينها . لقد كتبت إلى رئيس اللجنة فى الأيام الأولى لأعمالها لأقول إن الواقع المنقوص والمستقبل المرغوب فيه كليهما معروف بقدر كبير من الدقة ، وأن التحدى الحقيقى أمام اللجنة هو كيف تتحرك

من الأول صوب الثانى . لقد جرى البحث والنقاش كله على مسوى أجيال متقدمة فى السن ولم تشترك فيه الأجيال الشابة أبدا مع أنها صاحبة المستقبل وصانعته . فلماذا لا يكون هناك أيضا نشاط واسع النطاق على مستوى الشباب فى الجامعة ومراكز البحث ومواقع الإنتاج ، بل حتى المدارس الثانوية ومنظمات الشباب ؟

المنجـرة : لماذا لا تقوم جمعية أوهيئة عربية لإصدار تقرير سنوى عن حالة العلم والتقانة فى الوطن العربى يكون بمثابة صرخة تشد الانتباه إلى الموضوع ؟

الخـولـى : اليسكو كانت تصدر حتى أواخر السبعينات حولية للعلوم تحقق هذا الهدف بالذات ، ولكن هذا النشاط توقف الآن .

المنجـرة : هناك أمران متميزان حدثافى الأعوام الخمسة عشر الماضية . هناك إدراك أعمق بتعقيد عملية نقل التقانة ، ولم نعد نقول إنها موجودة ، وما علينا إلا أن نأتى بها وينتهى الأمر ، إذ أن النتائج التى وصلنا إليها سيئة ونحن الآن نواجه مأزق حقيقية . والأمر الثانى هو ما أشار إليه عادل من بداية الإحساس بأن العالم من حولنا قد تغيّر وأننا على أبواب عصر جديد . هذان عنصران ممكن البناء عليهما ، فعندما بدأ إعداد هذه الاستراتيجية عام ١٩٨١ أو ١٩٨٢ لم تكن قضية التغيرات العالمية واضحة ، كما أن العنصر الثالث الجديد هو بروز مشاكل البيئة .

زحـلان : لا يوجد بلد عربى واحد ـ بما فى ذلك مصر ـ يستطيع أن يدخل أحد مجالات التقانة المتقدمة. وحتى مجرد التعاون فى هذا المجال يتطلب نوعا من الاندماج لأسباب اقتصادية محضة، لا لأسباب عاطفية .

ثـابـت : سيظل السؤال معلقا : لمن نوجه مثل هذا الحوار ؟ أقول لا بد من توجيهه إلى من يصدر القرار ، سواء على المستوى السياسى أو المستوى المهنى ، وليكن هذا اجتماع رؤساء استثنائى .

المنجـرة : عادل ، اسمح لى بأن أذكرك بأن القيادة السياسية الحقيقية موجودة خارج بلداننا وفصل الخطاب فى مسألة العلم والتقانة يأتى من الخارج . هل ترى أن نوجه الخطاب إلى الدول الكبرى والعلميين والتقانيين فيها ؟

الخـولـى: فى ختام هذا الحوار الثرى يبدو أننا مجمعون على أن الأولوية الآن هى للإعلام بهذا التقرير ولإثارة النقاش والحوار حوله على أوسع نطاق وعلى كل المستويات ، ثم لمواصلة هذا الجهد وتحديثه ليتواكب مع التغيرات المتسارعة فى العالم من حولنا والتطورات داخل مجتمعاتنا .

* المستقبل العربى - بيروت - العدد ١٤٣ - ١/ ١٩٩١ .

بروز نظام عالمى جديد
وتحـديات الانتقال*

بروز نظام عالمى جديد وتحديات الانتقال : إن هذا الموضوع يشكل تحديا فى حد ذاته . وأبتدئ بمقولة الكاتب الفرنسى مونتسكيو ، وهى واحدة من الجمل التى أحبها كثيرا لديه وهى قوية وملائمة لنقاشنا :

« إن الفرد يبحث عن عصر جميل يكون فيه حرا إلى النهاية ويحظى فيه بأكبر مساعدة ، وهو واجدها قريبا من بداية نهاية نظام اجتماعى : إذ ذلك ، بين النظام والفوضى تسود لحظة لذيذة » .

اسمحوا لى بأن أبدأ بجرد للوضعية الراهنة بأسلوب وجيز .

١ - لأول مرة فى تاريخ البشرية ، يستطيع الإنسان أن يدمر ذاته ، ويدمر نوعه ، إما بواسطة القوى التدميرية للأسلحة المتطورة وإما بواسطة الاختلالات البيئية للتصنيع السائب . إن التحولات البيئية التى حصلت خلال المائتى سنة الأخيرة ، أى العصر الذهبى للثقافة والحضارة الغربية ، وذلك منذ تحرير الطاقة انطلاقا من المتحجرات قد أحدثت أضرارا أكثر من كل التحولات الأخرى منذ بداية الحياة على الأرض والتى تعود إلى أكثر من ٤ مليار سنة .

إن النموذج الصناعى ونمط الحياة المرتبط به اللذين نحاول تقليدهما فى بلداننا كالقردة قد أحدثا خسائرفوق هذا الكوكب تفوق كل تلك التى حدثت خلال ٤ مليار سنة ، ولإعطائكم فكرة أدق عن ذلك ، فإن الإستخدام المفرط لإنتاجية المحيط الحيوى قد بلغت ٤٠ ٪ حسب التقديرات الراهنة ، فلا يمكن ولا يتصور أن نستطيع التفكير فى استمرار

---

* ١٩٩٠ .

حياة كوكبنا حتى خلال ٢٥ أو ٣٠ سنة المقبلة إذا لم يتم تقليص مباشر لاستهلاك البترول والفحم خلال نفس الفترة بـ ٢٥ أو ٣٠ ٪ . إن هذه تقديرات اختصاصيين فى الموضوع ، فاستمرار الحياة لم يعد أمرا مفروغا منه .

٢ - تسارع التاريخ الناتج عن انفجار المعرفة ، تتضاعف المعرفة الكلية للبشرية حاليا (عشرة آلاف سنة من التاريخ) كل سبعة أعوام أو ثمانية ، يتم نشر أكثر من ألفى كتاب فى اليوم ، ومليونى مقال علمى فى السنة وذلك على صفحات ٦٠٠٠٠ مجلة متخصصة ، أى ما يعادل مقالا فى كل خمس عشرة ثانية . وإذا نحن أردنا استعمال خطاب الفيزياء النووية فسنقول أن « نصف حياة » المعرفة العلمية يقدر بسبع سنوات . هذا يعنى أن كل شخص (كيفما كان) لا يجدد معارفه خلال سبع سنوات يسقط فى شبه أمية علمية . لم يعد من الممكن الركون أبد الدهر إلى حصيلة علمية غير مجددة على نحو منهجى .

٣ - العنصر الثالث فى هذا الجرد هو « التعقيد » المتصاعد الذى ينتج عن ارتفاع عدد المشاكل والمفعول الضخم الناتج عن ارتباطاتها فى تطور هندسى ، فدراسة « التعقيد » قد أصبحت اليوم علما وميدانا واسعا لبحث يغطى أيضا « الفوضى » حيث يدرس النظام والاختلال . وقد بلغ هذا التعقيد اليوم درجة لم تعد معه أى حكومة فى العالم قادرة على تسيير كوكبنا ، إن أكبر أزمة تواجهها البشرية تتمثل فى الفهم . يجب أولا فهم هذه المشاكل فى المكان والزمان ولا تفكر كل الحكومات عبر العالم (وبهذا الصدد يجب وضعها جميعها فى نفس السلة) إلا فى المدى القصير والانتخابات المقبلة . وهى بالتالى عاجزة عن أن ترى ما هو أبعد من أنفها ، إن التفكير فى المشاكل الحقيقية للبشرية يجرى انطلاقا من مصالح جد ضيقة وعلى مدى قصير ودون أن تؤخذ بعين الاعتبار النتائج الخطيرة طويلة الأمد التى تعلن عنها « بعدى الطوفان » بهذا المعنى تكون البشرية حاليا متخلفة .

٤ - العنصر الرابع فى الجرد ، يتعلق بالهوة المتعاظمة بين مستوى معارفنا من جهة ، وقدراتنا على تطبيقها لتجاوز مشاكل أولية مثل البؤس والفقر والجوع والجهل والمرض والظلم الاجتماعى والحرية والسلم من جهة أخرى ، وذلك لكى نضمن على المستوى العملى حياة تكون فى مستوى هذه المعرفة وهذه الطاقات لصالح البشرية

كلها ، فهناك تبذير هائل واستعمال للعلم والتكنولوجيا لغايات تخريبية عبر صنع أسلحة فتاكة أكثر فأكثر ، ومن ثم العجز عن توفير الضبط الاجتماعي للمعرفة ، لا يكفي فقط معرفة الأشياء ، يجب أيضا أن نعرف كيف توظف هذه المعرفة لخدمة بعض الغايات . والغاية الأساسية من بينها هي نوعية الحياة التي يمكن توفيرها لكل كوكبنا سواء بلغ عدد سكانه خمسة مليارات أو حتى عشرة إذا أخذنا الوسائل التي تتوفر عليها البشرية بعين الاعتبار .

٥ - هناك عدم تكافؤ في موازين القوى داخل النظام الدولي وهذه بعض الأرقام التي تبرهن على ذلك بقوة : إن الشمال الذي يمثل أقل من ٢٠ ٪ من سكان العالم يستفيد من ٨٠ ٪ من الخيرات المادية لكوكبنا ومن ٨٥ ٪ من النفقات على التربية ويتوفر على ٩٥ ٪ من النفقات العالمية على البحث العلمي .

٦ - يلاحظ نوع من الإعياء على النموذج التنموي للبلدان المصنعة ، ويلاحظ فشل تام لنقل هذا النموذج إلى بلدان العالم الثالث حيث لا يفعل شيئا آخر غير تفقير السكان ، يصاب هذا النموذج بالإعياء في البلدان التي ولد فيها . وإن أحداث أوروبا الشرقية تشكل عمليا علامة عياء الإيديولوجيات الغربية أكانت اشتراكية أو رأسمالية ، والاثنتان بنتان لنفس الحضارة ؛ حضارة العالم اليهودي - المسيحي . إنها تحيا بنفس الرموز ولها نفس المرجعيات الاجتماعية - الثقافية وباتجاه من يقولون أن النموذج الشيوعي قد أفلس يمكن موضوعيا تقديم الرد التالي : إنه في مدة سبعين عاما قد قضى على الأمية على الأقل ، ورفع المستوى الثقافي والعلمي للسكان وضمن صحة أفضل للجميع ، وحياة أطول وحد أدنى من إعادة التوزيع الاقتصادي . بقيت الحرية ، إنها تكتسب الآن بسعر اجتماعي منخفض نسبيا بسبب كل هذه الاستثمارات ، وبالنظر للفقر والأمية والمرض والفروق الكبيرة السائدة في بلداننا سيكون الثمن الذي يتعين دفعه أكثر أرتفاعا .

إن فشل أوروبا الشرقية هو في نفس الوقت فشل لأوروبا الغربية لأن هذه الأخيرة لن تستطيع الحفاظ على نموذجها التنموي الراهن خلال العشر أو العشرين سنة المقبلة ، إن ذلك لا يتصور إذا كان المرء يشتغل قليلا بالمستقبليات ، لقد دخلنا منذ بداية الثمانينات في عهد من القطائع والصراعات التي ستستمر خلال عقد آخر على الأقل .

هناك ميول ثقيلة وعتبات انقطاع واضحة ، اللهم إذا كان المرء فى نفس الوقت أصم وأعمى فاقدا للذاكرة والشعور .

٧ - هناك انتقال فى نظام القيم وتراجع فى الروحيات ، لا يجب اختزال كل شئ فى الأصولية لأن ذلك من باب النزعة الاختزالية ، وفى الدين كما فى السياسة أقول إن أكبر « الأصوليين » بالمعنى « الاختزالى » هم المسئولون الحكوميون فى بلدان العالم الثالث الذين يدعمونهم فى الخارج ، إنهم عاجزون عن فهم ما يجرى أمام أنظارهم . هكذا يلجئون إلى تبسيط مفرط يريح أفقهم المحدود ويقوى أوهامهم . بعد هذا الجرد التمهيدى ما هى بعض الميول الثقيلة التى يسفر عنها ؟ .

الميــول الثقيلــــة

١ - النمو الديموجرافى للعالم الثالث : هذه أول وساوس الغرب . كان عدد سكان العالم يبلغ سنة ١٩٥٠ مليارين ونصف ، ثلاثة أرباعها من القرويين ، وتم الانتقال سنة ١٩٨٠ إلى ٢,٢ مليار واليوم فى سنة ١٩٩٠ يناهز عدد سكان العالم ٥,٣ مليار يمثل القرويون منها ٥٥ ٪ وفى عام ٢٠٠٠ أى بعد عشر سنوات ، سيبلغ عدد سكان العالم ٦,٣ مليار ولن يمثل القرويون منها سوى ٤٩ ٪ . إن هذه لواحدة من أهم ثورات نهاية القرن العشرين ، فلأول مرة فى التاريخ ستكون أغلبية سكان العالم حضرية ، والوسط الحضرى هو الأكثر قابلية للتسييس بالمعنى الإيجابى للكلمة ولتحرر كائنات « البشرية » إن المراكز الحضرية الكبرى هى التى تتجسم فيها التحولات العميقة للمجتمعات وهى التى تنشأ فيها النضالات ضد اللامساواة وضد الظلم الاجتماعى .

العنصر الثانى فى توزيع سكان العالم هو أن ٧٦ ٪ منهم يعيشون فى سنة ١٩٩٠ فى الجنوب . وفى عام ٢٠٠٠ ستمر هذه النسبة إلى أزيد من ٨٥ ٪ فما هى يا ترى الاستراتيجيات التى يتعين ابتداعها فى الشمال ؟ كيف سيستمر هؤلاء الـ ١٥ ٪ فى الاستفادة مما يفوق ٨٠ ٪ من موارد كوكبنا . ولا واحدة من هذه الاستراتيجيات تستطيع أن تحصر على نحو دائم تغير النظام الدولى وتحوله على المدى المتوسط أو البعيد . إن التغيير جزء من الحياة ، إما التغيير أو الموت ، إما إعادة التوزيع أو الانفجار .

فى عام ٢٠٠٠ أى فى أقل من عشر سنوات سيكون للصين وحدها ١٢٥٠ مليون من السكان أى ما يفوق بكثير مجموع سكان المجموعة الغربية كلها .

معطى ديموجرافى آخر ومهم يتمثل فى شيخوخة السكان فى بلدان الشمال . فبعد ١٥ سنة ، سيكون لألمانيا الفدرالية عدد يقل من الألمان المولودين ، وسيكون عدد سكان ألمانيا الموحدة مساويا لعدد سكان ألمانيا الفدرالية حاليا . إن شيخوخة السكان ظاهرة دولية جديدة تنتج عن السياسيات الناجعة فى الميدان الطبى والاجتماعى لبلدان الشمال . ومع ذلك سيزداد ثقل التحملات الاجتماعية وسيتناقص عدد الأشخاص النشطين الكفيلين بتمويلها وستنقص أيضا عروض الشغل خاصة منها المناصب الجديدة .

٢ - أصبح الجنوب المورد الرئيسى للرأسمال البشرى والمورد الرئيسى للعقول .

ورغم التقدم الكبير فى النظام الآلى (automation) وفى الروبوتيك فلن تستطيع أوروبا الاثنتى عشر أو حتى أوروبا بأسرها لن تستطيع أن تلج القرن الواحد والعشرين وتضمن عيشها فيه بدون مورد سكانى يأتى من جهة ما . وأن الموارد البشرية هى الرأسمال الحقيقى لمجتمع المعرفة الذى يتجه العالم نحوه بطريقة غير متكافئة .

قبل ٣٠ عاما كان أقل من ١٠ ٪ من مجموع العقول (الأشخاص بمستوى الإجازة أو الدكتوراه) يأتون من الجنوب . وحسب تقديرات لعام ٢٠٠٠ ، فإن أكثر من ٥٠ ٪ من العقول فى العالم ستأتى من بلدان الجنوب . وهذه ثورة حضارية أخرى .

إن آخر تقرير وضع على طاولة الرئيس ريجان كان يتعلق بالخطر الذى يمثله على أمن الولايات المتحدة كون ٥٣ ٪ من أولئك الذين توفروا على الشغل وعلى مستوى الدكتوراه فى الميادين التكنولوچية قد ولدوا كلهم خارج الولايات المتحدة . إن أمريكا الشمالية تفقد طابعها الأوروبى . لقد أعلنت ولايتان داخل الولايات المتحدة : ولاية نيويورك وكاليفورنيا سيكون السكان البيض أقلية من الآن إلى حدود نهاية القرن . وستصبح الإسبانية أول لغة فى الولايات المتحدة قبل منتصف القرن القادم !

إن تقرير "CNUCED" الصادر فى الأسبوع الأخير يعلن أن ثلاثة ملايين من العقول

قد غادرت الجنوب نحو الشمال ، وكل الدراسات حول هجرة العقول منذ تلك التى أجرتها اليونسكو سنة ١٩٦٩ (وتوجد عشرات الدراسات حاليا) تبين أن الجانب المادى ليس هو السبب الرئيسى لهذه الهجرة . إن العقول تهاجر إلى الشمال لسببين أساسيين :

- حرية الرأى والتعبير والنشر غير المتوفرة لحد الآن فى معظم بلدان الجنوب .

- غياب الحد الأدنى الحيوى على مستوى الوسائل والبنيات التحتية للبحث العلمى . ويتم تخصيص أقل من ٠,٣ ٪ من الناتج الداخلى الخام للبحث فى البلدان العربية والإفريقية إذا اقتصرنا على هذه الأمثلة التى تعنينا كمغاربة .

وحسب الـ "CNUCED" ، فإن الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا قد حققت لوحدها ربحا صافيا يبلغ ٥٠ مليار دولار بفضل هجرة هذه العقول . وقبل عشر سنوات ، أنجزت دراسة بينت فيها أن إحدى أكبر أساطير التاريخ المعاصر تتمثل أن أبسط الحسابات يبين بدون أى لبس أن الجنوب إجمالا هو الذى ساعد الشمال على نحو ثابت ، إن المساعدة لا توجد . إن الرئيس فرانسوا ميتران قد أمر بإنجاز دراسة (وهى الأولى فى فترة حكمه الأولى) حول المخلفات الاقتصادية للمساعدة .ومن ثم تقرير بورتولو الذى قال سنة ١٩٨١ ، بأن فرنسا تتسلم مقابل كل فرنك مخصص للمساعدة ٤ إلى ٦ فرنكات فى ميدان الأسواق ، وقد كان كلود شيسون يدافع عن المساعدة مصرا على أن العالم الثالث يمثل ٤٠ ٪ من أسواق أوروبا . نعم إن المساعدة عملية مربحة جدا بالنسبة لبلدان الشمال .

وفى الحقيقة لم يكن أى شئ بأكثر كارثية . فمن بين الأسباب الرئيسية للمديونية والرشوة والنمو غير المتوازن والحفاظ على حكومات غير ديموقراطية ، لا يمكن أن نستبعد مساوئ المساعدة ومساوئ تعاون دولى يتمثل هدفه المبطن دائما فى تغذية عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب وفى الحفاظ عليه .

وفى يوم ما سندرك أن التكنولوچيا تشترى ولا تنقل ، فهى لا تتطور ولا يسيطر عليها إلا بطريقة داخلية (endogene) ، كان رونى ماهو المدير العام السابق لليونسكو يقول : « إن النمو هو العلم وقد أصبح ثقافة » .

إن التكنولوچيا لا تنمى بتوقيع صفقات دولية كبيرة بواسطة القروض الدولية ، هذا دون الحديث عن الرشوة التى تصاحبها . إن التكنولوچيا تتطلب بنيات ذهنية جديدة ومزاجا آخر يكون فى مستوى التحديات المعاصرة والمقبلة .

عـــودة الـــلامــــادى

يعالج الجزء الأخير من هذا البحث ما أسميه عودة اللامادى ، هذه العودة التى ترتبط بعاملين أساسيين :

أ - رد فعل أكثر سلبية بالنسبة للقيم المادية الخالصة والمرتبطة بالنموذج التنموى الغربى .

ب - التطورات المهمة التى شهدتها العلوم الحقة ، خاصة علوم فيزياء الذرة .

١ - ردود فعل ضد القيم المفرطة فى المادية :

هناك عبرالعالم ، وفى أوساط الشباب بوجه خاص ، حالة عدم انسجام كبرى مع القيم المادية الموروثة عن الأجيال الأكبر منهم ، وهو ما يفسر تجدد البعد الروحى فى كل مناطق العالم .

أ) العالم الإسلامى :

فى حالة العالم الإسلامى ، كان التحرر من الاستعمار الغربى الطويل الذى تحقق بفضل الارتباط بقيم الإسلام فى جزء كبير منه قد عوض من طرف جيل ابتعد عن أصول ثقافته ولم يتردد فى قطع الحبل السرى مع الأصول القديمة ، ولعل فشل نموذج التنمية المستورد إلى الدول الإسلامية شجع العودة إلى الأصول كنقطة انطلاق وكتطور مستقل غير مستلب تسمح بتحقيق مستقبل المجتمعات الإسلامية ولمكانة مشروع مجتمع جديد فى مستوى التحديات العالمية المقبلة .

وإذا كانت الدول الإسلامية لا تعطى اهتماما كافيا بالبحث المرتبط بتطورها ومستقبلها ، فإننا نجد فى الفاتيكان واحدا من أكبر المعاهد المتخصصة فى الإسلام ، والذى أصدر سنة ١٩٨٥ تقريرا مفصلا عن عدد المسلمين فى العالم ، أنجز خلال عدة سنوات عن ٢٠٠ دولة ، وقد أظهر هذا التقرير قلقا لدى الغرب من جراء الأرقام التى كشفت عنها هذه الدراسة المنجزة من طرف الفاتيكان ، فلأول مرة فى التاريخ يتجاوز عدد المسلمين عدد الكاثوليك : ٨٦٥ مليون مقابل ٨٥٠ ، ومنذ ذلك الحين أعلنت الصحافة الغربية حملة مكشوفة ضد الإسلام والمسلمين ، ولنسمى الأشياء بمسمياتها : « فبعد الديمجرافية المتزايدة فى العالم الثالث ، أصبح الخوف من الإسلام (يدخل فى هذا الإطار العالم العربى) المصدر الثانى لهوس الغرب » .

إن الإسلام يمثل اليوم حوالى ١٢ ألف مليون مسلم ، وسيتجاوز عددهم عند نهاية هذا القرن عدد سكان العالم فى بداية هذا القرن ، وقبل عام ٢٠٥٠ حسب الاسقاطات الديمجرافية خاصة إسقاطات چون بورجوة بينا وغيرهم من الاخصائيين الغربيين - سيمثل عدد المسلمين أكثر من ٤٠ ٪ من سكان العالم ، وإذا أضفنا إلى هاته المعطيات الكمية معطيات نوعية عن تطلعات الشباب المسلم بفكر جديد يستند إلى الجدية والمعرفة الدقيقة بواقعهم ، نفهم بصورة أوضح القلق والرعب الذى لا يصيب الغرب وحده ، ولكن يصيب حكومات عدد من الدول الإسلامية ! .

ب) اليابان

منذ زمن كانت كل المحاولات التى تتناول تقدم اليابان، تربط حداثة اليابان بتقليده للنموذج الغربى ، رافضة أن تكون هنالك طرقا لتحقيق الحداثة والمعاصرة خارج نظم القيم الغربية لكن هذه الأسطورة تلاشت وماتت منذ أن أظهر اليابان أن ما وصل إليه يعود إلى سيرورة سوسيو- ثقافية داخلية أو إلى اللغة والقيم المحددة لهم ، وبهذا المعنى عمل النجاح الاقتصادى والعلمى والثقافى على تدمير أطروحة النمط الواحد لتحقيق الحداثة ، وكان لذلك لأول مرة فى التاريخ المعاصر أثرا على تصدع هيمنة الغرب وبرهن فى المقابل أن الحداثة تتحقق حسب الجهد الخاص بكل شعب أو بلد .

إن الحداثة والعلم والتكنولوچيا والإبداع والخلق والتقدم الإجتماعى والديموقراطية والكرامة واحترام حقوق الإنسان ، ليست مواد قابلة للإستيراد أو التصدير أو للبيع . ففى الغرب يظهر اليابان مرعبا على المدى البعيد لما حققه على المستوى الثقافى والعلمى والاقتصادى والتجارى من كفاءة وتفوق عاليين خاصة وأن التفوق التجارى مثلا الذى عرفه اليابان ، ليس إلا نتيجة لاختيار ثقافى خاص ومستقل .

ولا يمكننا بهذا المعنى التنكر للقوة المتزايدة للمعطيات اللامادية فى مستقبل العلاقات الدولية . لهذه الأسباب تكون الصراعات المقبلة ذات أساس ثقافى وذات استراتيجيات غير مادية ، لا يمثل المظهر المادى ضمنها إلا جزءا ضعيفا .

فى ندوة مع چان چون سيرفان شريبرى فى التلفزة اليابانية سنة ١٩٨٦ توقعت أن صراعا جديدا بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية سيبرز عند نهاية هذا القرن . وفى سنة ١٩٨٨ فى مقدمة تقرير المعهد اليابانى لتقدم البحث العلمى (نيرا NIRA) تقرأ ما يلى : « يجب بكل أسف رؤية العالم بشكل مختلف ، إن النظام العالمى الجديد الذى يمكن أن ندعوه بعصر التعددية الحضارية يستند على تعايش الحضارات المختلفة .. وإذا كانت النزعة الغربية قد طورت الأحداث على المستوى المادى ، فإن حداثة اليابان تشهد على الاختلاف بين الحداثة والغربنة » .

إن هذه الفقرة تبرهن الدور المتنامى للجانب اللامادى فى إشكاليات مستقبل الإنسانية مما يعنى الإنتقال من مجتمع الإنتاج والإنتاجية المادية إلى مجتمع المعرفة والإعلام ، حيث تحظى الموارد البشرية ويشهد النشاط الاقتصادى تحولاً يمكن أن نسميه : بلا مادية الإقتصاد .

٢ - العلوم الجديدة وآفاق اللامادية :

أ) سيرورة « لامادية » الاقتصاد :

يشهد الاقتصاد تحولا من « المادى » إلى اللامادية لأن المواد الأساسية تتناقص شيئا فشيئا بفضل تقدم التكنولوچيا الدقيقة ، حيث نشهد اليوم حاسوبا مثل CRAY II يقوم بمليار و ٣٠٠ مليون فى الدقيقة ، وعلى مستوى التخزين فى مجال المعلومات يمكننا

من تخزين ما يوازن ٢٧٥ ألف صفحة على سنتيمتر أو سنتيمترين ، أما على مستوى تحويل ونقل المعطيات عن بعد عبر التليماتيك ، فيمكن نقل مكتب من حجم ستة ملايين مجلد ، وعشرة ملايين وثيقة إضافية في أقل من نصف ساعة من بلد لآخر .

ولعل الرأسمال الحقيقي في هذا المعطى هو تكوين الأشخاص والبحث ، وهو يبرز سيرورة « لا مادية » الاقتصاد . وبفضل العلوم الجديدة (Physique des particules, genie genelique, Sciences de l'espace) سيتضح كيف أن اللامادي سيتحول ماديا أيضا .

ب) تحول اللامادي إلى مادي :

خلال سبتمبر الماضي « بفانكوفر » بكندا انعقد مؤتمر متعدد الاختصاصات حضره ثلاثون عالما لهم الاهتمام بهذه العلوم الجديدة التي تضع اهتماما كبيرا للدور المتزايد للاتجاه « اللامادي » ، وبوجه خاص هذا التنافر الخاطئ أو المضاد بين المادي واللامادي الذي أصبح اليوم لا ماديا .

إن أكبر قفزة نحو الأمام في عالم المعرفة تتمثل أساسا في نبذ النظرة الميكانيكية للكون التي تركها لنا نيوتن ، وكذلك الشأن بالنسبة لضرورة تناول « العقلانية » التي أتى بها ديكارت تناولا نسبيا . أن هذين العالمين قدما للإنسانية تقدما هائلا ، لكنه تقدم في حاجة لأن يتجدد في أسسه وفي معارفه وحقائقه العلمية . ولعل اليقين الوحيد هو أن حقيقة اليوم لا يمكنها أن تكون حقيقة الغد .

إن الإنطلاق من العقلانية يمكن أن ينتهي بنا إلى لا عقلانية ، كما أن اندماج عدد من المعطيات التي تظهر على أنها لا عقلانية تصبح ضرورية لفهم أفضل للكون ، وقد كانت نتائج هذا المؤتمر ملخصة في (إعلان فانكوفر سبتمبر ١٩٨٩) الذي كان لي شرف المساهمة في تحريره ، فيما يلي فقرات منه تسلط الضوء على غياب الحدود والفواصل بين المادي واللامادي .

إن إعلان « فانكوفر » هو في نفس الآن شهادة إثبات على فشل النموذج المادي الغربي ، وتعبير عن طموح من أجل تحولات في البنيات العقلية الموروثة عن هذا النموذج والتي بدونها لن يستطيع الكائن البشري حفظ حياته .

ولاختتام هذا الموضوع أعود إلى فقرة من إعلان « فانكوفر » تطرح جملة من الأهداف ، كما تطرح نظاما حديثا لهذه النقلة نحو القرن ٢١ ونحو نظام عالمي جديد .

« إن هذه الأفكار تعدل من التصور لمكانة الإنسان في الطبيعة ، وتدعو إلى تحولات جذرية لنماذج التنمية : القضاء على الفقر والجهل والبؤس ونهاية تصدير الأسلحة وتبني طرق جديدة في التعلم ونظما تربوية جديدة واتجاهات عقلية جديدة ، وتطبيق متطور لإعادة توزيع من شأنه ضمان العدالة الاجتماعية ، ونظرة جديدة لنصف الحياة مبنية على تقليص التبذير واحترام التعددية البيولوجية السوسيوثقافية أو الثقافية ، إن إدماج العلم ، الثقافة يعطي مبررا للعيش عبر مقاربة للإدماج مبنية على رفع التجزيئ الذي يعترض التواصل الثقافي » .

نعم ، إن المشكل العميق هنا هو مشكل التواصل الثقافي الذي ينتفي فيه التعالي ، ويتميز بتسامح النظم مع الآخر ، والدفاع عن التعدد الثقافي كمصدر للإغناء والدفاع عن العربية ، إذا كنا نريد فعلا تأمين الكرامة المادية واللامادية للإنسان .

هوامش :

– جريدة « السلام » الجزائر ، ٢٨ أبريل ١٩٩١ .

L'EMERGENCE D'UN NOUVEL ORDRE INTERNATIONAL : LES DEFIS DE LA TRANSITON .

l'ere Conference Debat, Hautes Etudes de Management, HEM. Casablanca.

90/03/09 . Français. Arabe .

LIBERATION . Casablanca. Maroc, 12 et 19 / 03 / 1991 .

النظام العالمى ومستقبل التعاون الدولى وثلاثة سيناريوهات*

بعض أسباب أزمة التعاون الدولى :

تخترق التعاون الدولى أزمة حقيقية . تعود إلى الانطلاق الذى سار عليه بعد الحرب العالمية الثانية ، وإلى ما اكتسبه خلال العقود الأخيرة منذ تأسيس هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ التى تعرف تفككا يوما بعد يوم .

ولعل هذا التراجع يعود بوجه خاص إلى النصف الثانى من السبعينات ، حيث تتضافر عدة أسباب مختلفة من بينها :

١ - التغيير الحاصل فى النظام العالمى نتيجة تحرر عدد من الدول المستعمرة قديما ، مما طرح توزيع القوى داخل المنظمات العالمية موضع تساؤل .

٢ - مقاومة القوى العظمى لإعادة هيكلة عادلة للنظام العالمى ولاستعمال التعاون الدولى كوسيلة - بفضل سياسات مساعدة التنمية - للتحكم فى الوضع الراهن .

٣ - بلقنة العالم الثالث ، وبوجه خاص إفريقيا ، إلى أكثر من ١٣٠ دولة ، خوض صراعات محلية تؤدى إلى حروب حدودية باسم القوى العظمى .

٤ - غياب اتفاق على المقاصد التى هيمنت عند نهاية الحرب ، وعلى الأنساق القيمية التى تدعم ذلك ، التى هى عاجزة عن تحديد غايات متوافقة مع تحديات زمننا وعن التحرر من التمركز البدائى عن الذات .

٥ - إفلاس النماذج التنموية ، المدعومة من طرف الدول المصنعة والمؤسسات الدولية والمبنية على التطبيع والتبعية دون إعطاء أى اعتبار للبعد الإنسانى أو للسياق

* ١٩٨٨ .

السوسيو ثقافى أو للحاجات الحقيقية للسكان مثل الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان كشروط أساسية للتنمية .

٦ - سيرورة « الاختلال » الذى دفعت به عدد من الدول الصناعية المتقدمة على المستويين الوطنى والدولى - مما تسبب فى تعطل بالمعنى النسقى و « السيبيرنتيكى » فى الوقت الذى يعرف فيه العالم سرعة فائقة فى التاريخ وثورة فى الإعلام ، وتعقدا فى التطور ، إلى جانب التحديات المطروحة من أجل بقاء النوع البشرى والتى تفرض إعادة تشكيل نظم عالمية جديدة وقيما أدبية أخرى لقيادة الكون .

٧ - غياب الابتكار والتجديد ، الأمر الذى كشف عن عجز المجموعة الدولية عن تملك وتشخيص الخصائص على ضوء المستقبل ، وكذا عن حيرة ومأزق يعترضان التعاون الدولى .

دروس من الماضى :

إن الخطاب الذى نجده فى أغلب التقارير المنشورة ، خلال السنوات العشر الأخيرة ، من طرف المنظمات العالمية والجهوية القطرية ، خطاب ينصب حول التعاون الدولى الذى يعيش تطورا بما يحمله من حيرة تواجه الجنوب ومن عدم ثقة تتمايل بين الفعل والتعطل لدى الشمال .

وقد برز ذلك واضحا بوجه خاص منذ نشر تقرير لجنة برانت سنة ١٩٨٠ .ولعل ما يميز هذه الدراسات هى الفترة التى كان يغطيها التقرير ، وبالتالى لأجل تقييم عملية إفساد كانت أسبابها البنيوية كامنة واضحة منذ ١٩٧٠ ، والتى كان يجب أن تتفاقم حتى يدرك أبعادها .

من بين الفقرات المثيرة فى تقرير لجنة « برانت » - والتى لا تذكر إلا نادرا - الفقرة التالية: وبذلك فالصراع يستمر لأجل بنية جديدة فى العلاقات الدولية، ولاعتبارات غير اقتصادية وإنما اعتبارات مثل العوامل الدينية والعرقية والتربوية ، والرأى العام .السلام هدف لكل الأديان والمعتقدات والفلسفات .فهل يمكن انطلاقا من هذه الرغبة جعل الرغبة فى السلام قوة انفعالية وأخلاقية لمقاولاتنا ؟ (الصفحة ١٢ من التقرير) .

ومنذ عشر سنوات ، خلال المائدة المستديرة الأولى عن « الشمال ـ الجنوب » المنظمة من طرف الجمعية العالمية للتنمية بروما خلال مايو ١٩٧٨ ، أكدت على أن المظهر الذى يبدو الأكثر « سياسيا » والأكثر تحديدا لعلاقات الشمال بالجنوب هو الطبيعة الثقافية ، لأنه كانت هناك أهداف قيمية : « يجب إعطاء أولوية للأنساق القيمية حتى نؤكد أنه لا يمكن رفع الأزمة الحالية بين الشمال والجنوب بمجرد تكيف بسيط ، لأنها أزمة فى النظام عموما . وكل حل يجب أن يمر عبر تعريف جديد للأهداف ، والوظائف والبنيات وإعادة توزيع السلطة والثروات حسب تدرج للقيم المختلفة عن تلك التى تسببت فى ولادة النظام الحالى » .

كما كتبت قبيل افتتاح قمة كانان بالمكسيك يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٨١ مقالا نشر بجريدة « لوموند » الفرنسية ، عرضت خلاله تحليلا لنوعية الروابط بين الشمال والجنوب كما بدت لى ، وللأسف لا يزال التحليل يحظى إلى اليوم بنفس الفعالية على فهم نفس الروابط القائمة إلى اليوم بين الشمال والجنوب المبنية على « الأبوية » الظلم ، عدم المساواة ، الاستغلال والكبرياء والدفاع المتشدد عن نوعية الروابط القائمة بين الشمال والجنوب ... الجنوب الذى يشكو من غياب إرادة سياسية مدعومة بالثقة بالنفس ومن تبعية اقتصادية ومن استيلاب ثقافى ، ومن حالة البلقنة الموروثة عن الاستعمار ، ومن حركة وطنية فتية ، ومن فلسفة قصيرة المدى ، ومن الارتجال ومن موروث الضعف والتبذير فى الثروات البشرية والخروقات المنتظمة لحقوق الإنسان ، ومن تكريس منظم للا مساواة الداخلية وللتسول المقنع والدفاع عن « الاستقرار » بأى ثمن كان .

إن شهادات السلطات المؤهلة فى الشمال كما فى الجنوب ، للاعتراف العلنى بفشل سياسات التعاون الدولى المتبعة منذ الستينات ، كثيرة إلى درجة أصبحت تمثل القاعدة ، نذكر من بينها ثلاثة أمثلة :

كتب السيد ستيفان هيسل ـ السفير المنتدب الوزارى للتعاون والتنمية فى الحكومة الفرنسية ـ سنة ١٩٨١ يقول : « إن شيئا أكيدا ، هو أننا لم نعرف كيف نساعد العالم الثالث للخروج من التخلف ، لقد جرب الغرب كل نماذجه ، تغلغلت إلى العمق جاذبيتها حتى داخل القرارات « المحمية » فحضورها التجارى والاقتصادى والعسكرى والسياسى

كان يؤخذ بكل حرارة من طرف المسئولين فى كل الدول والاختلالات التى أدت إليه بدت عكسية رغم أن الربح الذى ناله السكان بقوتهم المتكاثرة لم يظهر أبدا » .

« إننا نحس على العكس من ذلك أنهم يخضعون تحت وطأة القمع والبؤس والعنف ولا مساواة غير متوافقة مع مستوى العيش ولا مع خصوبة التزايد داخل النسيج الاجتماعى ، والتى تتعرض أحيانا لايديولوچيات قاتلة ، وغير قادرة على الدفاع عن حريتهم وطموحاتهم » .

الشهادة الثانية هى للحكومات الأفريقية من خلال تقرير المؤتمر الاقتصادى لوزراء الدول الأعضاء فى منظمة الوحدة الأفريقية الذى سلم لرؤساء الدول المجتمعين فى أول قمة اقتصادية لمنظمة الوحدة الأفريقية بلاجوس سنة ١٩٨٠ .

نقرأ فى هذه الشهادة : « بتحليل نتائج استراتيچيات لم تعمل إلا على شد أفريقيا إلى حالة التخلف والتبعية للخارج » .

خلال فبراير ١٩٨٨ نشرت الڤاتيكان موسوعة لچون پول الثانى تحت عنوان SOLLICITUDI REL SOCIALI خصصت لمسألة التنمية .

نعرض من بين نصوصها فقرتين : « لا يمكننا إنكار الوضعية الراهنة للعالم فيما يتعلق بالتنمية ، والتى تعطى انطباعا سلبيا .. » وبخصوص المديونية : « الأداة المستعملة لتحقيق التنمية بدأت تتحول إلى آلية ذات نتائج مضادة .. وتفاؤل ميكانيكى ساذج » .

المثال الرابع والأخير يوجد ضمن إحدى تصريحات السيد هالس هانسن مستشار لدى وزارة التنمية النرويجية ، حيث يصنف سنوات الثمانينات « كعقود للفشل » مضيفا بأن « الفقراء فى البلدان الفقيرة عانوا من الوصفات والتوجيهات السياسية للدول الغربية ...إن هؤلاء الفقراء هم الذين يؤدون ثمن الفقر الدائم لدولهم ، واللامساواة لا تعمل هنا إلاعلى تعميق ذلك بفقدان أغلبهم لوظائفهم أو أجورهم التى تتقلص وتتجمد كنتيجة للحضور المكثف للخصخصة ، التى يشيعها الغرب » .

إننا سقنا شهادات ، هى فى معظمها ذات أصل غربى ، باستثناء شهادة

الحكومات الأفريقية ، لنوضح إلى أى أحد بلغ حجم فشل التعاون الدولى الذى لا يلبى إلا طموحات موجهى وممولى هذا التعاون ، بدون أن نعود إلى التحليلات التى نجدها بالجنوب ، والتى لا تزال آنية وظرفية ، ننتهى إلى البرهنة على اختيار محاكمة تجربة الثلاثين سنة الأخيرة - كفضاء لجيل كامل - قبل الانطلاق فى عرض عينة لتمرين مستقبلى بسيط عن مستقبل التعاون الدولى .

ثلاثة سيناريوهات لمستقبل التعاون الدولى فى أفق عام ٢٠٠٠ :

إن اختيار الماضى ضرورى لفهم الحاضر واستشراف المستقبل ، وبخصوص ما هو حاضر ، نجد الجنوب يشكو درجة عالية من الحيرة ، من شأنها أن تكون مصدر قلق على المدى المتوسط والبعيد ، فى حين نجدها فى الشمال ليست مصدرا لتضامن إنسانى ولكن أيضا حالة تضاد بسبب ما قد تؤدى إليه اللامساواة كنتيجة لما يلحق بعض الأبعاد .

إن تحليلنا المستقبلى ينحصر هنا على نظرة مخطط إجمالى لسيناريوهات أولية تحاول استخراج بعض عناصر إشكالية التعاون الدولى والتطورات الممكنة لهذا الأخير . إن الموضوع جد معقد ويستحق دراسة عميقة لفريق دولى متعدد الاختصاصات ، وبكل الوسائل المكتسبة قصد تأمين النزاهة العلمية والمنهاجية التى يستحقها .

إن مجرد عدم مباشرة نشاط مماثل بعد ، يمثل مؤشراً للخلل الذى يصيب التعاون المعاصر ، لقد فكرت الأمم المتحدة واليونسكو فى ذلك ، لكن المشكلات الكبيرة التى تعترض التعاون عدم اتفاق الغايات والأهداف ، وكذا حدة أزمة التحولات المتعددة الجوانب ، كل ذلك لم يسمح بتحقيق مشروع من تلك المشاريع .

إن تقديم ثلاثة سيناريوهات مقاربة كلاسيكية فى علم المستقبليات ، حيث نجد سيناريو محافظ (أ) - وسيناريو إصلاحى (ب) - وسيناريو التغير وإعادة التوزيع (س) .

لقد اقتصرنا على عشرين ثابتا لأجل استشراف تطبيقات كل واحد من السيناريوهات الثلاثة فى أفق عام ٢٠٠٠ ، وهو ما يرتبط بالمستقبليات على المدى القصير مادامت هنالك دائما بعض المتغيرات التى تكون وازنة فى اتجاهها ولا يمكن قلبها بسهولة على مدى ١٥ أو ٢٠ سنة على الأقل .

– سيناريو (أ):

يمثل سيناريو الاستقرار إسقاطا - يكاد يكون خطيا - للوضعية الراهنة ويتعلق الأمر بسيناريو محافظ لا يقبل التغيير إلا فى إطار التكيف وبخطى بطيئة .. لا يكون دونما أى مخرج ، ويستمر الجنوب فى متابعة اختيار نموذج التنمية المنفتحة على منطق التكيف والتبعية المتزايدة ، وبوجه خاص فى مجال التغذية ، والذى يمكن أن يضاعف ديونها ضعف ما هى عليه اليوم خلال السنوات العشر القادمة لتتجاوز ٢٠٠٠ مليار دولار ، وهو مبلغ مقابل للذى يصرف عالميا على التسلح . وإن انخفاض أسعار المواد الأولية التى انتقلت من المعامل ١١٦ سنة ١٩٥٧ إلى المعامل ٦٠ سنة ١٩٨٧ ، لا يمكنها أن تتسع إلا باستمرار المواد المصنعة فى الشمال فى الارتفاع .

وكما نرى فى الجدول المتعلق بسيناريوهات مستقبل التعاون الدولى - فإن عدد الأشخاص الذين يعيشون دون مستوى العيش العادى وفى أمية واسعة سيتجاوزون مليار شخص . ويبقى الاندماج الاقتصادى والتنمية العلمية والتكنولوچية ، ذات استثناءات ، وممنوعة على دول الجنوب .

إن العالم الثالث سيكون مسرحا شبه شامل لحوالى ٢٥ نزاع عسكرى فى السنة ، فى عالم سيخلف حوالى ٢ مليون و ٥٠٠ ألف ضحية ، ويستمر فى دفع ضريبة تطور الأسلحة المصنوعة فى الشمال ، وقد شهدت سنة ١٩٨٧ حوالى ٢٢ حربا ونزاعا مسلحا سقط خلالها ٢٢٠٠٠٠٠ قتيل من بينهم : ٧٠٠٠٠٠ من العسكريين و ١٥٠٠٠٠٠ من المدنيين و ٩٥ ٪ من مجموع الضحايا هم من العالم الثالث .

إن هذا السيناريو هو المسئول أيضا عن بطء سيرورة الدمقرطة وخرق حقوق الإنسان وتضييق التسامح الدينى فى الجنوب وتركيز العنصرية والتطرف والتمركز حول الذات فى الشمال .

إن السيناريو « أ » لا يعمل إلا على تكريس الظلم واللامساواة المميزة للنظام العالمى الحالى . ويزيد فى الهوة الاقتصادية والسوسيو ثقافية التى تفصل بين الدول المصنعة والدول النامية ، وهو الاتجاه السائد منذ ١٩٦٠ ، فخلال هذه السنة كان متوسط الدخل للدول السالفة الذكر يصل إلى حوالى ٢٠ مثل ما كان للدول النامية ، ومنذ ١٩٦٠

كلما اغتنى العالم الثالث بدولار واحد اغتنت دول الشمال بحوالى ٢٠٠ دولار . وقد تميزت العقود الثلاثة الأخيرة من « تنمية الأمم المتحدة » (١٩٦٠ ـ ١٩٩٠) بتزايد الفارق ما بين الشمال والجنوب بـ ٢٥٠ ٪ ، ولكى نتلافى أى مدخل سوريالى فى دراسة العلاقات الدولية لم نعرض أى إسقاط خطى لهذا الاتجاه فى أفق عام ٢٠٠٠ .

فى إطار هذا السيناريو نجد كلا من البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والجات تستمر فى احتواء المشهد الدولى ، لأن نظمها فى امتلاك القرار هى لحماية تفوق الدول الصناعية الكبرى . إن نظام الأمم المتحدة يسير شيئا فشيئا نحو الاقصاء إلى برنامج من درجة ثانية يصطدم بابتزاز مستمر من طرف الفاعلين الأساسيين .

ويتم تقديم بعض التنقيحات على مخطط الأمم المتحدة الإجرائى والإدارى والمالى لأجل الحد من « تسييسها » وتشكيل بيروقراطيتها ، وستفقد جزءا كبيرا من مصداقيتها أمام الرأى العام الدولى وتصبح بالتالى مجرد مدافع لا شعورى عن الوضع الراهن .

ومن بين التجليات الأساسية لهذا السيناريو دعم المساعدات وتشجيع التسول . وستعرف المساعدات للتنمية ركودا لكنها ستستمر فى مستوى كافى يسمح لعدد من الأنظمة المحتضرة أن تستعيد الحياة وتستمر ، كما تعمل على تعزيز التبعية السياسية والاقتصادية والاستيلاب الثقافى داخل باقى دول العالم الثالث .

ولعل الإشكال المطروح هو معرفة مدى قدرة الشمال عن التنازل عن برنامج المساعدة ـ الذى وصفه « چان بييركو » سنة ١٩٨١ عندما كان وزيرا للتعاون والتنمية بفرنسا وكان مكلفا بتقرير بيرتلو Rapport du Berthelot الذى يجلب للدول المانحة ، عبر أشكال مختلفة حوالى ست مرات مما تحصل عليه الدول الممنوحة ، ويبرر « كلود شيسون » ـ المندوب بالمجموعة الاقتصادية الأوروبية ـ ضرورة رفع المساعدات للعالم الثالث باعتبار هذا الأخير يمثل ٤٠ ٪ من تجارة السوق الأوروبية المشتركة ، وليس صعبا البرهنة على أن مفهوم « مساعدة » تبرير لغوى مضلل لأن الجنوب هو الذى يساعد الشمال فى الواقع .

وفى نهاية التحليل يمكننا القول وبدون أى تردد يدعونا للخوف من الخطأ ، على الأقل بالنسبة للمدى المتوسط أن هذا السيناريو لا يمكن تصور استمراره فى حدود السنوات الخمس أو العشر القادمة ، لأنه يركز اللامساواة والظلم ويمثل مسا بكرامة

الكائن البشري . ويبقى السؤال الذى طرحه « أوريليوبيكى AURELIO PECCEI » المؤسس لنادي روما قائما باستمرار : **هل يمكن تصور عدد من الناس يمكنهم العيش فى سلام داخل عالم صغير جدا على جوانب محاطة بهوة عميقة ؟**

وقد أجاب ـ ما هو ـ المدير العام السابق لليونسكو ، عن هذا السؤال سنة ١٩٧٢ بالطريقة التالية : « إن أكبر خطر يهدد الإنسانية يتمثل بدرجة أقل فى الفقر داخل بعض البلدان ، من اللامساواة بين بلد وآخر ، لأنه إذا كانت للإنسانية قدرة لا محدودة على المعاناة من تجربة قاسية فى الفقر وصبر مفرط من شدة احتمالها ، فإنه لا يمكن التسامح عندما يتعلق الأمر باللامساواة » .

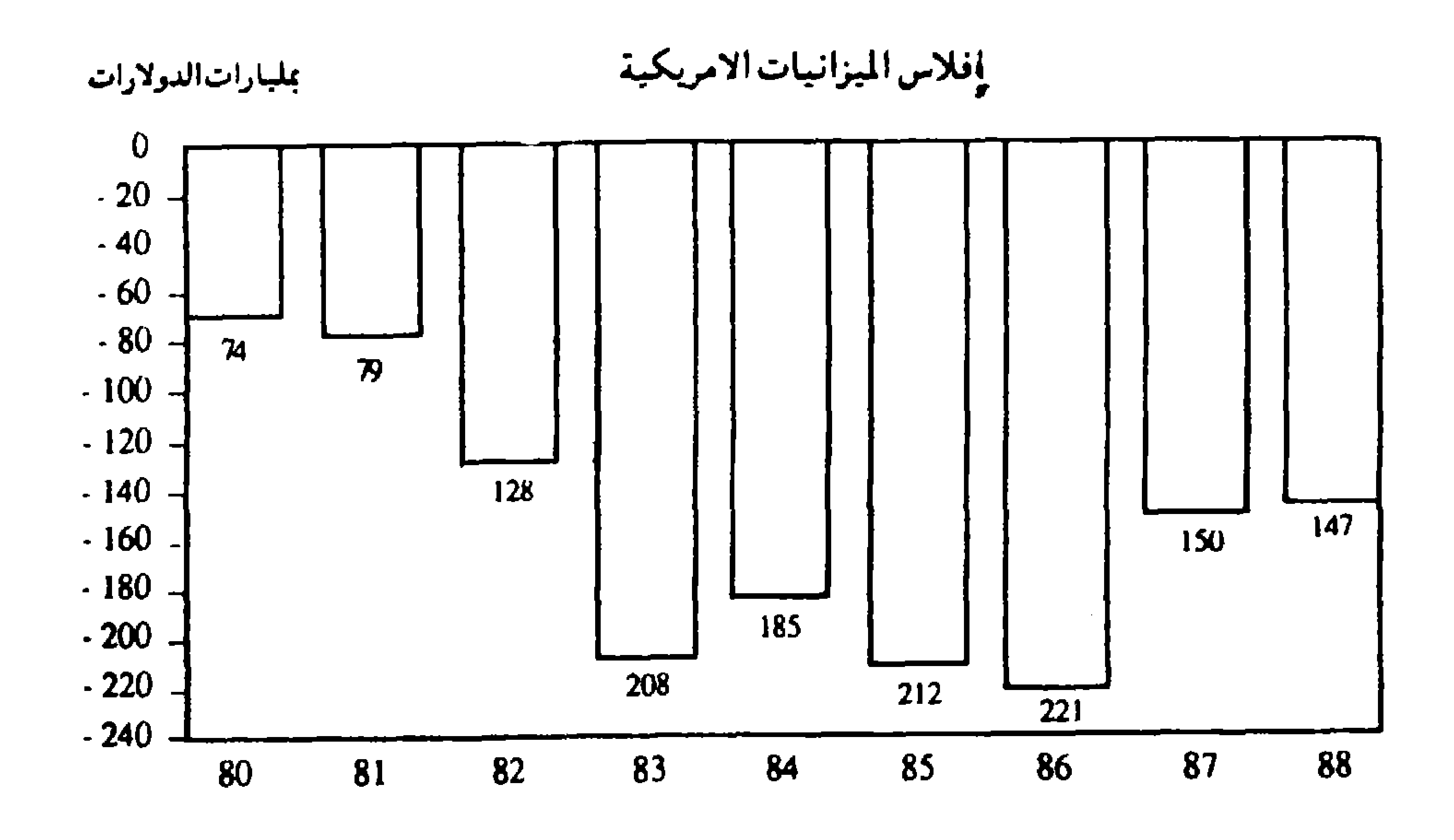
سيناريو الإصلاح ـ « سيناريو (ب) »

عندما لا يكون الانضباط كافيا لمنع نظام ما من الفساد والاتلاف أو من ضمان استمراره فى الحياة، فإننا نضطر إلى الإصلاح ـ والذى فيه يتجلى السيناريو « ب » كما يظهر ذلك فى الرسم البيانى رقم ١ ولعل أهم الإصلاحات المستعجلة والمطلوبة تلك التى تتعلق بالنظام المالى الذى شهد اختلالاً أحادى الجانب من طرف الولايات المتحدة ، وخلق حالة لا تسهل لا التنمية ولا التعاون الدولى ، أن البيان « ١ » الذى يوضح عجز الميزانيات الأمريكية ، يكشف كيف أن بلدا من الشمال ، يعتبر أول قوة اقتصادية عالمية ، لا يمكنه الحياة بالاعتماد على إمكانياته الخاصة وإنما على ثروات الآخرين ، كما جاء فى « واشنطن بوست » فى افتتاحيتها ليوم ٢٩ سبتمبر ١٩٨٧ .

"Supporting American society in the manner to which it has bccome accustomed currcntly requires nearly 150 billion dollars a year of foreign support" .

إن هذه الإعانة المالية الأجنبية المقدرة بـ ١٥٠ مليار دولار سنويا ، للمجتمع الأمريكى تمثل أربعة أضعاف المبلغ المخصص لمجموع المساعدة العامة للتنمية الممنوحة من طرف ٢٤ دولة صناعية عضو فى مجلس التعاون والتنمية الاقتصادية لمجموع دول الجنوب ، كما تمثل ١٥ مرة من مجموع ما تساهم به الولايات المتحدة « للمساعدة العامة للتنمية » .

إن اللجوء إلى عجز الميزانيات كمرجع ليس حكرا على الولايات المتحدة الأمريكية !



إفلاس الميزانية بفرنسا

بمليارات الفرنكات

0
- 10
- 20
- 30
- 40
- 50
- 60
- 70
- 80
- 90
100
110
120
- 130
140
150
160
- 170
180

34
- 38
- 30
- 81
- 99
- 130
146
- 153
- 141
- 120

78
79
80
81
82
83
84
85
86
87

فالبيان رقم ٢ يقدم أيضا عجز ميزانيات فرنسا خلال الفترة ما بين ١٩٧٨ و ١٩٨٧ ، حيث بلغ عجزها سنة ١٩٨٥ مجموعا لـ ١٥٣ مليار فرنك فرنسى أى حوالى ٢٧ مليار دولار ، وهو مبلغ يمثل حوالى ثمان مرات من مساهمة فرنسا السنوية للمساعدة العامة لتنمية الجنوب (حوالى ٣,٥ مليار دولار سنة ١٩٨٦) .

وفى حالة الولايات المتحدة الأمريكية ، نجد سياسة العجز فى الميزانيات تؤثر مباشرة فى معدل الفائدة الأمريكية ، وكذلك الشأن بالنسبة لتغيرات سعر الصرف التى لها آثار جدية على مجموع الاقتصاد العالمى على الدول الأكثر فقرا ، والتى تتلقى الضرر الأكبر من جراء هذا الاضطراب الذاتى .

هل ما زال ممكنا التأثير بإصلاحات لأجل ضمان حد أدنى من النزاهة داخل القيم المصرفية والمالية والتجارية الدولية ؟ أم أن هذه المرحلة أصبحت متجاوزة بالمعنى الذى أصبح التفكير يتجه نحو إعادة بناء مجموع النظام الاقتصادى لحل المشاكل وبوجه خاص المديونية الواقعة على العالم الثالث ؟

أضطر إلى تضييق للتعبير من غير شك عن جدوى الاصلاحات الجزئية تبعا لخطورة الأزمة .

وإلى جانب المشاكل الناتجة عن اتساع جوانب الاشكالية ، يجب على مساعدة التنمية كشف الأوهام لما لها من أهمية نوعية بالنسبة للمشاكل المطروحة فى التنمية والتى لم تتجاوز - أى مساعدات التنمية . فى مجموعها سنة ١٩٨٦ ٤٠ مليار دولار ، لا تتجاوز ضمنها مساهمة الدول الصناعية إلا بـ ٠,٣٥ ٪ من مدخولها القومى ، فى حين بلغت مساهمة الدول المنتجة للبترول . الأعضاء فى الأوبيك حوالى ١ ٪ كمتوسط وليس هناك سوى أربع دول بلغت مساهمتها (١ ٪) من مدخولها القومى - ٤,٥ ٪ بالنسبة للسعودية ، ٣ ٪ بالنسبة للكويت ، ١,٢٠ ٪ بالنسبة للنرويج و١ ٪ بالنسبة لهولندا .

فى السيناريو « ب » يتجه الجنوب نحو تنمية متمركزة على الذات مع انخفاض يصل حوالى ٢٥ ٪ من مساعدات التنمية ، كما سيتعزز التعاون بين الجنوب ، وستصبح الأسبقية فى التعاون على مستوى الموارد البشرية والتواصل بما فى ذلك الإعلام ، أما ديون العالم الثالث فيمكن أن تتقلص إلى حوالى ٤٠٠ مليار دولار ، أى حوالى ثلث المجموع الحالى .

وسيسمح هذا السيناريو بتقويم وضعية التبادلات المالية المحصلة منذ سنوات ، بتحويل سلبى بين الشمال والجنوب ، إذ نلاحظ أن منطقة أمريكا اللاتينية من العالم الثالث ذات تحويل خالص سلبى فى المجموع خلال الفترة ما بين ١٩٨٢ ـ ١٩٨٦ والذى يمثل حسب البنك الأمريكى الداخلى ، ١٣٢ مليار دولار ، ولم تعمل الالتزامات الجديدة للثروات الخاصة بالدول النامية إلا على المزيد من التقليص بلغ ٣٦ مليار دولار سنة ١٩٨٤ مقابل ٦٤ مليار دولار سنة ١٩٨١ .

ويحسن بشكل محسوس مجموع المقاييس ، لكنه سيجعل دخول العالم إلى القرن ٢١ بحوالى ٧٠٠ مليون إنسان على عتبة الفقر المطلق ، و ٦٠٠ مليون أمى ، مع إعادة توجيه التعاون الدولى نحو أنشطة تطبيعية . وبدون تمييز بين الشمال والجنوب ـ مع تبطئ سرعة تزايد الهوة بين الشمال والجنوب ، وسيدفع إلى احترام أفضل لحقوق الإنسان وإلى دمقرطة بطيئة بالجنوب وإلى استعادة مصداقية نظام الأمم المتحدة ، لكن النزاعات المسلحة تستمر فى تخليف أكثر من ٥٠٠ ألف ضحية سنويا ، وبالتالى استمرار المصاريف العسكرية خلال عام ٢٠٠٠ فى نفس مستواها الحالى . إن محاولة تقييم شاملة لهذا السيناريو ليست بالسهلة تبعا للوضعية التى يوجد عليها اليوم التعاون العالمى ، إنه سيناريو يدخل ضمن مجال الممكن إذا ما بدأ تطبيقه منذ غد ، لكن هل يمكنه المقاومة والاستمرار أمام حدة الإستياء ونفاذ الصبر اللذان اخترقا الجنوب بكامله ؟ إن مرحلة الاصلاحات تبدو لنا نفسها متجاوزة لأننا تأخرنا كثيرا فى ذلك ، ولأن اللامساوات بلغت مستوى لم يعد ينفع معه غير التغيير الذى يسمح بإعادة توزيع عادل داخل كل بلد وبين بلد وآخر مما يسمح بشق طريق جديد وشكل جديد للتعاون الدولى ولسلم دائم .

ففى الوقت الذى تتجاوز فيه ديون الولايات المتحدة الأمريكية ١٢٠٠ مليار دولار خلال سنة ١٩٨٨ * ، نلاحظ أن العالم الثالث يؤدى خلال الفترة ما بين ١٩٨٣ ـ ١٩٨٧ حوالى ١٠٠ مليار دولار ، أى أكثر مما تلقاه كسلفيات . وفى وضعية مثل هذه كما يبدو ، يساعد من خلال الأرقام السابقة يساعد العالم الثالث فى إنعاش اقتصاديات الوفرة ،

* أصبحت الآن أكثر من ٤ تريلون (أربعة آلاف مليون) !

بينما لا يجد نصف مليار كائن بشرى ما يسد به الرمق ، ويبقى التغيير هو الأفق الوحيد لمسيرة العالم الثالث .

سيناريو التغيير ، سيناريو « س » .

فى نظرى ، يبقى سيناريو التغيير ، أو إعادة توزيع الحد الأدنى المكتسب لتأمين مستقبل أفضل للتعاون الدولى ، وتقليص ثمن وكلفة التغير الاجتماعى بشريا وماديا ، وهو الذى يعطى بعض الحظوظ للجنوب للقدرة على الانتقال إلى مجتمع للمعرفة الذى دخل فيها الشمال قبله ، وهو مجتمع ناتج عن الوتيرة المتسارعة للتاريخ ولتعقد متزايد وتطور سريع فى نظم القيم ، إنه أيضا مجتمع أصبحت الموارد البشرية الرأسمال الحيوى لمسيرة أى تقدم .

ومن بين إحدى تحديات سيناريو « س » مسألة تحقيق الجنوب لنموذج داخلى ، وفى الدول مثل الصين والهند وباكستان والبرازيل وبنجلاديش والمكسيك ، حيث يتجاوز عدد السكان عام ٢٠٠٠ حوالى ١٠٠ مليون نسمة ، يصبح الوصول إلى نموذج تنموى داخلى متحقق تقريبا (الصين والهند) ، أو يصبح أكثر حظا على التحقق خلال بداية القرن المقبل .

ويكتسب هذا النموذج اقتصادا متراتبا مع قوة فاعلة ، وسوق لا يقل سكانها عن ما بين ١٠٠ و ١٥٠ مليون ساكن .

والشمال لا يصطدم بنفس درجة البلقنة التى فى الجنوب ، وذلك بفضل مجهوده فى الاندماج الاقتصادى بأمريكا الشمالية وأوروبا الغربية وبأوروبا الشرقية ، فالمجموعة الدولية تتكون من ٢٥ دولة يرتفع عدد سكانها إلى ٤ مليار ساكن ، أى حوالى ٨٠ ٪ من مجموع سكان العالم ، مقابل ٤٠ دولة لا يتجاوز عدد سكانها ٢٠ ٪ من مجموع سكان العالم ، لكن المنطقة التى تعانى التقطيع أكثر هى إفريقيا التى لا يبلغ معدل الدول - الأعضاء بهيئة الأمم المتحدة أكثر من ٣٠ مليون نسمة .

وكما أشرنا سابقا ، فإن السيناريو « س » فى إطار حدود استعماله ، وفى إطار الشروط الممكنة والمتوخاة ، هو السبيل الأقل كارثية بالنسبة للإنسانية فى مجموعها ، لأنه سيمكن من خلال إعادة توزيع - متأخرة - من تسهيل عملية التواصل الثقافى غير

المتجانس ، والتى ستكون السبيل لنمط جديد من التعاون الدولى .

ويفرض السيناريو « س » إعادة تجديد للمنظمات الدولية ، بدءاً من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ومجموع نظام الأمم المتحدة ، ولأجل ذلك يجب تجديد المقاصد المتعددة الأبعاد ، ومجموع النظرة لمسألة التنمية التى كانت سببا فى الهوة الفاصلة بين حاجيات دول الشمال وحاجيات دول الجنوب ، ومن هذا المعطى يجب على نظام الأمم المتحدة الانشغال أساسا بوضع مؤسسات أخرى لمناقشة هذه المشاكل .

إن شمولية المشكل الكبير لا تسمح أبدا « بأبارتيد » أى نظام عنصرى ، لا فى التصور ولا فى الممارسة . إن الكونية الإنسانية التى يتحدث عنها الجميع تمر من كونية الأمانى إلى كونية العمل المشترك والنظر باحترام وتبنى للتعددية .

إن مهمة الحاضر هى إعداد المستقبل لتعاون دولى فى خدمة سعادة الأفراد واحترام حقوق الإنسان وتشجيع الإبداع والانفتاح وبناء ديموقراطية ما بعد صناعية وبناء السلام . إن الدفاع من أجل البقاء بالنسبة للإنسانية يفرض تنمية البنيات العقلية الجديدة وقيما لبلوغ هذه الأهداف .

ولعله من الإشارات المشجعة داخل التعاون « جنوب / جنوب » هو الإتفاق الجديد بين ٤٥ دولة من العالم الثالث فى إطار النظام الشمولى للأولويات التجارية المجتمع ببلجراد يوم ١٢ أغسطس ١٩٨٨ ، هذا الاتفاق الذى أنجز ١٠٠ أجتماع ثنائى بين الدول الجنوبية المعنية ، ويغطى حوالى ١٥٠٠ منتوج كما يمثل تبادلا تجاريا لأكثر من ١٠٠ مليار دولار بين دول العالم الثالث .

إن التعاون « جنوب ـ جنوب » يسهل تحول النظام العالمى ، ويمكن من تعاون دولى جديد يكون أقل تركيزا على المساعدة ، لكن على التبادلات المتعادلة والأكثر توازنا فى المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية . وعندما سيبرهن الجنوب جديته ، يتردد الشمال فى التعامل مع ذلك بجدية .

إن السيناريو « س » يتوقع انخفاضا قويا للمساعدة العامة للتنمية ، هذا الانخفاض الذى سيصل إلى مستوى ١٥ مليار دولار ، الجزء الأكبر منها سيتحول إلى تعاون متعدد الزوايا المجدية والمعقولة ، كما أن ديون العالم الثالث تتقلص إلى ٢٠٠ مليار دولار ، وسيتم كذلك الدخول إلى القرن ٢١ بـ ٢٠٠ مليون شخص على عتبة الفقر المطلق ،

وأكثر من ٣٠٠ مليون شخص أمي ، وسنرى بالرغم من ذلك تقدما كبيرا فى مجال حقوق الإنسان مع تطور متوسط ، لكن غير طويل لعملية الدمقرطة ، أما النزاعات المسلحة فستستمر رغم التقلص الملحوظ الذى سيحدث فى عددها وكذلك الشأن فى عدد الضحايا التى كانت تخلف والتى ستصل إلى ١٠٠ ألف ضحية بدل مليونين و ٢٠٠ ألف ضحية ، وبذلك ستتقلص المصاريف العسكرية الخاصة بالتسلح إلى ٥٠٠ مليار دولار بدل ٢٠٠٠ مليار دولار .

بدأ الناس يفهمون أن مشكلة الاندماج الاقتصادى المحلى ليست مشكلة ذات مقاصد تاريخية إنما أصبحت ضرورة لأجل البقاء .

فى مجال العلم والتكنولوجيا المتقدمة ، لا تحتاج دول الجنوب إلى إدماج اقتصادى ، لمسألة اقتصاد التدرج فحسب ، وإنما أيضا هى فى حاجة إلى القدرة على التعاون فى هذه المجالات فى إطار علاقات جنوب ـ جنوب ما دام الشمال يبدو متحفظا تجاه التعاون مع الجنوب فى هذه الميادين .

يسجل السيد « هارى أرتس » عضو بالبرلمان الأوروبى فى تقرير حديث له (١٩٨٨) على أن هذا الشكل من التعاون عند المجموعة الأوروبية هو نادر جدا مع دول الجنوب بالمقارنة مع ما للمجموعة الأوروبية من برامج متعددة فى مجال التعاون مع دول الجنوب ، إلا أن هذه المجالات من التعاون تبقى مقتصرة على العلاقة بين الدول الغربية فيما بينها ... وغالبا ما كانت الصناعات الغربية الخاصة تعيش أخطارا ومنافسة فى تنمية التكنولوجيا داخل العالم الثالث ، لكن يظهر على المدى البعيد أن تحويل التكنولوجيا لا يمكنه إلا أن يزيد من قوة النشاط الاقتصادى داخل مجموع العالم .

إن مسألة التعاون الدولى على مستوى التكنولوجيات المتقدمة هو ما يبرر أكثر ، ومنذ الآن ، تعززا داخل التعاون « جنوب ـ جنوب » عكس ما كانت عليه من ضعف قياسا لمستوى التبادلات التجارية ، ففى الوقت الذى تمثل فيه التجارة بين الجنوب والشمال ١٨ ٪ لا تتجاوز على مستوى « الجنوب / الجنوب » سوى ٨ ٪ .

إن واحدا من الخطوات التحولية التى قطعها العالم الثالث كانت سنة ١٩٨٧ ، من طرف « هيئة الجنوب » التى تضم ٢٨ شخصية من أعلى مستوى داخل العالم الثالث ، وعلى رأسها السيد جوليوس نيريرى ، الرئيس التزانى السابق .

إشكالية الديموقراطية
فــى العالم العربــى*

إسمحوا لى أن أتحدث كجامعى وكباحث قضى أكثر من ثلاثين سنة فى التعليم ، من جهة ، حيث أجد نفسى مندهشا مهتما ومتعلما مع معرفة هؤلاء الذين تحدثوا طيلة اليوم كما اغتنيت وتوضحت لى الأمور وفهمت أكثر بعض الإشكاليات .

أنتقل إلى الجهة الأخرى من ذاتي ترتبط بجزء من حياتي ، قضيتها كمدير عام للإذاعة والتلفزيون وكرئيس مؤسس لإحدى منظمات حقوق الإنسان بالمغرب . لكن لماذا يا ترى هناك فصامية بين الإثنين ؟ لأنه حين كان هنالك متدخلون يتكلمون سواء هذا الصباح أو فى جلسة هذا الزوال ، كنت أقول لنفسى : لو أنى أخذت شريطا مسجلا لما قيل ، وأقوم ببثه عبر كل إذاعات الدول العربية ماذا كان يكون ؟

ليس من وجهة نظر علمية ولكن من وجهة نظر نفسية تربوية ، أو من منظور « خطاب مرسل » وبأية لغة ؟ هل سنستمر فى الاختفاء وراء لغة الخشب ؟ بالإحالة إلى فيبر وكانط وهيجل و ..... إننى لست ضد ذلك ...

لكن حين نتناول موضوعا مثل الديموقراطية فى العالم العربى ، فإنى أضع نفسى ضد الذين يقولون إن النخبة يجب أن تساعد الشعوب على « تحقيق » الديموقراطية . قالوا لنا اليوم أن السكان ليسوا مطالبين بالديموقراطية وأن النخبة هى المرشد . وكان المستعمر يقول لنا نفس الشئ قبل بضع سنوات أن السكان غير متأهلين لنيل الاستقلال .

فعن أية نخبة يتحدثون ؟ نخبة فى جزئها الأكبر غير قادرة إلا عن الإحالة عن

---

* يناير ١٩٩٠ .

غيرها وتقوم برقابة ذاتية بدافع الخوف من أن تفقد امتيازاتها ؟ . إنى أؤكد لكم أنه بالنسبة لشخص يناضل من أجل حقوق الإنسان ، وهذا استنتاج محزن من الميدان أن عددا من هذه النخبة التى تتحدثون عنها هى التى تعقد معركة الدفاع عن الديموقراطية . وقبل أن أستعمل مصطلح « الديموقراطية » أقول أن هنالك شيئا بسيطا ومعروفا جدا فى كل الحضارات والثقافات منذ بداية الإنسانية هو الكرامة، وبالنظر إلى التقدم الكبير الذى حدث فى علم الوراثة لا أستبعد أن نجد يوما « جينة » ـ "un gêne" ـ داخل نظام الشفرة الوراثية .

إن الكائن البشرى كيفما كان يحتوى داخل نفسه ضمن « كروموزوماته » عنصرا منظما يحمى كرامته ، إذ لسنا فى حاجة إلى مئوية الثورة الفرنسية لتفسير ما هى التجاوزات فى حقوق الإنسان . لا يجب أن نكون معقدين إلى الحد الذى نقلد فيه بشكل أعمى « كونية » شكلية، لأن الكونى لا يوجد إلا فى إطار التعدد والإغناء المستمر . الكونى هو فى احترام بعض النظم دون اقصاء لأى منها ، والمعركة الوحيدة هى معركة الكرامة لكل الأفراد دون انتقاء أو تفاضل ، فلا نكون فى آخر الطريق ، لأن لنا سكانا يعانون صباح مساء .

ما هو العالم العربى اليوم ؟ إنه ٢٢٠ مليون ساكن ، فهل تعلمون أن ٥٣ ٪ لهم أقل من ١٨ سنة ، وأن ٦٥ ٪ منهم لا تتجاوز أعمارهم ٢٥ سنة ، وأن النخبة المدبرة من بيروقراطية أشبه ما تكون بالمافيا ملتصقة بمناصبها منذ سنين عديدة .

تحدثوا لنا عن انتخابات حرة فى دولة من دول منطقتنا ، بينما الانتخابات ليست حرة فى أى بلد من بلدان العالم العربى . يجب على عدد من أفراد النخبة الثقافية العربية التخلص من كثير من عقدهم ورفع استيلابهم الثقافى الموروث منذ العهد الاستعمارى إذا كانوا يتمنون فعلا الانخراط فى تنمية الديموقراطية وتطورها فى بلدانهم .

تدخل رئيس الجلسة ، جاك بيرك (J. BERQUE)

صديقى العزيز ، ربما ليس من واجبى الرد على خطاب فصيح مثل الذى تحدثتم به ، ولكن لأقول أنه ليس هنالك أى خصم للكرامة الإنسانية ، وأننى لم أسمع منذ بداية

الجلسة أى أحد تحدث مباشرة أو بشكل غير مباشر ـ كيفما كان ـ معتديا على هذه الكرامة الإنسانية .

المهدى المنجرة

عندما تحدثت عن « الوراثة البيولوچية » لم أهاجم أحدا ، وإنما هاجمت مفهوما للتبعية والذى من خلاله يقال لنا أن الديموقراطية بدأت فى الغرب ، وأن دورنا سيأتى إذا ما كنا تلامذة مجدين ، وقلت أن هنالك ظاهرة كونية لها أساس بيولوچى أيضا لأن الكرامة هى الجلد البشرى ، دون أن نتلقى خطابات أو دروس لا من باريس أو فروسوفيا أو بوخارست أو من أى مكان آخر . وأؤكد أن الذين لا يزالون يحملون تصورا چيو ثقافيا محدودا للحرية والكرامة اللتان بدأتا من هذه الزاوية من العالم الذى يجب اتباعه هم فى خطأ ، لخطأ التصور نفسه .

إننى هاجمت تصورا بالتأكيد على الطبيعة الكونية للكرامة ، فإذا كانت كونية ، لماذا الاتباع ؟

معهد العالم العربى بباريس

ندوة إشكالية الديموقراطية فى العالم العربى ، ١٠ يناير ١٩٩٠

رقم الإيداع
٩٥/٥٩٤٣
I . S . B . N.
977 - 09 - 0296 - 9

الإخراج الداخلي والصف
مصر لخدمات الناشرين
٩ شارع ٨٦ - المعادي
القاهرة - ت / فاكس : ٣٥١٦٧٤٣

* د . المهدي المنجرة *

- من مواليد ١٣ مارس ١٩٣٣ بالرباط .
- أكمل دراسته الثانوية بالمغرب ، ثم التحق بجامعة كورنيل ـ نيويورك حيث حصل عام ١٩٥٤ على دبلوم الإجازة فى العلوم السياسية .
- حصل عام ١٩٥٧ على الدكتوراه فى العلوم الاقتصادية والعلاقات الدولية من جامعة لندن .
- عمل من ١٩٥٨ أستاذ محاضر بكلية الحقوق ـ جامعة محمد الخامس .
- **شغل مناصب مغربية ودولية كثيرة منها :**

مستشار أول وفد المغرب بالأمم المتحدة ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ .

مدير عام الإذاعة والتليفزيون المغربى ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ .

رئيس ديوان إفريقيا باليونسكو ١٩٦١ ـ ١٩٦٣ .

مدير ديوان المدير العام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ .

نائب المدير العام للعلوم الإنسانية والاجتماعيات والثقافة ١٩٦٦ ـ ١٩٦٩ .

نائب المدير العام للبرمجة والمستقبليات ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ .

مستشار خاص للمدير العام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ .

أستاذ محاضر وباحث بمركز الدراسات الدولية ـ جامعة لندن ١٩٧٠ .

رئيس الفدرالية العالمية للدراسات المستقبلية ١٩٧٦ ـ ١٩٨١ .

رئيس الجمعية الدولية للمستقبليات .

عضو نادى روما ، واستقال منه ١٩٨٨ .

~ المجلس التنفيذى للجمعية العالمية للتنمية ١٩٨٥ ـ ١٩٨٨ .

~ الأكاديمية العالمية للفنون والعلوم .

~ الأكاديمية الإفريقية للعلوم .

~ الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون والآداب .

~ الجمعية العالمية للمستقبل .

~ منتدى العالم الثالث .

~ هيئة تحرير مجلات : فيوتشرز ـ لندن . ، فوتوريبل ـ فرنسا ،أجورا ـ روما .

ومن الجوائز التى حصل عليها :

جائزة الأدب الفرنسى ـ جامعة كورنيل ١٩٥٣ .

جائزة العلاقات الدولية ـ مدرسة لندن للاقتصاديات ١٩٥٥ .

وسام الاستقلال ـ الأردن ١٩٦٠ .

وسام الفنون والآداب ـ فرنسا ١٩٧٦ .

جائزة الحياة الاقتصادية ـ فرنسا ١٩٨١ .

الجائزة الفضية الكبرى للأكاديمية المعمارية ـ باريس ١٩٨٤ .

وسام الشمس المشرقة ـ اليابان ١٩٨٦ .

جائزة السلام لسنة ١٩٩٠ ـ معهد أينشتاين الدولى .